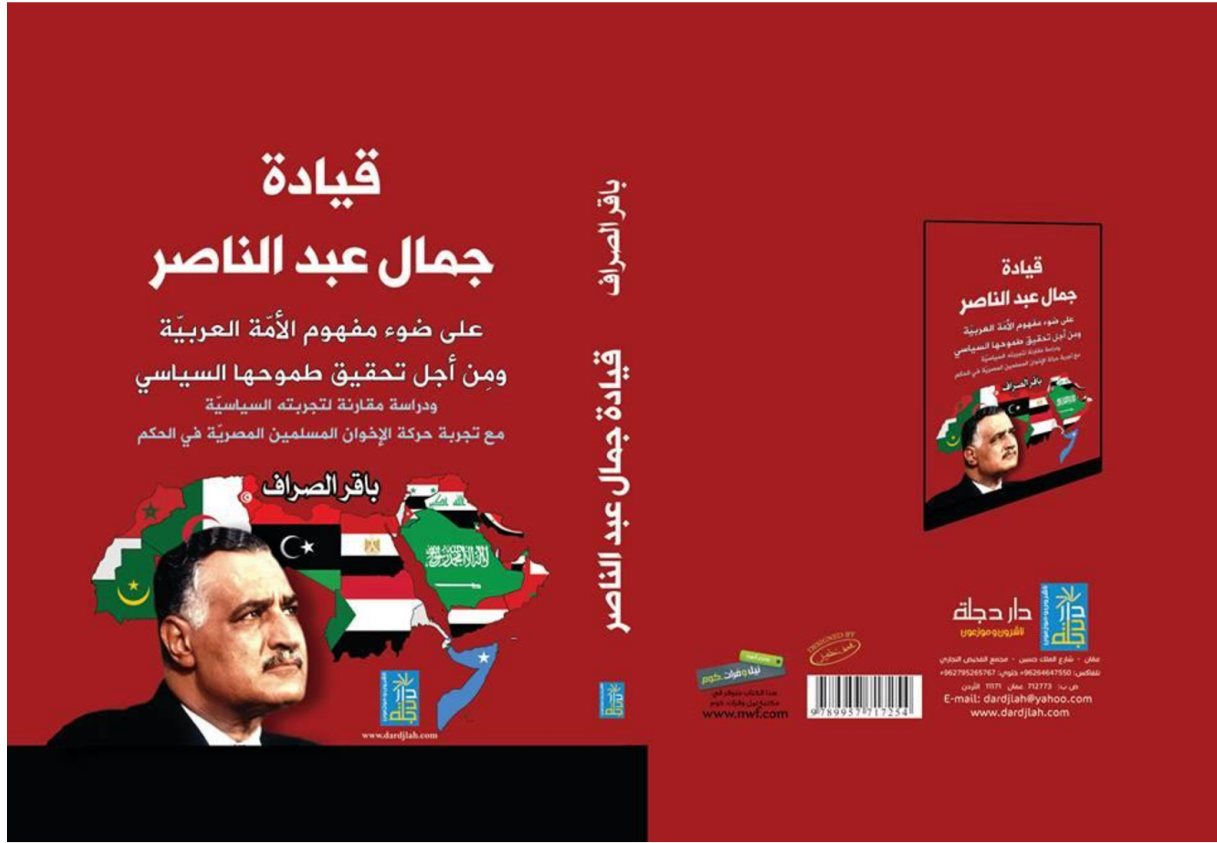




## العمل القومي العربي

**قيادة جمال عبد الناصر**  
**على ضوء مفهوم الأمة العربية**  
**ومن أجل تحقيق طموحها السياسي**

**ودراسة مقارنة مع تجربة**  
**حركة الإخوان المسلمين في الحكم**

# باقر الصراف

الطبعة الأخيرة : 30 / 1 / 2014

## المقدمة

هذا كتابٌ أنشأته على مراحل زمنية متفاوتة، وفي ظني أنه يتعلق “بالمستقبل العربي” طالما كان الصراع العالمي في المنطقة العربية، وعلى المنطقة العربية ذاتها، لأسباب كثيرة، ومنذ العدوان الأوربي على الأندلس العربية، وما يزال عسكرياً متصاعداً مرة، ودبلوماسياً أو بشكلٍ غير مباشر مرات.

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام، في قراءة جوهرية واعية - كما أعتقد وأرى - لتجارب سياسية عينية جرت فوق الأرض العربية، ورموز وتنظيمات سياسية ماثلة، تعبر عن الطموح والتشوف السياسي للأمة العربية، والوحدوي أو الفيدرالي أو التنسيقي المخلص لها أو التضامن الفعلي والفعال، والإستخلاصات التي أفرزتها هذه السياسة التجريبية، والتوغل في التصورات التحليلية عن الرموز والدلالات التاريخية للرموز والتنظيمات. [وهناك قسم ثانٍ يتعلق بتجربة حكم الإخوان المسلمين لمصر والتطبيق العملي لرؤيتهم السياسية

والجزء الأول من الدراسة يتعلق برؤية القسم الأول حول النهج والرمز التاريخي للأمة العربية الرئيس جمال عبد الناصر كونه الرئيس المخلص والرائد، الأمة العربية باعتبارها معطى تاريخي مشترك لكل العرب، وُعاة أو دعاة أو غافلين، لأن الأمر يتعلق بالمستقبل العربي، كمسار تاريخي وموضوعي، الذي يراد تمزيقه وتفتيته والإستيلاء عليه.

والجزء الثاني من الدراسة يتعلق بالقسم الثاني: التجربة السياسية الحسية لحكم الإخوان المسلمين في مصر، كونه نموذج لدعوى دامت ثلاثة أرباع القرن



ملأت أسماعنا شعارات والتكلم باسم “الدين أو الإله” إخترت هذا النموذج السياسي على ضوء الممارسة العملية ، لكي يكون للمقارنة والإتعاظ ، فهي النقيض للتجربة السياسية القومية التحررية الحديثة ، كما هي مجسدة في دراسة القسم الأول .

أما الجزء الثالث فهو ما يضمه القسم الثالث من هذه الدراسة ، فهي شهادات ووثائق منتقاة ، للبرهنة على صحة مضامين الدراستين الأولى والثانية . فإذا أصبتُ في تصوراتي عن الكتاب ، وتوائمت محتوياته مع تقديراتي العقلية ، وربما المعتقدية ، فإنَّ ذلك ما أرجوه وأتمنى وأتشوف ، والأمر متروك كله للقراء الأفاضل . والقول المأثور : ما أقل الإعتبار وما أكثر العبر ، هو رائدي في التوجه والتقدير والتقرير .

## القسم الأول

## الفقيد الخالد جمال عبد الناصر : القائد العظيم والرمز الكبير

مراجعة الماضي السياسي للأمة العربية لمعرفة الحاضر السياسي العربي ، والتعرف على الظروف الراهنة وملابساتها التي جعلت التساؤل الحائر حول المستقبل العربي مفتوحاً ، واستخلاص العبر المفيدة منها ووعي دروسها التاريخية الحيوية ، سواء التي اتسمت بالخيبة والفشل وأدت إلى النكوص والإرتداد ، أو التي تسببت في النجاح والتقدم والوصول إلى ساحل السلامة على صعيد تحقيق الأهداف السياسية ، وهي قليلة بمعايير شعارات الوحدة العربية وتحرير فلسطين - وهي الأهداف الأساسية لشعوب أقطار الوطن العربي وغالبية قواها السياسية منذ مرحلة التحرر من العثمانيين - ضرورة وطنية وقومية وإنسانية تاريخية وراهنة ودائمة ، يجدر بكل المناضلين العرب العودة لها وإنتهال المعرفة من وقائع هذا التاريخ بهدف عدم تكرار تجارب الماضي الخائبة ، والاستفادة من دروس تجاربنا الخاصة من خلال الوعي السياسي بها ، بغية اجتياز المسافة بين الطموح القومي العربي والواقع الآني الدافع للإحباط الإنساني العربي ، من ناحية ، وإدراك كل تعقيداته التي من بين أبرز معالمها دخول العنصر السياسي الأمريكي المؤثر على تطورات هذا الواقع العربي .

مراجعة هذا الماضي مهمة تاريخية ووطنية متجددة ينبغي على كل العاملين في الحقل السياسي الوطني توجيه الأنظار النقدية إليها بالمعنى الإيجابي إليها ، أي ضرورتها الأساسية لكل الذين ينشدون التغيير نحو الأحسن والأكثر إشراقاً والأعلى رُقياً ، لمعرفة

سيروراتها الداخلية بالارتباط مع التطورات الإقليمية والعالمية . إعطاء تجربتها الوطنية والقومية الخاصة فرصة دراستها الجدية اللازمة وتركيز الرؤية النظرية عليها . كونها تجربتنا السياسية العربية الخاصة ضمن التجارب الثورية العالمية ؛ وهي تجربة لا استتساخ فكري أو سياسي فيها ، تلك التجارب التي ولدتها التجارب الغربية : لا الرؤية الفكرية الرأسمالية ، ولا الرؤية الأيديولوجية الشرقية : الاشتراكية على النمط الروسي ، كي لا نكرر الأخطاء السياسية في ممارساتنا العملية اليومية : على صعيد الرؤية النظرية والتجارب العملية .

مراجعة وقائع الماضي تستهدف التبصر في الأهداف السياسية للأطراف المتصارعة على أرض الواقع ، التي شهدها الوطن العربي طوال المرحلة التاريخية الماضية التي أعقبت النصف الثاني من القرن الماضي 1950 - 1999 ، وخصوصاً تجربة الثورة الوطنية المصرية التي إندلعت في العام 1952 وشهدت إنعطافتها السياسية الكبرى في العام 1956 وكبوتها الأساسية غداة الرحيل المأساوي لرائد نهجها وثورتها ، وهو في العقد الخامس من عمره .

لا شك أنها تتعلق وبشكل أساسي بالرؤية السياسية الإستراتيجية لعالم القطبية المتفردة التي تقودها اليوم : الولايات المتحدة الأمريكية ، وتفرض عناوين رؤيتها السياسية على الجميع ، لأن من شأن ذلك هو العمل على تجاوز عالم التفاصيل والحوادث غير الأساسية التي شهدتها منطقتنا العربية ، وتركيز الأنظار على السمات الجوهرية من تلك التجارب السياسية التي تلامست والتطورات التاريخية والأحداث الكبرى في عموم أرجاء الوطن العربي ، وفوق الساحة المصرية على وجه الخصوص .

اليوم : هو الثالث والعشرون من يوليو الذي نشهده في كل عام ، يوم لا يختلف عن الأيام الأخرى من حيث عدد ساعاته ومكوناته الليلية والنهارية والمناخية الصيفية الحارة ، لكنه تحول بفعل الإرادة السياسية الذاتية إلى يوم تاريخي نوعي مديد على المستوى التاريخي ؛ تركت وقائعه المؤثرة في كل زوايا الوطن العربي ، وبلورت الوعي السياسي والفكري لأفراد المجتمع العربي ؛ المهمومين بالمستقبل الحياتي لوطنهم القطري ومجتمع أمتهم القومي ؛ بإتجاه نقلة نوعية في التفكير والأداء العملي في سبيل الذات الوطنية والقومية - لا المضادة لها - .

كان شعار الوحدة العربية باعتبارها ضرورة موضوعية وتاريخية للإفلات من عالم الوضع العالمي الذي يتنافس فيه القطبان أو حاي الأقطاب ، وذلك بهدف السيطرة على شؤونه المختلفة . . . يتنافسان [أو يتساومان] فيه - وعليه - القطبان الدوليان الكبيران : المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي السابق والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وهي من السمات الخاصة لمعالم سياسات القرن العشرين ، بشكل أساسي .

إنه يوم الثورة العربية في مصر الذي قادته فتية تميزت بالعنفوان القومي العربي لتغيير الطابع الجوهري في السلطة ، كان فيهم الأبرز الذي تمتع بوعي فكري وسياسي إستراتيجي ، كان يوم الثالث والعشرين من شهر تموز عام 1952 هو اليوم التاريخي المديد في الفعل المصري والعربي الذي يقوده الفقيد الرئيس جمال عبد الناصر ، ليؤكد

عبر الفعل العملي الذي تميز خطوة عملية إثر خطوة عملية أخرى ، إنه اليوم الأول لطابع التغيير السياسي الكبير في المثل العملية والمفاهيم الفكرية ، وكان يوم تأميم المصالح الإستعمارية البريطانية في قناة السويس عام 1956 هو اليوم الفاصل وبداية الوقائع التاريخية للمنعطف الثوري الحاسم ، في تحولات الثورة من طابعها الوطني المصري إلى محتواها القومي العربي التقدمي ، لتتبع معانيها ودلائلها على بلدان العالم الثالث ولتصطدم بعناوين رؤيته السياسية بالقوى الدولية الكبرى ، أولاً ، ومن أجل التغيير لصالح الذات القومية العربية ، ثانياً ، كونه المعيار الذي ينبغي محاكمة أوضاع الثورة التمزجية وفق مقاييسها . ودور الذات القادة لسفينة التغيير الوطني والقومي والاجتماعي هو مناط الحديث في جزئه التغيير ، لأن كل العبارات السياسية لا تتسع لموضوع الثورة الوطنية المصرية والقومية العربية رغم كل الإنتاج الفكري والإعلامي والسياسي الذي واكبها أو جايلها أو أعقبها ، والتي ما تزال تتدفق تعبيراً عن لحظة حلم تغيير تاريخي يريد الجميع مسكها لصالح المستقبل . مع ملاحظة أن الدولة المصرية البيروقراطية قد لعب دوراً معوقاً في التوجهات التغييرية ، إن لم نقل أن أجهزتها المختلفة شكلت الحاضنة الأساسية للإرتداد السياسي عن مسارها الرئيسي أو الأساسي .

والرئيس الفقيد جمال عبد الناصر : الرئيس العربي في مصر والذي ملكت المشاعر العربية على كيانه الفكري والسياسي منذ سنوات شبابه الأولى ، كان قد خاض تجربة تاريخية قومية محددة وملموسة تركت آثار بصماتها السياسية فوق كل ميادين الوضع العربي ، ومارس السلطة السياسية في أعلى مراكزها : رئاسة الجمهورية المصرية وفي بعض الأحيان رئاسة جمهورية وحدة الإقليمين الجنوبي والشمالي للوطنين المصري والسوري بين فترتي 1958 - 1961 : الجمهورية العربية المتحدة .

لقد واجه الفقيد جمال عبد الناصر خلال فترة رئاسته مشكلات صعبة وظروفاً استثنائية على الصعيد المصري : مواجهة القوى المحافظة داخلياً رغم أن بعض مسمياتها اللغوية والمفاهيمية يستمد مضمونها من الأفكار المستقبلية والتصورات التي نتطوي على حلم “صناعة الجنة على الأرض” : كل حسب عمله ولكل حسب حاجته ، لكنه كان لا يمتلك إرادته الوطنية الخاصة كما ينبغي ، مثلما برهنت عليه التطورات السياسية والأحداث العالمية اللاحقة . وعلى المستوى العربي : مواجهة الرجعية العربية التي كان يقودها النظام السعودي وحلفاؤه .

ولقي الفقيد جمال عبد الناصر حروباً عسكرية وسياسية متعددة من قوى إقليمية تدور بفلك الرؤية السياسية الأمريكية : كيان الإغتناب الصهيوني ، إيران الشاه ، تركيا الجنرالات ، مثلما كانت الإمبريالية الأمريكية تناوئه بالخطط السرية والعنصرية بغية القضاء عليه والقضاء على تجربته الوطنية والقومية ، وتكفل فعلها الإستراتيجي في صبيحة الخامس من حزيران من عام 1967 بالنجاح ، لولا خروج الجماهير المصرية الغاضبة والمصرة على المواجهة من خلال هتاف : هنارب ، هنارب . ولا زكريا ولا رجعية .

وزكريا محي الدين نائب الفقيه الرئيس جمال عبد الناصر هو الذي كان سيخلف الرئيس الذي قدّم إستقالته كونه تحمّل نتائج وقوع الهزيمة العسكرية بالرغم من عدم مسؤوليته العسكرية المسؤولية المباشرة : [راجع الملحق الذي نشرته كريمة الفقيه السيدة هدى جمال عبد الناصر] ، فأرجعته إلى سدة الرئاسة والقيادة ليبدأ حرب إستنزاف ضد العدو ، بعد أن قضى على ((القوى)) التي تسببت في وقوع الهزيمة بوسائل الإعتماد على الجماهير العربية أساساً والمحاكمات العادلة التي كان أبرزها : القضاء على ظاهرة صلاح نصر قائد المخابرات العامة وأعوانه . وتركيز أبصاره على الأولويات الضرورية التي واجهت مصر آنذاك : إزالة آثار العدوان بأفق إستراتيجي موعود .

لقد اختط الفقيه الرئيس جمال عبد الناصر نهجاً سياسياً وطنياً وقومياً طوال المرحلة الزمنية الممتدة من عام 1952 إلى عام 1970 ، وأصبح مثلاً تاريخياً على صعيد المواجهة السياسية ضد المناوئين لمصر والأمة العربية ، ومن أجل ذلك تعاون مع المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق على كل الصعد : العسكرية والمدنية - وإلى حد ما على الصعيد السياسي - مع ثبات على المبادئ السياسية المستقلة لمصر والقيم الروحية للأمة ، وإهتمامه البارز بالأهداف السياسية للأمة العربية هو الذي جعله رمزاً قومياً عربياً معبراً عن نهج المواجهة والتصدي ..

لقد تميزت فترة حكمه بسمات التجريب السياسي بطريقتي الصواب والخطأ ، واختيار الطرق المتنوعة المتعرجة لإجتياز العقبات التي إنتصبت أمامه . ووسم هذا النهج السياسي شخصيته الكارزمية ورؤيته الإستراتيجية . مثلما طبعت أفكاره السياسية تضاريس التطورات الفكرية المصاحبة للتجربة التمزوية المصرية التي كانت تدشيناً جديداً لطريق تغيير حداث في محاولات نقل المجتمع من حالة دنيا إلى حالة غليا ، سادها نمط من ((التعامل الإنساني)) في مرحلة كانت سمات ((العنف الثوري)) هي الغالبة على التطورات العالمية والعربية ، وهو العنف الذي إتخذ من وسيلة إجتثاث الخصوم و((الأنصار)) غير الإمتثالين مبدأً سياسياً ووسيلة عملية له من دون أية معايير سياسية موضوعية تقوم على المعرفة التاريخية الدقيقة ،

بعبارة أخرى كانت تلك السياسة المتبعة عند القوى والأنظمة العربية غير الواقعة في التجربة الناصرية وفق مقاييس أيديولوجية مجردة عن دروس التجربة التاريخية الرائدة ، على الطريقة الستالينية التي كان الشك وحده عاملاً كافياً لإنهاء حياة إنسان قد يبدي وجهة نظر سياسية متميزة أو مخالفة لإرادة الزعيم : السكرتير العام ، كما أظهرته وثيقة المؤتمر العشرين في روسيا ((السوفيتية)) . مثلاً .

لقد إتسمت التجربة القومية العربية في فترة قيادة الفقيه الرئيس جمال عبد الناصر على الدوام بالتقدم على الصعيد الوطني المصري . والبناء المفاهيمي للقومية العربية في محتواها الفكري التقدمي وممارسة هذه المفاهيم بالقدر الذي يستطيع ويتمكن . والعمل

المشترك على الصعيد الإسلامي لصالح الذات التحررية وليس لصالح الجهات المعادية ، أو المناوئة للدين العربي الإسلامي الذي اتخذ منذ إنبلاج لحظته التاريخية الأولى موقفاً مبدئياً من الخارج العالمي المهيمن : الروم والفرس : أي منذ لحظة إنبثاقه ، وهما التجربتان السائدتان علمياً آنذاك .

وحشد الجهود - كذلك - على المستوى العالمي : حركة عدم الإنحياز وبرنامج باندونغ الفكري والسياسي في نطاق معركة مصر التحررية . وفي إطار المواجهة مع الآخر : الغربي الذي يتطلع للسيطرة السياسية ، وتأييد الاستغلال الاقتصادي ، والهيمنة على القرارات الأساسية في المجالات الإستراتيجية كلها . وتمكن هذا الآخر من جر النظام العربي الذي يتخذ خط الرجعية العربية ويد عم ممارساتها ، والتحالف مع القوى الإستعمارية ، أو الإمبريالية ، في عجلة عمله المشين المتآمر ، وتوظيف طاقاته وجهوده في معركته السياسية ضد مصر ونهضتها الناصرية .

تتبع الأهمية القصوى في تتبع مجريات وقائع هذه التجربة الوطنية المصرية والقومية العربية وكذلك : الضرورات الحيوية الإستثنائية لدراسة هذه التجربة السياسية المجسدة بفعل تاريخي مبادر غير إمتثالي لدروس عفا عليها الزمن من طبيعة الظروف السياسية الراهنة التي ضاعت معها بوصلة التقدم العربي والحفاظ على الوضع القطري متماسكاً ، ومن هدف تسليط الأضواء على دلائلها العملية ، وإدراك العناصر المختلفة لمكونات نشأة ملابساتها التاريخية الموضوعية .

كونها تتسم بالراهنية على مستوى قضيتنا القومية العربية ، وعلاقتها السياسية بالحركة القومية العربية الحديثة ، في ساحتها العراقية التي يتعرض فيه وطننا للاحتلال الأمريكي - البريطاني ، ويستباح مستقبل مجتمعا لصالح القوة الاحتلالية المتغطرة في لحظة قطبيتها الأحادية وبمرحلة انفلات عقالها من الشرعية الدولية كلها . . . القوة العالمية الطاغية الساعية للهيمنة ليس على العراق وحده ، إنما على كل الوطن العربي والعالم بما فيها بعض الدول الأوروبية المتطورة .

فليس هناك من ساحة محتلة تتشابه وظروفها وقائع الفجيعة الحزيرية في عام 1967 ، التي فرح بها البعض وقدم صلواته المتشفية بالحكم الناصري والقيادة الناصرية . مثلما يفرح البعض العراقي بالهزيمة العسكرية الكبرى للعراق والفرح الطاغى بالنصر العسكري الأمريكي البشع . ولكن لم تمض عقود عديدة حتى أدرك الوطنيون المخلصون الخطأ السياسي الذي ارتكبه ، فالنمر الأمريكي الهائج يهاجم بقوة مخالفه العسكرية المتعددة وأسنانه النووية الشريرة وعضلات أسلحة الدمار الشامل ، كل الساحات السياسية الوطنية والقومية المناوئة لرويته التاريخية ، ويحطمها لصالح ذاته القطبية . وليس في سبيل مفاهيم فكرية وسياسية مجردة حول البعض الآخر : كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان . وهو يهاجم دون موارد

التخفي وراء كيان الإغتناب الصهيوني ، فالمحافظون الجدد والمسيحيون المتصهيون والجنرالات العسكريون ومالكو الشركات النفطية الأمريكية العملاقة ، الجالسون على عرش القرار السياسي الأمريكي ، أعلنوا عن أهدافهم السياسية بوضوح ما بعده وضوح ، ولن يقبلوا الحلول السياسية الوسط مهما كانت عمليات جهد التحديد - وفق المفهوم/المسكوكة اللغوية الذي إجتزحه السيد محمد حسنين هيكل في عام 1967 - الفعّال للمهاجم .

لقد شهدت ساحتنا العراقية خطوات علمية كبيرة على صعيد التطور العلمي ، والتقدم المعرفي وبناء القوة العسكرية ، مما أهلها لتكون منافساً لكيان الإغتناب الصهيوني ، وهي ((جريمة سياسية)) لن يغفر القطب الواحد لكينونتها وحيثياتها ، فكيف إذا اقترن ذلك بضرب مفاصل الأمن القومي الصهيوني بالصواريخ العراقية ، إنها الخطوة التي يجب أن يكون الرد عليها مميتاً إن تمكن من ذلك .

القطب الأمريكي الواحد ينظر للمنطقة العربية من موشورين اثنين هما النفط الذي جعلت المصادفة غالبيته في بعض بلدان الوطن العربي والعالم الإسلامي ؛ والكيان الصهيوني في فلسطين .

واللعب في جوانب مصالحه الاقتصادية والعقائدية - كما يعتقد الأمريكيون - هو الدخول إلى المنطقة المحرّمة وهو ما أقدم عليه العراق : تأميم النفط العراقي في عام 1972 وتوظيف مدخولاته المالية لصالح تنمية انفجارية ، وقصف إسرائيل بالصواريخ ، ودعم القضية الفلسطينية غير المشروط إلا إستمرارية الثورة على الأعداء التاريخيين للأمة العربية والمتمثلة راهناً : ثورتها الشعبية المسلّحة وانتفاضتها الوطنية الباسلة .

الرئيس جمال عبد الناصر مثّل حالة وعي فكري نفّاذ إلى رؤية المستقبل الواعد ، والمرحوم المنظر السياسي الفذ والشخصية النقدية الموسوعية العربية : الأستاذ إلياس مرقص يؤكد أن ((لا معنى للوعي [الضمير والوجدان والوعي] بدون فكرة المستقبل ، بدون فكرة الإستباق)) وبدون صيرورة مفهوم

الإختلاف المظهر الرئيس في المجتمع أيضاً . ووعي الرئيس المصري بالأمة العربية وضروراتها الوجودية التاريخية ، ووجوب تجسدها العملي في مفاهيم القومية العربية ، كان وعياً بـ((القومية العربية)) التي هي مفهوم لـ((اليوم وأمس وغداً)) وهي فكرة ((هامة جداً ، جوهرية تماماً ، نسبة لحياتنا ووجودنا ، نسبة للعالم

والحاضر والمستقبل ، نسبة للديمقراطية والتقدم الإجتماعي وحقوق الإنسان والسلام العالمي . . . كثيرون لا يعتقدون ذلك)) كما يقول الفقيد مرقص ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر أدركه مبكراً وبشكلٍ واعٍ تماماً ، وهو الذي يجعل من ذكره الدائم مثلاً مجسداً خالداً ، فكرة المستقبل العربي أيضاً هي التي كانت وراء الخطط الأمريكية للقضاء على المثال السياسي المنشود عند العرب الذي جسّدته ثورة تموز المصرية .

لقد بادر الرئيس الفقيد جمال عبد الناصر بتفجير الثورة الوطنية الشعبية وقيادتها القيادة التاريخية ، لم يرتعن لنموذج سابق في التطور السياسي القائم آنذاك ، وبالتالي يرهن ذاته الواعية في مقولاته الفكرية المطلقة ويحبس نفسه في نزعتها الأيديولوجية ، كانت مصر والأمة العربية هي الموشور الدائم الذي ينظر من خلالهما تطورات الأحداث العربية والعالمية ، وليس في تصرفه السياسي ما هو مغاير لقناعاته التاريخية في هذين المعطين التاريخيين المشتركين ، اللذين أحدهما مكمل للآخر ومتلازم معه . جاءت مبادرته تلك بعد دراسة جادة لمفاهيم العلوم الحديثة في التفكير الإنساني والفكر السياسي ، وقوانينها الناظمة للتطور على كل الصعد ، ومن أجل قطع خطوة جادة وضرورية للسير نحو أفق المستقبل المرجو ، تخصص بالعلوم العسكرية في الكلية العسكرية المصرية ، ومفاهيم الرؤية الإستراتيجية التي هيمنت على تفكيره العقلي الوطني المصري وتمكنت نزوعه القومي العربي .

مثملاً تأثر بأحد رواد العسكرية المصرية في القرن العشرين : الجنرال عزيز على المصري : الشخصية العربية التاريخية والمدرس في الكلية العسكرية المصرية ، والذي كان يرتبط والطموحات القومية العربية بوشانج فكرية طبية منذ إنخراطه التأسيسي بجمعية العهد التي تأسست في عام 1913 قبيل الحرب العالمية الأولى ، وانطوى برنامجها الفكري والسياسي على ثلاثة اتجاهات سياسية ، كما يقول السيد وميض جمال عمر نظمي في كتابه المعنون بالجزور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق [ص 143 من طبعة مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت] : النزعة القومية العربية . العواطف الإسلامية العثمانية . المناوأة للنفوذ الغربي .

كان نتاجاً تاريخياً للطبقة الاجتماعية المصرية الوسطى ، الحاملة بالاستقلال السياسي الوطني وإنهاء المعاهدات الجائرة مع الدولة المهيمنة على مصر : الإمبراطورية الإستعمارية البريطانية ، واستطاع تجسيد بعض هذا الحلم في الواقع العملي الفعلي . وإبنا للعائلة الوطنية المصرية المتوسطة الحال في مجتمع تتنازعه الطبقة الغنية المرفهة المتحالفة غالباً مع السلطة الحاكمة في القصر الملكي ، من ناحية ، وعموم المجتمع الفقير الذي يشكل الفلاحون عماده ، من ناحية أخرى ، إذ كان أبوه موظفاً في دائرة البريد المصرية مما ترك له انطباعات فكرية خاصة عن حياة أقرانه المصريين ، زادت بها الحياة المدرسية تعميقاً لوعي شروط تغييرها نحو الأحسن والأعلى في درجات الرقي وسلم التطور ، ورأى في التخلص من الهيمنة الأجنبية البريطانية الشرط الأساس لكل تغيير على الصعيد الاجتماعي .

واغترب معرفته الثقافية من منهل الزاد التراثي العربي الواسع ، سواء الذي كان شعراً أو نثراً ومؤلفات فكرية ، وهي على العموم تنطوي على إلماحات فكرية وخواطر نقدية ، وتبحر في جذوره الجاهلية واستكنة خلفيات تطور هذا التراث بالقدر الذي يستطيع ، ودقق النظر في تجليات الرؤية الحضارية العربية الإسلامية . وبزغ نجمه السياسي بعد انتهاء سنوات الحرب العالمية الثانية التي شهدها العقد الرابع من القرن الماضي ، أي خلال الفترة التي أعقبت تنازع - ومن ثم - صراع وتقاتل الدول الأوروبية : على المصالح



التي تمسّ مناطق نفوذها القومي ، وألقت في آتون إحترابها المتواصل لمدة ستة أعوام مختلف القوى العالمية : شرقها وغربها وغالبية طاقات بقية القوى العالمية ، المتحالفة بعضها ضد البعض الآخر ، والموظفة كل الطاقات البشرية والمادية التي تستطيع الوصول إليها والتحكم بها والتصرف فيها .

كان من النتائج السياسية للحرب العالمية الثانية على صعيد الوطن العربي ، إغتصاب الأرض الفلسطينية وتهجير شعبها العربي الفلسطيني إلى خارج وطنهم دون وجه حق . لقد حمّل الأوروبيون ثمن جرائم هتلرهم ضد اليهود لقوى شعبنا العربي ، وتعويضهم بالأرض الفلسطينية ، مسهلين - عبر الإستعمار البريطاني المهيمن على فلسطين جراء سياسة الإنتداب التي فرضتها القرارات الدولية في أعقاب الحرب العالمية الأولى - الإستيلاء الصهيوني على بعض الوطن الفلسطيني بذريعة إقامة ((كيان يهودي في فلسطين)) كما تعهد لهم وزير الخارجية البريطاني بلفور في الثاني من تشرين الثاني من عام 1917 .

فيما تكفلت الرجعية الأردنية بقيادة رمزها الأسبق : عبد الله بن الحسين على وجه الخصوص ، وعموم الرجعية السياسية العربية الحاكمة ، بتنفيذ الجانب الآخر من الإستيلاء على الوطن الفلسطيني بحجج وذرائع مختلفة مخاتلة ، بغية شطب إسمها من عموم التداول الرسمي العربي بهدف وأد ذكاراتها من الذهن والتفكير العربيين ، وتحت مسميات مخاتلة مخادعة وتنسب الأرض لكنية العائلة الملكية التي نصبها المستعمرون البريطانيون : المملكة الأردنية الهاشمية .

ثار الفقيه الرئيس جمال عبد الناصر وأخوته المنضون تحت لواء تنظيم الضباط الأحرار ضد الحكم الملكي الذي يرأسه الملك فاروق ، المتواطئ مع الرؤية السياسية الغربية الذي رأى من أول أولياته السياسية إقامة الكيان الصهيوني ، وأدرك تنظيم الضباط الأحرار المهمة الملقة على عاتق الجيش المصري : فنفاذ أعضاؤه المهمة وفتحوا أبواب المنطقة العربية كلها أمام رياح التغيير الشامل وضروراته الموضوعية .

\* - فكان الداخل المصري يتطلب أداء متطلبات التغيير والبناء والتطور والتقدم .

\* وعلى المستوى العربي حاول جاهداً تكتيل الجهود وتوحيد الأفعال في إطار حركة التحرير العربية

\* وتنسيق الأعمال السياسية على المستوى الإسلامي .

\* وتكامل الخطوات الكفاحية المشتركة على المستوى القاري : القارات الثلاث : أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

\* والتحالف مع الكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفياتي القائم آنذاك . . .  
كان ذلك هو الخط الفكري والسياسي الرئيسي الذي شكل محتوى نهجه  
السياسي الوطني والقومي ، للدرجة التي صار معها الرمز المعبر عنه .  
ولم تجد الولايات المتحدة الأمريكية بُدأً من تغيير هذا الوضع السياسي الذي أرسى  
أعمدته الأساسية والمنهجية الرئيس جمال عبد الناصر ، وإلحاق الهزيمة العسكرية بهذا  
النهج تمهيداً لتصفية النهج السياسي ، ومحاولة إسقاط رمزه السياسي عن سدة الحكم ،  
فاستعانت بحليفها الإستراتيجي الكيان الصهيوني ، ووجها كلاهما ضربة عسكرية كبيرة  
ومؤثرة في صبيحة الخامس من حزيران عام 1967 ، لكن الفقيد الرئيس جمال عبد  
الناصر عاود البناء السياسي والعسكري بصورة مغايرة عن الماضي الذي أوصلنا لنتائج  
الحرب الحزيرانية باتجاه التطور والتقدم ، بعد أن أصرت الجماهير المصرية  
والعربية على متابعة معركتها الوطنية والقومية ، ضد أعداء مصر  
والأمة العربية : هنجارب .

وكان تصفية جهاز المخابرات المصرية بقيادة صلاح نصر ، والكتلة  
العسكرية التي يقودها المشير عبد الحكيم عامر عنواناً أساسياً لطابع  
هذا التغيير على المستوى الداخلي . من ناحية ، ومواجهة إستحقاقات مسؤولية  
العامل السياسي الذاتي عن حدوث الهزيمة العسكرية ، من ناحية ثانية .  
فالرئيس المصري الفقيد جمال عبد الناصر لم يتنصل عن مسؤولية الدور  
القيادي السياسي عن الخسارة العسكرية/الكارثة الوطنية والقومية التي وقعت فيها  
الحرب العسكرية الكبرى في الخامس من حزيران عام 1967 ، فقدّم إستقالته الشهيرة من  
مركز رئاسته للجمهورية التي رفضتها الجماهير المصرية والعربية ، من جهة . ومن جهة  
ثانية ، دفعته تلك التطورات الدراماتيكية للإعتراف التالي : ((إنّ الأمريكان كانوا  
مصممين على ضربنا مهما فعلنا ، هم حاولوا معنا بكل الوسائل أن نتوب  
عن العمل القومي ، وعن التصنيع ، وعن التحديث ، نحن رفضنا ،  
واعتبروا مهمتهم أن يؤدّبونا ، ونحن بتصرفاتنا جعلنا المهمة أسهل لهم  
بدلاً من أن نجعلها أصعب ، الأسباب التي عرضتها كلها هي ما سهل  
عليهم مهمة كانوا مصممين عليها)) ، وكانت الأسباب تلك تتعلق بمراجعة  
الماضي ، وإستخلاص الدروس .

لماذا كان هذا الإعتراف/المراجعة التاريخية ؟ .

في تقديري : إنّ فكرة المستقبل كانت تدور في ذهنه المتوقد ، ومن أجلها حمل  
الرئيس جمال عبد الناصر روحه على كفه يوم الثالث والعشرين من تموز 1952 ، ذلك  
المفهوم الذي إستهدفه الأمريكيون منذ تبين الأطروحة الوطنية المصرية والقومية العربية  
بشكل واضح ، إذ أنّ ((المحاولة المستميتة لضرب قوى التغيير والتقدم في

العالم العربي لم تتوقف ، والسبب واضح وهو القصد المقصود ليس معركة ضمن معارك ، وليس رجالاً ضمن رجال - ولكنها فكرة ((مستقبل)) يخشاه الذين يحاولون إرغام الأمة على الركوع والقعود)) كما يقول السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل .

لاسيما وأنَّ الأمريكيين الإستراتيجيين يدركون أنَّ البعد التاريخي للهدف السياسي الكلي من كلِّ عملٍ حربي :

((1 - أما الهدف الابتدائي فهو ((تحطيم القوة المسلَّحة للعدو)) .

2 - وأما الهدف النهائي فهو ((تحطيم إرادته)) .

وفي 5 يونيو سنة 1967 نجح الطامعون في هذه الأمة في ((تحطيم قوتها المسلَّحة)) وكان هذا هو الهدف الابتدائي . ولكنهم لم ينجحوا في تحقيق هدفهم النهائي وهو ((تحطيم إرادتها)) . وهم الآن يريدون منها أن تنسى ذلك ، رغم أنَّ هذا الهدف النهائي لم يتحقق حتى في سنة 1967 ، كما إنَّ الهدف الابتدائي بدوره أفلت منهم أيضاً في نفس السنة ، لأنَّ إرادة الأمة دفعتها إلى إعادة بناء قوتها المسلَّحة ، والعودة بسرعة إلى الميدان لتقاتل حتى وصلت من 5 يونيو 1967 إلى 6 أكتوبر 1973)) . [محمد حسنين هيكل . الانفجار . ص 11 - 12] .

فما أحوج الوطنيين المخلصين والقوميين المناضلين والمفكرين الناضجين في هذه المرحلة السياسية الحسَّاسة إلى المراجعة التاريخية لكل عناصر الماضي السياسي ، الذي شهدته كل التطورات التاريخية في القرن المنصرم ، وسياسة كل القوى التي تبوأَت المراكز السياسية في الأقطار العربية المختلفة ، والتفكير بملايسات وقائع الحاضر وأسباب تدهور عموم الوضع القومي العربي ، بغية خدمة العمل السياسي من أجل المستقبل الوطني القطري والقومي العربي في الوطن العربي .

2003 / 7 / 23

## القومية العربية ، الأمة العربية : مفاهيم تاريخية . . . الناصرية مرحلة لها معاييرها وشروطها

بمناسبة رحيل القائد الرمز  
الراحل جمال عبد الناصر  
الحلقة الأولى

الأمة العربية معطى تاريخي مشترك انغرس في أعماق التاريخ ، تكونت في موازاة نشوء الدين الإسلامي ، وفي ظلّه . اللغة العربية الفصحى . [1] . هي المنجز القرشي . [2] . النبوي القرآني ، كانت اللغة في المرحلة التاريخية الجاهلية تحتفظ بتراث أدبي هائل لاسيما على المستوى الشعري والأمثال البليغة ، وهما تعبيران عن تجارب عملية متكررة . الإسلام كوّن مجتمعا عربيا لذاته على حساب الذات القبائلية المتفرقة ، المتنافسة ، المتحاربة . [3] . بعد رحلة طويلة امتدت من التنقل والعيش بالخيام التي سرعان ما تطوى للرحيل وراء الكأ والماء والأمان ، والمروءة بالمنازل التي تميزت بالاستقرار غير المديد ؛ لكنها تبحث عن مسببات العيش الصناعية والزراعية التجارية البدائية . وصولاً إلى مرحلة الاستقرار بالسكن وتأسيس المدن والإجتماع وتأسيس الحكم والإدارة والتجمع حول الكعبة الواحدة ، بعد أن كان لكل قبيلة كعبتها وإلهها .

وكان لمفهوم الإله والرسالة الدينية دور كبير في صيرورة الأمة العربية . ((مَنْ تكلم العربية فهو عربي)) كما يقول النبي محمد (ص) ، الإنسان الإلهي العبقري المبدع . كما لفت نظرنا إلى ذلك أحد الباحثين ، بعد أن لاحظ استخدامي لمفهوم الرباني ، فيما قال الشيخ الدكتور أحمد الكبيسي في أحد برامج اللغة الدينية : الإلهي أصبح لغوياً ومعنى . وإنها صانت المجتمع العربي من التحلل والتفكك والإضمحلال طوال القرون ، لاسيما خلال السطوة التتارية التي أدت إلى سقوط بغداد ، وطوال فترة الهيمنة العثمانية ، التي دامت أكثر من ثلاثة عشرة جيلاً ، لذلك فإنّ محمداً (ص) ((لم يكن نبي

الإسلام فحسب بل نبي اللغة العربية والثقافة العربية على إختلاف أجناس المتكلمين بها وأديانهم)) ، [4] .

ساعد على رسوخ وتطور اللغة العربية : التبادل البضاعي ، البيع والشراء ، التسوق اليومي ، تعامل المنتجين مع الذين يصرفون هذا الإنتاج ، تداول الأحاديث الثقافية ، وحفظ الكلام الجميل : الشعر وخلافه ، التخاطب الشفوي بين أبناء المجتمع ، ناهيك عن كونها لغة التخاطب الرسمية ، ولغة المتتورين المتفقهين ، كونها لغة الكتاب المجيد ، الخالد ، القرآن الكريم ، ولغة أهل بيت الرسول وصحابته ، ولغة أهل الحكم والخلافة ، لغة القيادات العسكرية والمدنية ؛ لغة الإدارة المركزية أو غير المركزية طوال مئات السنين ؛ قصد مكة للحج عزز تبادل شؤون الدين الجديد جماعياً ومن كل الأمصار التي تتعاطى اللغة العربية ، وساعد على إيجاد مركز روحي واحد . . . كل ذلك كَوَّن وعزز المجتمع العربي ، المجتمع الذي تحقق إدارياً وسياسياً ووجهه الوجهة التي ساعدت على نشر الرسالة الدينية ؛ وبالتالي كَوَّن منها أمة لها سماتها القومية الخاصة .

وفي فترة الرسالة النبوية تم وضع إطار الخلافة السياسية والدينية ، لم تكن فكرة الإمارة السياسية المركزية بارزة للعيان بعد . الأمة أخذت في التبلور خلال سيرورة من التطور المديد . أعلنها الرسول (ص) بقيام ((الأمة)) في المدينة عندما ((وضع كتاباً بين المهاجرين والأنصار ومن تبعهم وجاهد معهم ، واعتبرهم أمة واحدة من دون الناس . وجعل الكتاب أمن الأمة الداخلي والدخول في الحرب والسلام أموراً مشتركة يلتزم الجميع تجاهها حسب مصلحة الأمة . وجعل كتاب الله وسنة رسوله دستوراً للأمة . ومع أَنَّ القبائل بقيت وحدات إجتماعية تتحمل بعض المسؤوليات كالدية والفدية في إطار الأمة ، فإنَّ الولاء والمسؤولية يرتبطان بالأمة . وصارت العدالة والأمن والشؤون العامة تهم الأمة ورئيسه)) ، [5] .

ولكن الدين الجديد لم يفرض توحيد اللغة العربية فقط ، وإنما وحدَّ المجتمع والسوق ، وأرسى خصائص نفسية على أرضية إقتصادية وثقافية ، جراء صيرورة الخلافة العربية الإسلامية مركز استقطاب وإدارة للسياسية العملية في مكة ولاحقاً في دمشق ، ومن ثم استمرارها في بغداد حتى إنهيارها سياسياً .

هي بالنسبة للأمم الأخرى أمة قائمة في صعودها أو هبوطها ، تقدمها وتطورها أو تخلفها وتقهقرها . المعايير لهما متفاوتة على ضوء المعادين لها أو المؤمنين بها ، بالنسبة لنا أمة متجددة ، كونها في حضور دائم ، تحاول عبر العمل التضامني ، التجمع ، التوحد : أن تكون ذاتاً فاعلة في هذا العالم ؛ الآخرون : المناهضون لها : يحاولون إلغاءها من عالم الفعل أو تهيمشها في أحسن الأحوال . هذه المعادلة كانت كياناً موضوعياً ولا تزال قائمة وحيوية ، كان تكونها أي صعودها و صيرورتها يعتمد في بناء

ذاتها القومية خلال الفترة الأولى من نشونها ، على الداخل العربي ؛ التكوين البشري العربي ، وتدافعها الاجتماعي .

أما دمارها الكلي وإنهائها الشامل ، سواء المادي أو المعنوي : أي سقوط مراكزها السياسية الهامة : فكان يأتي غالباً وأساساً من الخارج ، عبر الحروب عليها والمدمرة لبنائها والغزوات المباشرة أو غير المباشرة . كان للتمزق بين أمرائها - وما استتبع ذلك - دور هام في الضعف الداخلي الذي أدى إلى سقوطها ولكن لم يكن الأهم .

الفرد القوي الذي يتبوأ المركز السياسي القيادي الأول غالباً ، لا سيما في فترة ازدهار الأمة ، ذو الهمة والتصميم والإرادة ، ويحسن التصرف على ضوء ما عنده وفي يده، ذو الرأي الإداري السديد، المفكر أو المجتهد بالمفهوم الإسلامي، وصاحب العزم: ((قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل، جسوراً عليه مقدماً غير خائف ولا ضعيف النفس))، مثلما يذهب إلى ذلك العالم الفقيه أبو نصر الفارابي .. كان ذلك الفرد يلعب الدور الرئيس والملموس في الوضع السياسي العربي، ويشكل الترس الرئيس في عجلة السلطة العربية المركزية، التي تستمد مبرراتها من الهوية الحضارية العربية الإسلامية. العدالة والمساواة أو الظلم السياسي والتمييز القومي؛ ليست هي وحدها المعايير الأساسية في صيرورة الأمة العربية وتكونها واستمرارها .

((الشعوبية)) كمفهوم وفق التسمية الجاحظية : نسبة للأديب الكبير عمرو بن عثمان ، هي عنوان الجسم البشري المعادي الجديد للأمة العربية الإسلامية آنذاك ، الذي تسلسل في الجهاز الإداري نتيجة حيازته على كفاءة في عالم الفكر والتنوير والتفقه في عقيدة العرب الجديدة : الإسلام، إضافة لشعوره السياسي بالاضطهاد ، عن حق أو من دون حق ، لتحدي صيرورتها أمة عربية تتخذ من اللغة نائماً لثقافتها وناظماً لإدارتها وسياستها: بالمعنى الثقافي والفكري ، ثم السياسي استتباعاً .

الغزو الهولاكي، الحرب التتارية الشاملة، كان الهدف منها السيطرة والتملك والتدمير والإمحاء، لذا كان البشر العرب والمنجز الثقافي، غايته المباشرة من التدمير العشوائي الرهيب والإجتياح التخلفي للتقدم المجتمعي الإسلامي، في مركزه الحضاري العربي الإسلامي؛ عاصمة الإمبراطورية العباسية: بغداد؛ والقضاء على الأسلوب الإداري والسياسي، إذ أن التكوينات التتارية ((أسست إدارة خاصة ، وهي ما عدا أيام حروبها ومقارعاتها لم تتعرض للأديان والمذاهب، إلا أنها ناصرت الأقليات القومية أو الأثنية، أو بالتعبير الأصح اعتمدت عليها ولم تدع جانباً من جوانب السياسة العامة إلا

وَلَجته . . . واستخدمت هؤلاء لتقوى في الإدارة على العنصر الغالب وتجعلها وفق ما هو مرغوب لديها ، أو لتمشي خطتها ، وتسير سياستها كما تشاء . . . فكانت من أمهر الإدارات في خططها الإستعمارية ، وسياساتها الداخلية)) . [6] .

المرحلة العثمانية التي اتخذت الرؤية الدينية الإسلامية لها ومن المفاهيم الإسلامية منظومة فكرية لأيديولوجيتها على المستوى العربي والعالمي ، كانت مرحلة تخليف للأمة بالمعنى الحضاري ، وليس إنهاءً للوجود القومي العربي ، شمل التخلف كل مواقعها الجغرافية - مع اختلاف النسب هنا وهناك - في مواقعها البشرية . التقدم الأوروبي/العالمي الحضاري وزحف قواه الإستراتيجية ، هو المعيار الموضوعي في قراءة التطورات وفهم نسق الأحداث وانتظاماتها ؛ في مراحلها الأخيرة وتحت قيادة حزب الاتحاد والترقي : ذو النزوع الطوراني ، حاولت الإمبراطورية إلغاء مفهوم الأمة العربية وبنيتها التكوينية من الفاعلية البشرية وتهميشها كلياً ، عبر التتريك اللغوي المستعمل في المراكز الإدارية ، وتوظيف الأتراك في المراكز الإدارية الهامة ، المركزية ، المرحلة العثمانية كانت مرحلة تخلف لجميع مكونات العرب الإجتماعية ، [7] .

ولعل العلامة الفقيه ابن خلدون كان يستقريء التاريخ المستقبلي لمفهوم الأمة العربية عندما أكد على عامل اللغة . . . أكد ((على العربية ، واعتبارها أساس النسبة إلى العرب)) التي ((بدأت بالإسلام واستقرت منذ القرن الثالث الهجري)) [8] ، كونها أسست ثقافة شاملة ، وأرست رؤية كلية ، لم تكن مرتبطة ((بالوحدة السياسية والسيادة المركزية للخلافة ، بل بقيت تشكّل هوية ثقافية معنوية مستقلة بذاتها ، تجاوزت الاعتبارات الإقليمية والمحلية)) . [9] .

تحررها - إثر ذلك - ونهوضها مجدداً ، يبرهن على حيويتها ومؤشرات نهوض العرب مجدداً ، المسافة بين الماضي المتخلف الذي استغرق القرون ، وحاضرها الإجتماعي خلال القرن الفائت والعشرين كله ، رغم تشرذم واقعها السياسي والإداري ، أكثر من ذي قبل ، بفعل التجزئة وأساسها الكامن في العمل الإستعماري الأجنبي . . . كانت خطوات تحررها ونهوضها هائلة جداً في ميدان التقدم على ضوء واقعها التاريخي : الإجتماعي والسياسي . لغتها صار مُعترفاً بها ، ونسب التعلم لها على مستوى الداخل تنمو وتتطور ، ثقافتها معروفة للمجموع البشري تشهد الترجمات الأجنبية منه وله ؛ حضورها في الموقع السياسي العالمي : سلباً أو إيجاباً ، أصبح مميزاً ، تدني تطورها في خريطة التقدم العالمي نسبياً : غدا قصيدة رثاء راهنة ودائمة عند مريدي نهضتها المتواصلة ، أو الأساس الذي يبني على ضوء معطياته الملموسة آفاق نهضته المرجوة ، لا سيما عند دراسة الواقع العربي الراهن والملموس المجسد ، عن طريق المعلومات والأرقام والمفاهيم ، لا التقرير الأيديولوجي المجرد . . . إلخ .

المعيار عندهم تشوف المستقبل المرتجى وفق مقاييس التطورات العالمية ، في التحرر والتطور والتقدم والتوحد والبناء ، ليس أدل على ذلك إستحضارهم المتكرر لمفاهيم وذكريات الحروب الصليبية ، والإنتصارات التي تحققت على ضوئها . ودرس أشكال توحد قوتها وإتحادها في كل منعطف تاريخي ، وضروراتها في سبيل تحقيق الإنتصار . على سبيل المثال وليس الحصر . . .

المرحلة التاريخية التي مرت بها الحركة القومية العربية الحديثة والمعاصرة ، التي إستغرقت كل أعوام ما بعد التحرر من الهيمنة العثمانية/الطورانية التركية ، والتي ما تزال قائمة حتى القرن الحادي والعشرين ، إتسمت بصفتي : التقليدية والحديثة على سبيل التوصيف النظري ، كمفاهيم سياسية مُفترضة ، ننتهج فيها دراسات المرحوم الفقيد هاشم على محسن حول الموضوع ، الواردة في العديد من منجزه التحليلي وفي كتبه . [10] . الأولى : مرحلة الحركة القومية العربية التقليدية ، تشير إلى سيادة قيم وأفكار وأنماط الأنظمة السياسية التي جاءت إثر الثورة العربية التي قادها الشريف حسين من مركزه في مكة ، الذي إرتضى أبناؤه إستبدال إستعمار عثماني متخلف ، من وجهة نظرهم ، بإستعمار أوروبي متقدم ، بذرائع متفاوتة ، بدلاً من التحرر والتوحد العربيين ، كما رفعته شعارات الثورة العربية قبيل وعند التحرر من العثمانيين ، فكانت هناك إتفاقات سياسية مشتركة مع الأسياذ الجدد ، وعقد إتفاقيات ومعاهدات عسكرية مع الدول المنتدبة والمستعمرة الأوروبية ، تلك هي المجريات الجوهرية للتاريخ الذي كانت وقائعه تجري فوق أرض الوطن العربي ، في أعقاب مرحلة التحرر القومية العربية من الهيمنة العثمانية ، كما يُقال .

أما البداية التي إحتوت الثانية : الحركة القومية العربية الحديثة ، فهي اندلاع العمل المسلح لنيل الإستقلال السياسي ، والعمل الجماهيري المطلبي لتحسين الحال ونيل الإستقلال الحقيقي والتحرر الفعلي ، ضد الأجنبي في مصر والعراق وسوريا وفلسطين . خصوصاً . وتأسيس المنظمات والأحزاب السياسية المطالبة بالتحرر الوطني والقومي الناجز ، ووجدت في شعارات الثورة العربية التي نشب أوارها في عام 1916 المَعين الفكري التي تغترف منه ، والزاد الذي تنهل الكثير من محتواه .

كان تطور فكر وسياسة المنظمات والأحزاب التي رافقت هذا التطور وزامنتها أو أعقبتها ، هو السمة البارزة على طابع المحتوى الإيديولوجي لها ، كانت شعارات الوحدة والحرية والإشتراكية أو الحرية والإشتراكية والوحدة ، التحرير والديموقراطية والوحدة والتقدم الإجتماعي والتطور المنشود ، أو الترتيب المختلف لتتابعاتها ، هي العامل المشترك



لعمل أغلب فصائل حركة التحرر القطرية وحركة التحرر القومية العربية . كانت القضية الفلسطينية في موقع القلب من هذه التطورات الفكرية والسياسية ، وتحقيق الوحدة العربية الهدف المنشود لها . الوحدة وتحرير فلسطين كان العنوان المشترك لفعاليات الأنظمة العربية أيضاً : سلباً أو إيجاباً ، إنتصاراتها وهزائمها ، صعودها وتقهقرها ، أي إنَّ التحرير والوحدة : غدت مرة أخرى ، هي المظهر الرئيس للممارسة السياسية العربية .

كانت عملية تأميم قناة السويس في عام 1956 هي الذروة في ذلك النهوض ، والمؤشر الأساس على أهمية تلك المرحلة من مراحل تطور الأمة . كان الرئيس جمال عبد الناصر هو الرمز لها ، والمعبر عن طبيعة مرحلتها السياسية التي انتظمتها على مختلف الصعد التي تهم الأمة العربية ، هو المعزز لهذا النهج السياسي الملموس جماهيرياً . وجاءت الوحدة العربية بين مصر وسوريا في 22 شباط 1958 لتكرس حضوره السياسي في المنطقة العربية : الجمهورية العربية المتحدة ورمزها وإعلامها ، وليكون - كذلك - بؤرة جذب لكل الجماهير العربية التي تتشوف المستقبل وتتطلع له ، وهو الذي افتتح عملية الصدام مع الغرب الأوروبي الإستعماري : البريطاني - الفرنسي على وجه التحديد ، من موقع السلطة ، وسيادة النظام القومي العربي على سدة الدولة .

كانت الديمقراطية في فترة صعود الحركة القومية الحديثة مُستمدة من ضرورات التطور الإقتصادي والإجتماعي ، الثورة الوطنية الديمقراطية هي الهدف الذي يسعى المجموع الوطني والقومي بالمفهوم الحديث لتحقيقه ، لم تكن الديمقراطية السياسية بالمفهوم التي أفرزته العولمة الأمريكية راهناً هي المقصودة . والذين نقلوا شعاراتهم من كتف اليسار إلى كتف اليمين يدجلون على قواعدهم - قبل أي طرف آخر - وعلى حدّ تعبير أحد المثقفين الماركسيين العرب ، ((ما أغبى وما أطفه الذين إنقلبوا من أقصى اليسارية البروليتارية أو الفلاحية العالم ثالثة والبورية إلى أقصى الليبرالية والعلموية)) . [12] .

وعند البعض أصبح اليوم لا يقتصر على مفهومي الغباء والتفاهة ؛ أصبح نهجهم السياسي قوامه ارتكاب الخيانة الوطنية والقومية ، نسغه الحيوي الذي يديم الحياة هو الإتصال مع الأجنبي المعادي للأمة العربية ، الذي يشنّ الحروب العنيفة وغير العنيفة عليها ، أما حملاتهم الفكرية/الدعائية فقد صارت مهمتها الرئيسية تنطوي على - مثلما تتخصص - مهاجمة مناهضي : القوي السياسية والنظم الحاكمة في الغرب والترويج لرويتها السياسية . [13] .

الأمة العربية : كوجود وذات وهوية ومجتمع عربي ، تتعايش مع الآخرين بوائام ، كانت تقوم على الاختلاف والتنوع في بنيتها البشرية ، في إختلافها وتنوعها الجغرافي/السياسي ، في بينتها الحياتية والتوزيعية ، ولكن القاسم المشترك هو المجتمع العربي ؛ في نطاق الالتزام الحضاري العربي الديني : الإسلامي على وجه الخصوص ، عندما صارت أجزائه دولا قطرية مُستقلة اعترفت بالآخر غير العربي وفق الظروف

المتاحة والأزمان المتفاوتة ، إعتبرت الأكراد شركاء في العراق منذ 14 تموز 1958 ، يوم لم يكن للحركة الحزبية السياسية الكردية في العراق التأثير المباشر على قرارات قيادة حركة القومية العربية الحديثة للتغييرات والتطورات العراقية ؛ وإختيار شخصية كردية في عضوية مجلس السيادة هو الآخر برهان على ذلك الإتجاه ، مقارنة وضع الأكراد بوضع أشقائهم في كردستاني إيران وتركيا يبين ذلك بالملاموس ، أولاً ، صارت اللغة الأمازيغية لغة رسمية ثانية في الجزائر : وهي التي ((لا تمتلك قواعد نحوية ، وصرفية ، ولا تمتلك مفاهيم علمية ، وفلسفية ، وأدبية ، وبلاغية ، وإدارية)). [14] . كما يقول أحد الباحثين ، المتابعين : السيد أزراج عمر ، ثانياً . اليوم تحذو المغرب حذو الجزائر وتقر اللغة الأمازيغية لغة ثانية فيها ، سُنّة التطور يتواءم معها العرب ، وذلك يكتسي الأهمية التاريخية .

المجتمع العربي تعاون مع أشقائه في الملمات والأفراح ، لم تتوجد التناقضات القومية العمودية المدمرة معهم ، إلا عندما تخلى البعض عن القيم الدينية الحضارية : القيم التكوينية المشتركة التي تطبع المنطقة بسماتها الخاصة . . . إلا عندما وجد في التعاون مع الأجنبي السياسي الغربي طريقاً أسهل من التعاون مع الأخ والشقيق والمجاور ، وعلى حساب الأمن الوطني والقومي العربي . [15] .

كانت الأمة العربية - وما تزال كذلك - تحاول العيش المشترك مع الآخر ، لم تعتد على أحد . في الزمن الراهن : كانت تدافع عن نفسها على الدوام أو في الأعم الأغلب ، تريد تحقيق وحدتها الفيدرالية أو اتحادها المأمول أو تضامنها الفعلي المنشودة عند أبنائها ، إسترجاع حقوقها التاريخية التي أغتصبت أو أهدرت لصالح الذات الأجنبية . الخلافات الجوهرية التي أدت إلى نزاعات وحروب بين أقطارها المكونة لها : كان الأجنبي المعادي لنا : ممن ولّى الملوك والأمراء علينا ، يحرك عواملها ويوجج نيرانها ، الحكام الذين لم يخترهم الشعب العربي في غالبية مختلف أقطاره - أو ممن قد يختارهم بواسطة أهل الحل والعقد والشورى وفق المفاهيم الدينية والإسلامية - لإدارة شؤون المجتمع العربي ، جعلوا نشوبها أسهل . ذاتها القومية ينبغي تأسيسه على روحية إختلاف أمّتي رحمة . الدولة لفائدة المجموع الوطني القطري ومجتمعها ، وكذلك لفائدة دولة المستقبل القومي العربي الفيدرالية . السلطة السياسية شأن خاص بالتدافع والتنافس والغلبة سلمياً وعلى أساس ما تفرزه صناديق الاقتراع الشعبي . الدولة هي من حق المجموع الذي يمثل هذا المجتمع : سواء أكان تكويناً فكرياً منفرداً أو تكويناً اجتماعياً سياسياً - فكرياً متحالفاً .

الدولة السياسية المعاصرة كمفهوم حديث تنامي على حساب مفهوم الأمير أو الإمبراطور ذي الصلاحيات المطلقة . . . مفهوم يمثل الأرض أو الوطن ، المجتمع أو الشعب وكذلك معه المؤسسات الحكومية التي ينمو تكوينها مع صيرورتها واحتياجاتها وتوفر الإمكانيات وإنبثاق الوعي الفكري الملازم عن التجربة اليومية والمرحلية المعاشتين ، لذا ينبغي أن تكون في خدمة جميع المواطنين ، مرافقها العامة مشتركة ، أو كما يقول الفقيه القانوني العراقي المرحوم حسين جميل : ((الدولة مؤسسة تخدم الجميع على حدٍ سواء ، لا يدخل في حساب تأدية الخدمات النظر إلى أي إختلاف بين المواطنين وفئاتهم من أي نوع كان الإختلاف)). [16] .

تناوب إدارة السلطة فيها فرصة ينبغي أن تكون مفتوحة أمام الجميع الذي يعمل في سبيل الصالح العام الذي يخدم الوطن والمجتمع في القطر الواحد أو في الأمة المجزأة ، الإلتزام

الديني يتم على أساس الإقتناعات المشتركة والإيمان الشخصي بالدرجة الأولى ، على أرضية توافق وطني سياسي وفكري واضحين :  
حقك ينتهي عندما يصل حدود الحق لي . والدولة الدستورية هي التي تضمن الحق للمجموع المجتمعي كما يذهب إلى ذلك أحد المثقفين المناضلين العرب . ينبغي للمفاهيم الفكرية التي توصلت لها البشرية ، وفي خدمتها، أن تكون وعياً ثقافياً وقاسماً سياسياً مشتركاً عند المجموع المجتمعي العربي .

---

2003 / 9 / 27

يتبع

## الهوامش والملاحظات الخاصة بهذه الرؤية الفكرية

[1] - تطرق إلى ذلك إلى ذلك كتاب إشكاليات العقل العربي : نقد العقل العربي ، من تأليف جورج طرابيشي ، ط1 ، 1998 ، الصادر عن دار الساقي ، ص 177 - 179 ، حيث يتطرق إلى مناقشة الموضوع الخاص بمفهوم نشوء اللغة العربية ، وتعدد اللهجات العربية ، وسيادة اللغة الفصحى ، القرشية ، على جميع اللهجات القبلية المنتشرة في المنطقة العربية آنذاك .

[2] - يقول ابن منظور في لسانه إن قريشاً سُميت بذلك ، ((لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع وزرع ، من قولهم فلان يتقرش المال : أي يجمعه)) ، عن كتاب أحمد أمين الموسوم : فجر الإسلام ، إصدار دار الكتاب العربي ، بيروت/لبنان ، الطبعة العاشرة ، 1969 ، ص 14 ، وإن قصي من قريش كان أول من ((أصاب ملكاً وأطاع له قومه فكانت له الحجابة والرفادة والسقاية والثروة واللواء والقيادة فلما جمع قصي قريشاً بمكة سمي مجمعا)) ، راجع كتاب السيد خليل عبد الكريم المعنون : ((قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية)) ، إصدار مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت/لبنان ، وسينما للنشر ، القاهرة ، ط2 ، 1997 ، ص 45) .

والكتاب بمجمله يبحث في العوامل الموضوعية التي أدت إلى نشوء الدولة العربية المركزية : ((والمؤلف ينطلق من تلك اللبنة {القبيلة القرشية} مدققاً النظر في البناء كله ، متوقفاً عند أهم تفاصيله مُبرزاً الملامح الذاتية لأعمدة ذلك البناء ، إلى جانب إبراز الظروف الموضوعية العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي واكبت عملية البناء)) . . . ((الهادف إلى إضاءة الطريق : من أجل إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي بأسلوب موضوعي . . . علمي)) ، كما جاء في الكتاب وعلى صفحته الأخيرة .

[3] - راجع المصدر السابق ، على سبيل المثال ، وخصوصاً الصفحات 377 - 392 ، المعنونة : مصالِح صناديد قريش ، وكذلك كتاب السيد الدكتور عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي الأمة العربية : دراسة في الهوية والوعي ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان/بيروت ، الطبعة الثالثة ، كانون الأول/ديسمبر 1986 ، وخصوصاً

الفصل الأول : العرب قبل الإسلام ، الموطن والموقع والأصول ، والفصل الثاني المعنون : الإسلام والعربية ، تكوين المجتمع العربي الإسلامي في المشرق ، في المغرب .

[4] - يستند السيد محمود كامل المحامي في إقرار هذه الحقيقة على المؤرخ جورج سارتون ، راجع كتابه المعنون الدولة العربية الكبرى ، إصدار دار المعارف بمصر : مكتبة الدراسات التاريخية ، دون تاريخ وإن أشارت المقدمة إلى تاريخ أكتوبر سنة 1958 ، ص 131 .

[5] - الدكتور عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي . . . مصدر سبق ذكره ، ص 38 .  
[6] - راجع الكتاب الموسوعي ، التوثيقي ، المعنون : تاريخ العراق بين إحتلالين {أي الإحتلال المغولي عام 1258 والإحتلال البريطاني في عام 1917 ، تأليف المحامي عباس الغزاوي ، المكون من ثمانية أجزاء ، طبع في بغداد عام 1953 ، الجزء الأول ، ص 36 ، والنسخة المعتمدة هنا الطبعة المصورة المنشورة من قبل إنتشارات الشريف الرضي ، قم ، إيران عام 1410 هجرية .

[7] - راجع كتاب الدكتور توفيق برو المعنون : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908 - 1914 ، إصدار دار طلاس ، دمشق/سوريا ، ط 1 ، 1991 ، والكتاب عبارة عن دراسة أكاديمية يبحث في الإمبراطورية العثمانية ، وهو ((خلاصة الحديث عن الفترة الأخيرة من تلك العلاقات ، لا سيما منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، غير أن أهم ما يلفت النظر فيه التفاصيل الوافية عن بزوغ فجر القومية العربية ، في الربع الأخير من ذلك القرن ، أثراً من آثار ظهور وإشتداد حركة النهضة العربية الثقافية والاجتماعية الحديثة ، ثم إحتدام العواطف القومية من خلال ما فرضته ظروف إستبداد السلطنة العثمانية بشخص حُكامها أعضاء جمعية الإتحاد والترقي وخطر سياستهم ، على أثر إعلان الحكم الدستوري الثاني عام 1908 ، وإشتداد عزمهم على محو معالم شخصية العرب والقضاء على مقومات قوميتهم ، من لغة وثقافة ، الأمر الذي إستوجب نضالاً مرهقاً خاضه القوميون العرب خلال عشر سنوات (1908 - 1918) خُتم بها العهد العثماني ، فحققت الأمة العربية تحررها وإنعاقها من نير ذلك العهد)) ، {من صفحة الغلاف الأخيرة} .

[8] - راجع كتاب دراسات في القومية العربية والوحدة ، لمجموعة مؤلفين ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، ضمن سلسلة كتب المستقبل العربي (5) ، بيروت/لبنان ، ط 2 ، تشرين الأول/أكتوبر 1992 ، والإستشهاد مقتطع من دراسة الدكتور عبد العزيز الدوري المعنونة : ابن خلدون والعرب (مفهوم الأمة العربية) ، ص 55 - 96 .

[9] - راجع كتاب : وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية والمجمع العلمي العراقي ، ط 1 بيروت/لبنان ، كانون الثاني / يناير 1994 ، والإستشهاد مقتطع من دراسة السيد عرفان عبد الحميد فتّاح المعنونة : العقيدة

الإسلامية ، وأثرها في وحدة الثقافة العربية - الإسلامية ، والبحث هذا جزء من الندوة التي تضمن بحوثها الكتاب ، ص 130 - 131 .

[10] - راجع مجموعة مؤلفاته المعنونة دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية ، وكتاباته النظرية المنشورة بوساطة الدار اللبنانية للتوثيق والنشر والتوزيع على مدى عقدي السبعينات والثمانينات .

[11] - إلياس مرقص - نقد العقلانية العربية ، إصدار دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق/سورية ، ط 1 ، 1997 ، ص 824 .

[12] - نظراً لكوني عراقي الجنسية القطرية ، أود أن أستشهد بتجربة الحزب الشيوعي العراقي على هذا الصعيد ، فقد اتضح أن ((خمس لقاءات لقيادتنا مع المخابرات الأمريكية والبريطانية ، وكان آخر لقاء لها مع المخابرات عام 2001 على هامش إجتماع المؤتمر الوطني في نيويورك ، وعلى ذكر اللقاءات مع المخابرات الكثير من الانتهازيين والمدسوسين في منظماتنا الحزبية في دول المهجر عندهم نفس النشاط ، والقنصل الأمريكي في دمشق يحب تناول شرب الشاي العراقي في مقرنا دورياً ، ناهيك عن زيارات منسقة تحدث في المنطقة الكردية)) .

(( . . . وانطلاقاً من حاجة العناصر الانتهازية إلى مَنْ يناضل عنها ، واعتماداً على تلك الصورة الزاهية الألوان التي تعكسها وتفترض أن الآخرين يرونها ، حزمت هذه العناصر أمرها وقررت التحالف مع الإمبريالية العالمية ، خصوصاً وهي سبق وأن مهدت أما عبر تصريحات أو لقاءات أو عبر السياسات اللاوطنية التي برزت على مدى السنين العشر الماضية ، ولأجله التقى عام (1998) الرفيق أبو داود : {السكرتير العام للجنة الحزب المركزية}- بريتشارد دوني في مكتبه بخارجية أمريكا ، وقد علّق عليه آمالاً كبيرة على هذا اللقاء ، لذا وانطلاقاً مما يراه هو من صورة بالألوان الزاهية ، أراد رفيقنا أن يتم تحالف الحزب مع الإدارة الأمريكية بمعزل عن (المؤتمر الوطني) وطرح اسمي الرفيقيين (ف و ع) كحلقة اتصال ، لكن ريتشارد دوني وهو يعرف حجم حزبنا الفعلي)) تجاهل العرض ، أما اللقاءات اللاحقة التي تمت بين الرفيق (ص ل م) والخارجية الأمريكية على مدى الأعوام (1999 - 2001) إنتهت هي الأخرى دون جدوى .)) .

[راجع المطبوعة التي أصدرها الكادر الحزبي (رقم 15) في 2002/3/31] ، التي وثّقت ما هو معروف للملا المتابع ، وإن حاولت تضخيم دور الذات {وفي الفترة الأخير صار هذا

السكرتير عضواً في مجلس بريمر الذي عينه لإدارة الوضع السياسي في العراق - مع الاحتفاظ بقرار حق إتخاذ الفيتو ضد قراراته التي لا تخدم الرؤية الأمريكية - [13].  
في وقتٍ تعيش هذه المجموعة التي تقود الحزب أضيع من الأيتام على موائد اللئام !! ،  
المطلوب من المجموع المثقف الواعي المسؤول أمام ضميره السياسي ،  
أمام أمانته التاريخية للجماهير الوطنية ، مراجعة التجربة على ضوء  
الأساسات الفكرية التي أفرزتها تجربة الوطن العربي في مختلف أجزائه  
، وعي المفاهيم الفكرية للكلمات والمصطلحات ، التخلي عن الأوهام ،  
أو الإيمان الأعمى بصدد بعض المقولات ، فهم معنى الحزب ، إدراك  
مفهوم الطبقة الفعلي في الواقع الإجتماعي العراقي - والعربي كذلك -  
وعى أسلوب الإنتاج الذي أفرزته التجربة الروسية الذي آل إلى مفهوم  
دولة كل الشعب والإشتراكية التي تُبنى على أسسها الخاصة ، أي  
التزوير لفظ لمفهوم مفهوم الإشتراكية التي تعني خدمة الإنسان والوطن قبل أي  
اعتبار آخر سواء أكان ذلك لخدمة الحزب أو القائد ، ... إلخ ] .

[13] - راجع صحيفة ((العرب العالمية)) ، التي فيها الملحوظات النقدية للموضوع المشار  
إليه للسيد أزراج عمر ، بالعدد المرقم 6375 والصادر بتاريخ 2002/4/11 تحت عنوان :  
((إقرار الأمازيغية لغة وطنية خطوة إيجابية)) . بينما يقول كاتب آخر هو السيد  
تيسير بن موسى في الصحيفة ذاتها ، إنَّ ((الجماعات الأمازيغية تنقسم في  
فروعها ولغاتها إلى أكثر من عشر فئات ، وكل فئة تلتقي إلى حد ما في  
بعض أصول اللغة الأمازيغية لكنها تختلف اختلافاً بيناً في التعبيرات  
والإصطلاحات اللغوية ، وأيضاً بنطق الحروف)) ، والمقال المشار إليه أعلاه  
كان تحت عنوان : ((الإعتراف باللغة الأمازيغية هل أنهى المشكلة؟؟)) ،  
وورد بالعدد 6385 الصادر بتاريخ 2002/4/24 ، والموضوعان يتناولان القضية  
الأمازيغية في الجزائر .

[14] لإطلاع على سبيل المثال لا الحصر كتاب شلومو نكديمون : الموساد في العراق  
ودول الجوار ، إنهيال الآمال الإسرائيلية والكردية ، ترجمة بدر عقيلي الصادر عن دار  
الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمان/ الأردن ، ط1 ، 1997 ، وكتاب  
الندوة العربية - الإيرانية ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، لبنان/بيروت ،  
تموز/يوليو 1996 ، ص 545 - 556 ، مثلاً .

[15] - راجع كتيب المرحوم السيد حسين جميل الصادر ضمن سلسلة الثقافة القومية :  
حقوق الإنسان في الوطن العربي ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت / لبنان  
، شباط/فبراير 1986 ، ص 173 .

[16] - ملاحظة جديرة بالانتباه : لقد أعدت هذه الدراسة قبل الغزو الأمريكي والسطو على  
الدولة العراقية واحتلال العراق .

**المركز المكاني ضرورة للأمة  
في التوحد الجغرافي:  
بعد الديمومة التاريخية وسيورتها  
بمناسبة رحيل القائد الرمز  
جمال عبد الناصر  
الحلقة الثانية**

كان المركز الرئيس لرسم التطورات القومية العربية - كإقليم عربي موحد مُفترض أساسه المادي الأمة العربية - كمعطى تاريخي مشترك يحظى بالأهمية الكبرى من ناحية أعمال العقل في صيورته التاريخية ودينامياته التكوينية عاملاً مهماً في تكوينها التاريخي . كانت مصر تشكل المركز السياسي في الزمن التاريخي الراهن الذي أعقب نشوب ما يُسمى بالثورة العربية الكبرى في عام 1916 . . . فترة التحرر الشامل من العثمانيين وحلول الرابطة القومية العربية في الفكر والمفاهيم ، "محل مفاهيم الرابطة الدينية الإسلامية وفق الرؤية العثمانية" ، وإقامة النظم السياسية العربية ((المستقلة)) خلال بدايات القرن العشرين ، وهي أحد معالم التطور الأساسية وفقاً للتعاقب الزمني ، وهي الفترة التي شهدت إنفلاش الإمبراطورية العثمانية بعد صيرورة الرجل التركي المريض لسنوات طويلة من التدهور الذاتي والتدخل الأجنبي بشكل رسمي . وهو أشبه ما يكون بمركز مكة في المرحلة الأولى من نشوء فكرة التوحيد الإسلامية الأولى وبدايات تكوين المجتمع العربي ؛ التي كان . أولاً :

للمرسالة المحمدية والدين الجديد دور البؤرة الأساس في الواقع العربي الجديد ، أي بدايات تبلور المركز الذي تتجمع حوله فكرة/مفهوم الرسالة الدينية وإطارها الجغرافي الأمة العربية الموحدة والتكوين البشري العربي الذي حمل تلك الرسالة ، ويوم تمحورت .

**ثانياً :**



وتوحدت أيضاً ، الكعبات القبلية العربية العديدة حول الكعبة المكية المركزية ، الذي وضع حداً للمنافسات والمنازعات في إطار ((إمتلاك السلطة في المكان المقدس : الكعبة)) التي كان لكل قبيلة كعبتها مثلما كان لها إلهها ، الذي سيستمر حتى مرحلة صعود الحكم السعودي وغلبتها بالسيف على الأسرة الهاشمية ، [1] ، وما يقتضيه ذلك . ثالثاً :

من : التفاف . حضور . وتداول . وتفقه . وتوجس . ومن ثم : تطلع نحو الخارج . وتجمع . إستنهاض للهمم . والإيمان الضروري بهذا الدور . رابعاً :

الإستعداد لبذل الأثمان الباهظة في سبيل إنشائه : الأثمان المادية والمعنوية ، والذي أدت إلى الحضور الثقافي/اللغوي الديني للأمة بالمعنى الحضاري الإسلامي لكل المنتمين إلى العروبة الذين كانوا يمتلكون ثروة لغوية وأدبية هائلة قبل ولادة الدين الجديد . ولذلك ، خامساً :

كانت معجزة النبي محمد [ص] معجزة لغوية تجسدت في منظومة القرآن الكريم الفكرية والأدبية ، العصية على التكرار والتقليد والإتيان بمثله . الإنتماء الحضاري/الديني بالمعنى التاريخي ، وليس الممارسات الطقوسية التي فرضها الإسلام وجعلها إلزاماً فردياً واجباً على أرضية ((ألهمها فجورها وتقواها)) ، كان الدين الإسلامي : كفكر ومفاهيم ورأي يروجه الخلفاء والأمراء والقادة يمثل في التصورات السياسية وواقعها : إمارة مترامية الأطراف في أهم بقاع العالم آنذاك ، المنطقة الوسطى : في أفريقيا وآسيا ولسلطتها السياسية/الروحية القرار السياسي النافذ في بعض الأحيان التي تجلت الذروة فيها في زمن الخليفة العربي الإسلامي : هارون الرشيد .

لقد إكتشف الباحث الخالد والمنظر النافذ واللماح ، العميق الثقافة الجاد المخلص ، المتنوع الاهتمامات فيها المرحوم السيد ساطع الحصري : أبو خلدون المفهوم الحقيقي لذلك المركز ، الواقع المكاني المطلوب بشكل مبكر ، في القرن العشرين : قبيل منتصفه على وجه التحديد ، وصار وعياً تاريخياً عند المفكرين القوميين العرب بشكل تدريجي ووفقاً لفترات التعاقب الزمني ، وكافح فكرياً من أجل صيرورته وعياً سياسياً عند جماهير الأمة العربية ، خاض نقاشاً واسعاً مع غالبية الأسماء الفكرية اللامعة آنذاك من موقع الاختلاف مع الآخر الذي يبحث عن مرجعية تاريخية لفكره غير مرجعية الأمة العربية التاريخي/اللغوي وهي أساس فلسفته القومية .

نقد خاض حواراً حول البدائل التاريخية عن مفهوم الأمة العربية . [2] . التي نظّر البعض فيها للفرعونية والفينيقية وغيرها مدارس تراثية وفكرية بإعتبارها إتجاهات فكرية مناقضة للإتجاه الذي ترتنيه مفاهيم الحركة القومية العربية ، تتجلى عصارة تلك الإلتقاطات الفكرية بقوله :

((لقد زودت الطبيعة مصر ، بكل الصفات والمزايا التي تحتم عيها أن تتقدم بواجب الزعامة والقيادة في إنهاض القومية العربية . لأنها تقع في

مركز البلاد العربية: بين القسمين الأفريقي والآسيوي. كما تكون أكبر كتلة من الكتل التي انقسم إليها العالم العربي بحكم السياسة والظروف، وهذه الكتلة قد أخذت حظاً أوفر من الحضارة العالمية الحديثة، وقد أصبحت أهم مركز من مراكز الثقافة في البلاد العربية، وهي أغنى هذه البلاد بأجمعها. كما أنها أقدمها في تشكيلات الدولة العصرية، وأقواها في الآداب، وأرقاها في الفصاحة، وكل ذلك [في أي نهضة] . . . مما يجعل مصر الزعيمة الطبيعة القومية العربية)). [3].

كان ذلك الحدس الذي يستند للقرائن الفكرية العديدة والحيثيات الجغرافية والمعايير التاريخية ينبثق مبكراً في التاريخ الحديث . . . أي أن تاريخه يعود لعام 1936 يوم كان يلعب دوره الفكري والإداري في بغداد : العاصمة العراقية ، إنه يغوص في إستكناه المنطق الموضوعي للتطور في التاريخ والجغرافية وجوهرهما الفكري ، تزيده إقتناعاً فكرياً وإيقاناً منطقياً التطورات السياسية الموضوعية المرتبطة بالرؤية السياسية الإستراتيجية الفرنسية - البريطانية الإستعماريتين التي تشهدا المنطقة العربية، والمرتبطة كذلك بالمشروع الغربي : لاسيما الخطوات التمهيدية للتهويد الصهيوني في فلسطين التي تكتفت قبيل الحرب العالمية الثانية، أي الحضور الصهيوني في التطورات المقبلة وما يترتب عليه من صراع محتمل للإرادات السياسية الممثلة للطرفين على المستويات المنطقية العربية . بين الراسخ في الأرض منذ مئات السنين الخمسة عشرة - إن لم تكن بآلاف السنين - من جهة ، والطاريء عليها بفعل الرؤية السياسية الغربية . . . كانت تلك الرؤية وذلك المشروع وبحكم طبائع الأشياء قد نجمت عن الغزو الإقتصادي وموجبات الضرورات الإستعمارية ، من جهة أخرى .

حول تلك الحقيقة العينية المجسدة في الواقع ، يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل في تلخيص وتكثيف للوعي السياسي التاريخي : أن الرؤية الصهيونية ومشروعها السياسي ، ودورها المرسوم في ذهن قياداتها المفكرة وفي أذهان القادة الغربيين كذلك ، يستند ((أساساً على إستراتيجية عزل مصر عن الشام)) كي يمكن توجيه الجهد الرئيس نحو الحلقة الأهم في الوضع العربي المستقبلي، بغية التغلب على الإرادة السياسية المصرية {وإستتباعاً بالضرورة الموضوعية: الإرادة السياسية العربية كذلك - ملاحظة مني} التي ستنتج حتماً عن قوانين التاريخ والجغرافية ، التي ستتجلى في ((طاقة مصر التاريخية بثوابتها، وإمكانات مصر المعاصرة بكل ما يعترىها من عوامل النهوض أو عقبات التأثر أو عوارض الإنكماش والتراجع)). بهدف جعل مصر عازلاً جغرافياً ومنكفاً على أوضاعه الداخلية، ولتحويلها إلى حاجز مانع بين العرب ومصر كان ((لزماً وقد رآه نابليون وبالمرستون ومن بعدهما لازماً - أن يتحول

الجسر إلى حاجز - ، إذن فإنّ مكن الخطر الوحيد على هذا الحاجز هو في مصر، فهي في الشرق كتلة إنسانية متماسكة وراسخة وقادرة بالكم الموجود، وبالكيف المحتمل، على عرقلة المشروع اليهودي بمقاومته، أو التصدي له ومحاربته)) . [4] .

وإذا رجعنا إلى المصادر التاريخية التي تسلّط الأضواء على الجغرافية البشرية وعمقها المعرفي ودورها التاريخي الرائد، فإننا سنستخلص بالضرورة المنطقية والتاريخية ما استخلصه السيد محمد حسنين هيكل بالقول: ((كانت مصر بحكم ظروف تاريخية عديدة: {تحملها مسؤولية صد التتار، وصد الصليبيين، وحماية دار الإسلام بقلعة الأزهر العتيد} وبحكم ظروف مستجدة {إنسلاخها العملي عن الخلافة [العثمانية] بعد الحملة الفرنسية، وتأثرها بتيارات الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر، ونمو طبقة متوسطة وطنية تعتمد على ملكية الأرض الزراعية} أقرب الكل إلى مطلب الإستقلال، وكان متعلموها ومتقفوها وشعراؤها وفنانوها من أبناء الطبقة المتوسطة وما حولها ، قد استطاعوا خلق طليعة متقدمة قادرة على تحمل مسؤولية الخطى الأولى نحو المطالبة بالإستقلال والعمل من أجله، وكان هؤلاء جميعاً هم الذين قادوا ثورة سنة 1919 المطالبة بالإستقلال، وأصبح الإستقلال مطلباً لكل شعب عربي. لكن الحدود السياسية لم تكن عائناً أمام الحقيقة التاريخية الأبعد والأعمق، وكان التعليم والثقافة والشعر والفن هي الطاقات القادرة على القفز فوق حدود التجزئة السياسية المرسومة على الأرض)) . [5] .

وكانت مصر بذلك تفرز عبقرية المكان إستجاباتها الموضوعية، قبل إستشهاد مجترح هذه المقولة ومفاهيمها التاريخية المرحوم الأستاذ المفكر جمال حمدان، حول مَنْ ((بين السكان مَنْ لم يقدر ولم يرع حُرمة وحق المكان)) . [6] . في مرحلة ما بعد معاهدة كامب ديفيد الساداتية التي لنصوص الإتفاقية فيها طابع الإلزام والأولوية في التطبيق في ميدان العلاقات السياسية الخارجية المصرية الرسمية مع الأقطار العربية .

في إشارة واضحة حول قصور الشرط الذاتي في صناعة الأحداث التاريخية راهناً التي كان : المكان قد لعبته قيادة ثورة 23 / 7 / 1952 على صعيد الأمة العربية ، التي دشنت خطواتها العملية الأولى بالتححرر من الهيمنة الإستعمارية البريطانية الأجنبية ، والتمكن من نيل إستقلالها السياسي الفعلي وإنتزاع سيادتها من براثن التسلط الخارجي ؛ أي إنّ تلك

الخطوة العملية قد حررت إرادتها السياسية من الهيمنة الإستعمارية الخارجية بغية بناء مشروع الأمة العربية السياسي في التحرر والتوحد والتطور والتقدم ، وتوفرَ بذلك لقائدها الوعي السياسي التاريخي بالإمكانية العملية الناضجة المختصرة لترجمة الطموح الوطني المصري والقومي العربي المطلوب على الأرض وفي الواقع ، والإشترطات الضرورية المطلوبة لتحويل الإمكانية إلى واقع مُعاش ، كون ((الأفكار والتوجهات الكامنة في ضمائر الشعوب والتي يمكن التعبير عن نفسها بأشكال بدائية أو مرحلية لا تتآكل بفشل التعبيرات الأولى عنها ، ولا بضعفها ، وإنما تعطي نفسها حياة جديدة ومتجددة في كل زمن طبقاً للظروف وإمكانيات الفعل المتاحة لها)). [7] .

كانت ثورة تموز 1952 وبرنامجها السياسي يمثل إستقراءً تاريخياً لدور مصر في المرحلة التاريخية القومية العربية الحديثة في عهد عبد الناصر التاريخي ، لقد تبلور وعياً سياسياً نقاداً عند تلك القيادة التاريخية ، في صعوده وعثراته ، في تقدمه وإنكساراته ، وإستلهاً هذا الوعي في الممارسة من أجل الأهداف السياسية التي خصّبت أفكار وطموحات قيادات ثورات القرن العشرين العربية المخلصة ، ودفعت من حياتها الشيء الكثير بهدف جعله واقعاً ملموساً .. . إستلهاً في العمل الكفاحي اليومي هو المطلوب لدى مناضلي الأمة العربية الذين يصرون على مواصلة الطريق القومي الشاق ، وليس ندب الحظ على غياب القائد الذي هو فرد بشري له بداية مثلما له نهاية . الرموز المضيئة لكل الأجيال هي التي تحفز طاقتهم للعمل الجاد نحو مثل تلك الرموز الكبرى التي أرادوا صياغتها في الواقع المتخلف الذي ثاروا عليه .

كان محتوى التغيير العملي يتدرج من تحقيق الإستقلال السياسي والإنجاز السيادي لإرادة مصر ، وبالتالي توجيهها نحو الوجهة التي تنسجم مع إرادة التاريخ لشعب مصر وطموحاته التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية ، وكان ذلك نابعاً بالأساس من طبيعة النظام العالمي التكوينية وغير العادل الذي نشأ بعد الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من تقاسم للنفوذ السياسي ، والتبدلات في السيادة السياسية على كل العالم ، وعلى وجه الخصوص في مواقع الوطن العربي المختلفة {طالما الحديث يتمحور حوله} ، إلى إنتقال المنطقة من الخضوع للنفوذ الاستعماري البريطاني - الفرنسي على وجه الخصوص إلى الوقوع تحت قبضة السيطرة الأمريكية على المنطقة قبل الرضوخ لإملاءات التعليمات الأمريكية المطلقة في ظل صيرورة نظامها العولمي المتجبر .. - العصر الإنتقالي بلغة البعض - .

وبأسلوب جديد وغير معهود في الواقع السياسي العالمي : التغيير بواسطة الإعتماد على الجيش الوطني : الكتلة البشرية الأكبر والأكثر تنظيماً في المجتمع والأقوى على أرض الواقع ، وتدشين التغيير على يد

القيادات الوطنية ، وهو ما أعطى مميزاتها الجوهرية كتجربة ريادية ليس في الوطن العربي فحسب ، وإنما في كل العالم أيضاً .  
والترجمة العملية للتطور السياسي والفكري الإقتصادي والاجتماعي على أرضية أهداف واضحة بالنسبة للمفكرين الذين يتشوفون المستقبل أو يحاولون جس نبض الواقع يقصد تغييره نحو الأفضل ، الأمر الذي يجعلهم يجدون البحث عن الخيارات الأصلية - غير المُقلدة - لتتوير الواقع بغية الإخلال بالواقع الاجتماعي الداخلي الذي رعاه الإستعمار البريطاني لصالح المجتمع المُناضل من أجله : المجتمع المصري ... يقول الخالد جمال عبد الناصر في مرحلة تالية في تكثيف لهذا الإختيار وتنظير لمفهومه السياسي :

((نريد أن يحل محل النظام الإقتصادي الإستغلالي والاحتكاري ، نظام إقتصادي اشتراكي ديموقراطي تعاوني من أجل مصلحة الغالبية العظمى من أبناء الشعب ، لا من أجل مصلحة فئة قليلة هي التي تستغل ، وهي التي تحتكر ، وهي التي تكسب مكاسب باهظة على حساب الشعب . نريد أن نعمل على ألا تخضع أي طبقة أو يخضع أي قسم من المجتمع لطبقة أخرى أو قسم آخر ... نريد أن نتخلص من إستغلال الإنسان وإستغلال المجتمع لبعضه ، ونقرب الفوارق بين الطبقات . تنظيم إقتصادنا وفقاً لخطة موضوعية لصالح الشعب لا لصالح عدد من الأفراد . نراعي مبادئ العدالة الاجتماعية . نوفق بين النشاط الاجتماعي العام الذي تقوم به الدولة ، والنشاط الإقتصادي الخاص الذي يقوم به الأفراد على ألا يضير هذا بصالح المجتمع ... والدولة لها الولاية ، وهذه الولاية تضعها موضع حماية مصالح صغار الرأسماليين ، وصغار المدخرين مع الرأسماليين الآخرين ... لكن في نفس الوقت نحن لا نريد أن نكون رأسمالية الدولة ، بل نعتبر إنَّ رأسمال المال الخاص حر ، ما دام يعمل لمصلحة الشعب ويعمل للخير العام ، للشعب ، وفي نفس الوقت نتدخل بمعنى أننا لا نريد أن نقضي أو نصفي الرأسمالية ، ولكن نرى أن من واجبنا أن نراقبها)) . [8] .

إنه إستخلاص فكري لتجربة معاشة أعقبت الثورة ، وإصرار على إثرائه وفق طموح لا يبتعد عن الواقع ولا يبقى أسيراً لحديثاته المكتسبة من التطورات السابقة ؛ إنه التغيير الإيجابي المنشود على ضوء دروس مكتسبة بعد خمس سنوات من الممارسة العملية ! .  
ولكن ماذا كان عليه هذا الواقع ؟ ، وما هو الأفق المطلوب لتغييره جذرياً ؟ وكيف ينبغي تنفيذ رؤيته على صعيد الحلقات المركزية المتتالية لهذا التغيير :

1 - كان لا بد - إذن - من تصفية الحلقة الأساسية في إدارة الوضع السياسي للبلد ، والقضاء على النفوذ المعنوي والمادي لسادتها . . . وكان ذلك النفوذ المهيمن يتمثل بسلطة الملك المصري : فاروق وبطانته الساندة التي رأت بالبريطانيين القوة التي لا يمكن مواجهتها ، أو عدم الانصياع لرغباتها السياسية - سراً أو علناً - . وكان جمال عبد الناصر القائد العسكري ، والذي سيغدو الرمز السياسي ، قد عمل على تهيئة الوسائل الممكنة في سبيل إنجاز هذه المهمة ، عبر الاشتراك الفاعل في إنشاء تنظيم الضباط الأحرار ، وكان التحرك في يوم 23 / 7 / 1952 هي اللحظة التاريخية المواتية لإنهاء ((الوضع السياسي الشاذ)) في الوطن بالقضاء على السلطة السياسية الملكية وقصصة أجنحة مرتكزاتها الأساسيين دون عنف يذكر . على شاكلة ما سيحدث في العراق يوم الرابع عشر من تموز 1958 في العراق ، إنَّ الوعي الفكري حول المستقبل العربي لدى القيادتين هو الفارق النوعي هنا ، كما نعتقد .

2 - معالجة ذيول التغيير السياسي الذي أراده البعض السياسي التقليدي أن يقتصر دور العسكريين خلاله على أداء مهمة التغيير السياسي فقط ، ومن ثمَّ الرجوع إلى الثكنات العسكرية ، لماذا ؟ : لأنهم كانوا يفهمون بالواقع الاجتماعي المصري أكثر من غيرهم - مثلاً كان يتصورون ويعتقدون - أي إنهم رأوا في التغيير السياسي هو الهدف المرتجى فقط : التغيير السياسي الذي عجزوا هم عن إنجاز هذا الهدف ؛ حول ضرورات هذا التغيير في حلقة المركزية : في قمة السلطة والحكم ، فيما كان القائد الخالد جمال عبد الناصر بفكره الثاقب يرى إنَّ التغيير المطلوب لنقل المجتمع المصري من واقع مرفوض إلى واقع سياسي واجتماعي منشود هو أبعد من التغيير في الجانب السياسي . . . يقتضي ضرورة السير نحو الجانب الاجتماعي ، وفي هذه المعضلة وما نشأ عنها من اختلافات في الرؤية السياسية وخلافات متناقضة في ميادين التنفيذ ، كمنت مشاكل الثورة وقيادتها مع الأحزاب السياسية التي كانت قائمة آنذاك ، والتي كانت مرجعياتها الفكرية والسياسية في الرؤية السلفية التقليدية : كالأخوان المسلمين ، والرؤية السياسية الغربية : كالوفد ، والرؤية الفكرية والسياسية الموسكوفية التابعة للرؤية الستالينية وأساليبها القمعية في حل الاختلافات الداخلية وحجر التطور الفكري في قفص الرغبة الذاتية : كالحزبيات الشيوعية المصرية .

كان روح قيادتها المتوثبة تتشبث في المرجعية الوطنية المصرية ، وكان الآخرون يسبحون في فضاء المرجعيات الفكرية والسياسية الأخر التي تتلاءم والواقع التاريخي المصري الملموس . . .

كانت الرؤية السياسية الناصرية ترى أزمة التطور في مصر تتمحور حول مشكلات الأرض : أي توزيعها على الفلاحين وإنجاز مهمة الإصلاح الزراعي . وتحقيق التطور العلمي في إحداث نهضة معرفية تحاول اجتثاث شأفة الأمية والتخلف في المجتمع المصري وما يقتضيه ذلك من تعميم القراءة والكتابة والدراسة والمتابعة الثقافية على مستوى الشعب وليس النخبة فقط . وإنصاف العمال لردم هوة تأخرهم في الميدان الإقتصادي

محاولة إنقاذهم من الإستغلال . والعمل على تطوير الواقع النسوي في مصر عبر المنجز المتحقق بالوعي والثقافة والدراسة واحتلال الموقع الوظيفي . فيما كان الآخرون التقليديين : يحلمون بتسلم كراسي الحكم للسير على هوى برامجهم السياسية المتناقضة مع متطلبات الواقع الوطني . . . البرامج السياسية المرسومة في أذهانهم أو المختلفة معها .

3 - تصفية النفوذ الأجنبي - لاسيما الإقتصادي منة - الذي كان يتمترس في العديد من المواقع المصرية الأساسية ، يحتكرها لوحده ويشرف عليها بمفرده . كان تصفية تلك المواقع مهمة راهنة وحيوية لعلاقتها بالتطور المصري الداخلي فكان القضاء على البنوك الأجنبية ، وقرار تأميم قناة السويس ، ومواجهة الرؤية الغربية التي حاولت التحكم بقرار بناء ((السد العالي)) لإحداث نقلة نوعية في حياة الشعب العربي المصري ، وإرجاع عجلة التغيير المصري إلى قمم الإجراء السياسي المعزول عن بعده الوطني والاجتماعي .

4 - وكان إجراء التأميم، والإصرار على عدم التنازل والمضي بمواجهة العدوان الثلاثي حتى الإستعانة بالشعب المسلح من خلال توزيع السلاح للدفاع عن كرامته السياسية ومصلحته الإقتصادية هو الذي جعل من الثورة المصرية : الثورة العربية الأم ومن قائدها الرمز المعبر عن النهج المقاوم للطغيان الأجنبي والإستغلال الداخلي على المستوى القومي العربي، كانت مقاومة مشاريع حلف بغداد باكورة هذه المواجهة ، ولكن البعض الرجعي العربي استطاع - ولو إلى حين - خلط الأوراق جاعلاً من المنافسة بين العاصمة التي يحكمها ومركز القاهرة القومي هو المظهر الأساسي في التناقض . ولكن مع التأميم الشهير للمصالح البريطانية وعلى رأسها قناة السويس والمواجهة العسكرية للعدوان الثلاثي: البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي هو الذي أيقظ المارد العربي القابع بالنفوس وجعله يتضامن مع الرمز المصري/العربي ويلتحق - بهذا الشكل أو ذاك - بمسيرته القومية النضالية .

من هنا ابتدأت مرحلة تعشيق الرؤية السياسية القطرية بالرؤية السياسية القومية لتتماهين في مجرى كفاحي واحد للنهوض القومي العربي ، وهو الذي فرض فرضاً بشعبية واضحة في الكم والنوع الوحدة العربية بين الإقليمين الشمالي [سوريا] والجنوبي [مصر] وبالتالي قيام الجمهورية العربية المتحدة التي كانت أملاً متشوقاً وطموحاً مرتقباً ليملاً الأرض العربية تحراً وتطوراً ، مثلما طير صواب وبريطانيا وفرنسا وإسرائيل وأمريكا ودفعهم للتنسيق مع الرجعية العربية والقوى الانفصالية للتآمر على هذه التجربة الوحدوية التي كانت واعدة .

وزياد في تسليط الضوء على الطابع الأصيل للتجربة السياسية المصرية في التغيير، من الضروري لحظ ما احتواه الدستور المصري المكتوب في بدايات الثورة من مفاهيم ستعمق تالياً مرحلة بعد أخرى على ضوء تبدل نسبة القوى المجتمعية في مصر . . . ويلخص الخبرة التاريخية المختزنة، بناء على قراءة واعية متفائلة، حالمة،

متشوفة للمستقبل، بالقول: ((نحن الشعب المصري: الذي إنتزع حقه في الحرية والحياة ، بعد معركة متصلة ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة من الداخل . . . نحن الشعب المصري الذي إستلهم العظمة من ماضيه، واستمد العزم من حاضره فرسم معالم الطريق إلى المستقبل متحرراً من الخوف متحرراً من الذل، يبني فيه بعمله الإيجابي وبكل طاقته وإمكانياته مجتمعاً تسوده الرفاهية ويتم له في ظلاله القضاء على الإستعمار وأعدائه، القضاء على الإقطاع، القضاء على الإحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، إقامة جيش وطني؛ إقامة عدالة إجتماعية. إقامة حياة ديمقراطية سياسية . . . نحن الشعب المصري الذي يعرف مكانه على ملتقى القارات والبحار من هذا العالم ويقدر تبعات رسالته التاريخية في بناء الحضارة ، ويؤمن بالإنسانية كلها ، ويوقن أن الرخاء لا يتجزأ ، وإن السلام لا يتجزأ)). [9] .

رؤية وطنية وقومية وإنسانية طافحة تطمح للبناء والعمل من أجل غدٍ مشرق في عالم إمبريالي يتربص بالوطن العربي شراً : وقواه المستغلة تملك الوسائل لتنفيذ حلقات تصوره خطوة بعد أخرى . وهي القوة الكامنة في المثال الذي أعطته الرؤية القومية العربي في المرحلة الناصرية للعرب من المحيط المغربي حتى الخليج العربي .

كان فهم المكان ، ووعي الدور ، ومعرفة القدرات ، يستند وبالضرورة ، إلى وجوب معرفة عينية للواقع المعاش في بعده العربي والإقليمي والعالمي، إلى إدراك معنى ومضمون الأرقام المتوفرة ، التي تخص الواقع الإقتصادي والإجتماعي الملموسين ، لم تكن الشعارات السياسية هي الفصيل الأساس في بناء التصورات البديلة . . . لم تكن الأيديولوجية هي المحدد التاريخي للفهم والوعي ورسم التصورات المستقبلية الحاملة ، كان كيفية العمل والنشاط والتحريض هي مهمات راهنة على الدوام . كان وعي المرحلة وفهمها : مصرياً وعربياً ، وإقليمياً وعالمياً ، هي الشروط المطلوبة لتبوء الدور التاريخي والمطروحة تاريخياً أمام إستجابة القائد الجديد لطابع المرحلة ، ضرورة وعي القيادة الجدية لكل ملابسات الحاضر سواء أكان سياسياً أو إجتماعياً ، وبالخصوص وعي قائدها ورمزها المعبر عن النهج الوطني والقومي للتغيير ، لتنفيذ المهمات المطروحة على ضوء التغيير الذي سيحدث .

كان واقع مصر قبل ثورة 23 / 7 / 1952 يقول الآتي : ((كان المناخ الثقافي من قبل الثورة أسير البعد الواحد ، والبعد الواحد ، ولصالح طبقة واحدة ، وكان ذلك جزءاً من المناخ العام السائد في ظل نظام ملكي إستعماري تسوده طبقة متمازجة من كبار ملاك الأراضي وكبار الرأسماليين المتعاونين مع الإستعمار والإحتكارات الأجنبية . كانت الثقافة



غربية تسير في اتجاه الغرب وحده ، كان التعليم أجنبياً لأبناء هذه الطبقة السائدة ، كانت الإنكليزية والفرنسية هما أعلى اللغات صوتاً في مدارس الأثرياء الذين يستقدم لهم المدرسون الأجانب من الغرب)) . [عن الدكتور محمد أحمد خلف الله ، مفكر وكاتب مصري وكان وكيلاً لوزارة الثقافة] .

أما الديمقراطية السياسية وهي تلك الحجة التي يلوكها كل مَنْ هبَّ ودب للانتقاص من تلك التجربة الوطنية والقومية العظيمة في هذه الأيام ، والتي كانت قائمة قبل بزوغ فجر الثورة قبل أن تلغيها الثورة المصرية وفقاً لمزاعمهم ، فيقول الرئيس جمال عبد الناصر عنها وذلك في خطاب مرتجل ألقى في 22 / 2 / 1964 بمناسبة عيد الوحدة :

((الديمقراطية التي كانت موجودة قبل الثورة ، لما كانت الرجعية تسيطر على اقتصاد البلاد وثروة البلاد كانت هي صاحبة النفوذ وكانت الرجعية هي صاحبة الامتيازات كانت الديمقراطية مزيفة ، وكانوا يقولوا أن فيه حرية سياسية أو فيه ديمقراطية سياسية ، لكن الاستغلال والإقطاع ورأسمال المستغل قضى على كلمة الديمقراطية التي قالوها وعلشان كده إحنا بنقول لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقال أن هناك حرية إلا إذا توفرت الديمقراطية السياسية والاجتماعية)) ورأي في تحالف قوى الشعب هو البديل السياسي - الاجتماعي عن التحالف الطبقي بين الإقطاع والرأسمالية الطفيلية أو المستغلة ، وفي ذلك يقول : ((قوى الشعب العاملة التي تحالفت .. العمال ... والفلاحين ... الجنود ... المثقفين والرأسمالية الوطنية ... هي التي قضت على التحكم الإقطاعي وتحكم رأس المال وهي التي قضت أيضاً على الاستعمار والاحتلال البريطاني وهي التي قدّمت أرواحها)) [نقلًا عن مقالة للسيد خيرى عزيز الخبير بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ورئيس قسم الشؤون الخارجية بمجلة الطليعة (المصرية) سابقاً والمعنونة عبد الناصر والاتحاد السوفيتي] .

والأرض التي شكلت القضية الحيوية في تطورات المسألة الوطنية المصرية كان التشخيص للقيادة الناصرية فيها كما يلي : ((كانت مئات الألوف من الأفدنة ملكاً لأفراد معدودين ، بل ملايين الأفدنة ملك لأفراد معدودين ، وكان فيه أفراد يملكوا عشرات الألوف من الأفدنة)) .

وعن الوضع العمالي رأى أن : ((الرأسمال المال المستغل كان يتحكم ، وكانت العملية سهلة جداً ، الرأسمال المستغل يستطيع أنه بيرشي الحكام ، وبهذا يقدر يستغل الحكام)) [عن الكاتب جهاد عودة الباحث بمركز الدراسات

الإستراتيجية في الأهرام في مقالة بعنوان مصر وسائر العرب في إدراك عبد الناصر] . . . إلخ .

لذلك يمكن الإستخلاص على ضوء ضرورة توفر مفهوم المكان في التحليل السياسي التاريخي إضافة إلى أخذ مجمل الظروف الموضوعية التي شهدتها العصر : في الوطن والأمة والعالم ، بنظر الإعتبار القول التالي : عندما يتزاوج الواقع الموضوعي مع الإرادة السياسية فعلاً لا قولاً ، عملاً لا دعاية . . . بتزاوج الواقع الموضوعي مع الوعي الكلي عند القيادة السياسية ستنبثق تجربة سياسية ملهمة للمجموع المهتم بالوطن والأمة ، وليس للجميع الذي يعيش في وسطهما بالتأكيد ، ولذلك يمكن الإستشهاد بالقول التالي الذي سطره المفكر الفقيد إلياس مرقص في كتابه الموسوعي عن العقلانية العربية :

((القومية العربية اليوم وبالأمس وغداً هامة جداً ، جوهرية تماماً ، نسبة لحياتنا ووجودنا ، نسبة للعالم والحاضر والمستقبل ، نسبة للديموقراطية والتقدم الإجتماعي وحقوق الإنسان والسلام العالمي)) . [10] . ((الوجود بمجموعه هو معيار الوعي)) ، [11] ، وإنَّ ((الوحدة تقتضي دائماً الإختلاف)) وليس الخلاف ، و((الوحدة دائماً تقتضي الإختلاف دائماً ، بوصفه أساسها وجذرها وأصلها وعلة وجودها)) . [12] . و((الجهاد الأكبر مؤسس جميع الإجتهدات المستحقة فعلاً)) . [13] .

لذلك ، كما يقول الفقيد إلياس مرقص ، إذ أنَّ الرمز جمال ((عبد الناصر فُكر وعمل ، والجماهير تحرّكت . الجماهير ، كل إنسان فرد ، في وجدانه ووعيه أولاً ، ثم نزل إلى الشارع . ولم نذهب إلى لندن ، فاتحين أو محررين ، لم نغزُ أحداً ، كافحنا الغزو . . .)) . [14] . وتلك ألف باء المفاهيم السياسية القومية العربية في مرحلة القومية العربية الحديثة في فترة الحكم الناصرية وتجربتها الكبيرة ، كما نعتقد ، وليس أقانيم محببة دون وعي فكري بمفاهيمها النقدية .

2003 / 9 / 28 .

يتبع

## المراجع والهوامش لهذه الرؤية

- [1] - راجع كتاب السيد فاضل الربيعي المعنون إرم ذات العماد من مكة إلى أورشليم: البحث عن الجنة، إصدار دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: كانون الثاني / يناير 2000 ، ص 248. وخلالها تبدى، كما يذهب إلى ذلك المؤلف: {تاريخ الصراع حول مكة، الذي، رأيناه، تلخيصاً للصراع حول (الكعبة) . و((امتلاك حق إدارة الكعبة)). البعد الحقيقي للصراع يدور حوله ((في نطاق إمتلاك السلطة في (المكان المقدس) : الكعبة} .
- [2] - من الأمثلة الواضحة على تلك المساجلات الفكرية : مع جمال الدين الأفغاني . علي عبد الرازق . حسين كامل سليم . فكري إياضة . إحسان عبد القدوس . لطفي السيد باشا . إنطوان سعادة . طه حسين . سلامة موسى . محمد فريد ، محمد مصطفى المراغي ، أمين الخولي ، أحمد أمين . . . وغيرهم الكثير .
- [3] - راجع الكتاب الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية ، الذي يضم الأعمال السياسية القومية الكاملة للسيد المرحوم ساطع الحصري ، بيروت / لبنان ، ط 2 ، أيار / مايو 1990 ، القسم الثاني ، ص 1048 .
- [4] - راجع كتاب السيد محمد حسنين هيكل المعنون : المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، الكتاب الأول : الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية - لماذا لم يفاوض العرب ؟ ، - كيف فاضوا ؟ ، الطبعة الثالثة في 3 إبريل 1996 ، إصدار دار الشروق ، القاهرة / مصر ، ص 256 - 257 .
- [5] - راجع كتاب السيد محمد حسنين هيكل المعنون حرب الثلاثين سنة : ملفات السويس ، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1986 م ، الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة - مصر ، ص 30 - 31 .
- [6] - راجع كتاب السيد محمد حسنين هيكل المعنون أكتوبر 73 : السلاح والسياسة ، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1993 م ، الناشر : مركز الأهرام للطباعة والنشر ، ص 7 - 11 .
- [7] - راجع كتاب السيد محمد حسنين هيكل المعنون ملف المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ، عواصف الحرب وعواصف السلام ، الطبعة الأولى ، الكتاب الثاني الصادر في 10 يونيو عام 1996 ،

مصدر سبق ذكره ، ص 32-33 .

[8] - راجع كتاب الدكتور محمد السيد سليم المعنون التحليل السياسي الناصري : دراسة في العقائد والسياسة الخارجية ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت/لبنان ، الطبعة الأولى ، أيلول / سبتمبر 1983 ، ص 194 .

[9] - راجع كتاب الأستاذ محمود كامل المحامي المعنون الدولة العربية الكبرى ، إصدار دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات التاريخية ، دون ذكر لتاريخ الصدور وإن أشارت المقدمة إلى تاريخ أكتوبر 1958 ، ص 396 .

[10] - راجع كتاب الفقيه إلياس مرقص المعنون نقد العقلانية العربية ، إصدار دار الحصاد للنشر والتوزيع ، سورية - دمشق ، الطبعة الأولى 1997 ، ص 818 .

[11] - المصدر السابق ، ص 814 .

[12] - المصدر السابق ، ص 895 .

[13] - المصدر السابق ، ص 804 .

[14] - المصدر السابق ، ص 775 .

جمال عبد الناصر :  
الغائب الحاضر في مرحلة القلق الفكري

بمناسبة رحيل القائد  
الرمز جمال عبد الناصر  
الحلقة الثالثة والأخيرة

سيكون يوم الثامن والعشرين من أيلول في كل عام، يوماً تاريخياً مشهوداً تُفتقد فيه القيادة السياسية المفكرة، الناضجة، المُستوعبة للدروس الجوهرية في تاريخ المنطقة. وما انتظمها من التناقضات الأساسية في العصر الإمبريالي التي كانت تقوده أمريكا، والعصر الاشتراكي من وجهة نظر المنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتي السابق، وحركات التحرر الوطني العالمية المتصادمة مع الهيمنة الغربية . . . صحيح إنَّ الخصائص الذاتية لا تستطيع مواجهة ((الثور الأمريكي الهائج))، ولكنها تمكنت من تحييده في بعض المراحل عبر قوة الموقف السياسي . كما سيظل نهرو وسوكارنو وتيتو ونكروما رايات ترفرف ذكراهم السياسية على رؤوس الملايين في بلدانهم خصوصاً وفي بقية بلدان العالم الجنوبي بشكل عام .

الوعي السياسي والفكري المطلوب لفهم دور القائد والظروف الموضوعية المحيطة به ، ودرجة قصور الذات السياسية الفاعلة . . . وعيٌ مطلوبٌ في مرحلة إهتزاز القناعات السياسية والقلق الفكري والإحباط العام، على مستوى التطور السياسي الموضوعي الذي يشتمل كافة مناحي الحياة : شهادته - ويشهده - وطن عربي ، وخصوصاً في مصر 23 / يوليو . لقد شملت التغييرات في مصر، إبان سيرورة الثورة العربية طوال عقدين، بتأثيراتها السياسية الجوهرية على الأمة العربية جراء وجود وعي الرؤية الفكرية والسياسية لدى الرئيس الرائد الخالد جمال عبد الناصر القيادي فيها . . . وهذا الوعي سيظلُّ مطلوباً طالما إنَّ الأمة العربية حية تكافح في سبيل مستقبلها، سواء أكان القادة حاضرون أو غائبون عن الحياة، المهم توفر الوعي والإرادة والعمل، واستلهام المعاني التي تنطوي عليه هذه الدروس التي

أفرزها الوعي الفكري والإستفادة العملية من هذه الدروس الناجمة عن الممارسة .

كان التاريخ القومي العربي خلال مرحلة 23 / تموز 1952 حتى مرحلة الإرتداد الساداتي . . . مرحلة ممارسات الثورة العربية في مصر : سلبياتها وأخطائها : وهي قليلة نسبة إلى عظم منجزاتها وتفوقها في التغيير الإجتماعي الذي شمل شعب كل مصر ؛ ومفردات رؤيته الفكرية وممارساته السياسية العامتين : هو تاريخ المنطقة العربية كلها ؛ تاريخ الرؤية القومية العربية في المرحلة الناصرية لمشكلات العرب طوال تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية، لقد شكلت وقائعها مفردات التاريخ العربي، وفي المرحلة الحديثة والمعاصرة [طوال القرن العشرين] كانت وقائع التاريخ نتيجة طبيعية لإحتكاك ونزاع متواصل أو صراع محتدم للوطن العربي والشعب العربي ضد بعض دول الغرب السياسي المهيمنة على العالم، الرؤية السياسية القومية العربية ضد الرؤية السياسية الغربية : سياسة المشروع الوحدوي العربية وغاية التحرير. ووحدة الهدف في أغلب المراحل، ووحدة الصف في بعض السنوات ضد المشروع البريطاني - الفرنسي . . . ضد مشروع كيان الإغتصاب الصهيوني . . ضد الرؤية السياسية الأمريكية .

سياسة بناء الذات على المستوى القومي لصالح الحاضر والمستقبل العربي. الرؤية الوحدوية في مجابهة الرؤية الانفصالية هي المكون الأساسي لهذا التاريخ العربي . . .

بمواجهة استمرار الإستغلال الغربي الذي تسلسل منذ القرن الثامن عشر بوساطة الشركات البريطانية والفرنسية والإيطالية، وغيرها، على أرضية ما يُعرف بسياسة إقتسام تركة الرجل المريض الغربية الإستراتيجية، أي الإمبراطورية العثمانية، التي كانت غالبية الوطن العربي ضمن مكوناتها. ويشكل أغلب سكانها العرب جزءاً هاماً وأساسياً من المحتوى البشري للإمبراطورية . . .

بمواجهة الوعي الغربي سياسياً في كيفية صياغة المستقبل العربي، لاسيما مشرق الوطن العربي منه، وفي مصر الذي تتبوأ المنطقة الوسطى والمركزية منه أيضاً . . .

بمواجهة الإتفاقيات السرية بين الأطراف الغربية ، كمعاهدة سايكس - بيكو مثلاً التي تمّ عقدها في عام 1916 . . .

بمواجهة ما نجم عن الوعد البريطاني المشؤوم في عام 1917، من قيام كيان الإغتصاب الصهيوني واستيلائه على الأرض الفلسطينية، وتوسعه السرطاني عبر المستوطنات

الإحتلالية من قبل اليهود الصهاينة المتدفقين من كل أنحاء العالم، من ناحية، والإجلائية لأبناء الشعب الفلسطيني عن وطنهم؛ والإحتلال العسكري الشامل لفلسطين لاحقاً، من ناحية ثانية . . .

بمواجهة كل ذلك كانت القوانين الأساسية تحدد معالم ذلك الصراع التاريخي بين الذات القومية العربية وأعدائها الإمبرياليين الغربيين الذي سيتبوأ قمتها الأمريكيون في مرحلة قطبيتها الجديدة .

ولا شك إنَّ رحيل القائد/الرمز جمال عبد الناصر في أعقاب الإنتهاء من فض القتال بين القوى المناضلة، الصاعدة، من ناحية، ومخلوقات الوجود البريطاني: الرجعية العربية على الساحة الأردنية. من ناحية أخرى، في سياق محاولاتها شدِّ الوضع العربي إلى التمزق والتخلف المحمومة، يمثل دلالة هامة على شكل ومحتوى التطورات التي ترافقت وتلك الفترة على الصُّعد كافة .

كان الوعي الفكري والسياسي للرئيس الراحل قد ترعرع مبكراً، جرّاء الإنتماء للكلية العسكرية، وضرورة لعب الطبقة الوسطى دوراً مشاركاً في الحياة السياسية المصرية، والقراءات التاريخية المعقّنة لوعيه التاريخي المبادر. بعد أن أضى تحالف القصر/ الطبقات المستفيدة من التموضع الأجنبي، مع الإستعمار/الإمبريالية البريطانية على وجه التحديد، في موقع المقرر المتفرد والأساس بالسياسة المصرية الداخلي والعربي والعالمي، أي الإحتلال العسكري لقناة السويس المصرية مع التمرس الإقتصادي المركزي في الداخل المصري .

كما وجد في أفكار منظمة ((مصر الفتاة)) التي تدرج تطورها حتى وصول تلك الأفكار ضفاف العمل القومي العربي. وإيمانه اللاحق بالرؤية الفكرية لأهداف القومية العربية، ضالته الفكرية التي تلائم شخصيته الكارزمية، وتتناسب معها. ومحددات جذور رؤية سياسية وفكرية عن دور مصر التاريخي، باعتبار عبقرية المكان الملهمه لسكانها وقياداتها السياسية الفكرية والعملية. وستصلها الدروس المُستفادة من رحلة تجربة الصواب والخطأ في ميدان ممارسة الحكم والقيادة السياسية على الصعيد المصري الوطني، والقومي العربي المناهض للوجود الإستعماري الفرنسي - البريطاني، والإمبريالي العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. وكذلك على صعيد سياسة الحياد الإيجابي العالم ثالثة، والعمل المشترك جنباً إلى جنب دول عدم الإنحياز على ضوء مفاهيم ورؤية مؤتمر باندونغ في أندونيسيا . ومؤثرات الشخصية العسكرية المبادرة، غير الهيابة، من دون إرتياد دروب المغامرة غير المحسوبة، وتمتعه بروحية الجرأة الجسورة التي هي من المميزات القيادية . . . مؤثرات أساسية على تكوينه التعرضي .

أي سيادة الروح الفروسية الجذابة المتطلعة لفضاء الطموح القومي العربي الواسع المفتوح الأفق من موقع التكامل في الإمكانيات والتناغم في العمل قياساً للواقع الوطني

المصري الصغير قياساً للوضع السياسي العالمي المهيمن عليه من قبل الغرب البريطاني - الفرنسي - أو الأمريكي ، التي مثلتها أفكار الجنرال عزيز علي المصري ، إذ كان مدرّساً له في الكلية العسكرية ، وموجهاً فكرياً وسياسياً ملهماً للمصريين من ذوي النزوع القومي العربي .

مثلاً شكل الموروث الحضاري العربي الإسلامي الدور الأساس المكمل للثقافة الشخصية عند الرئيس القائد الرمز جمال عبد الناصر . والنفحات الفكرية التي ضمتها الكتابات القومية العربية الواسعة ، ومؤلفاته النظرية العديدة ، التي سطرها الفيلسوف القومي العربي المرحوم السيد ساطع الحصري ، الخاصة النظرية الأهم في تفكيره والتراكم المعرفي المساهمة في بناء قناعاته السياسية والفكرية .

كان نهجه الفكري والسياسي يركز على ضوء ضرورة صياغة التكتيل المناسب الذي يتمكن من الارتقاء بالوسائل الممكنة ؛ وتناغم الإمكانيات المتوفرة لمواجهة : عالم قاسي متسلح بوعي علمي شمولي يعرف ماذا يريد ، تقوده بريطانيا وفرنسا أولاً والولايات المتحدة لاحقاً ، وشيد له في مختلف مواقع السلطات القطرية - مثلاً رسخ أقدامه في - {أي هذا العالم القاسي} ، إرتكازات سياسية في الأنظمة النافذة بالمنطقة العربية ، ومواقع إقتصادية عبر البترول وقناة السويس في أغلب بقاع الوطن العربي ، إضافة إلى ما يُسمى بالاتفاقات العسكرية مع أنظمة عربية متسلطة تتيح لقواته الإقامة في بعض الأراضي العربية .

وعدّت مشاركته لشخصيات مفكرة كبيرة في إدارة الوضع السياسي المصري ، العربي ، والعالمي بقدر ما يتعلق بالوضع الوطني المصري والقومي العربي ، واعتماده المعلومة الموثوقة بدلاً من الأيديولوجية المطلقة والمغلقة ، قد زادت ثراء فكره السياسي والتصميم على انتهاج خط الرؤية القومية العربية . لا شك إنه كانت هناك تراجمات وإقتحامات ، دوران والتفاف ، مجابهة وتقدم ، ولكن الهدف السياسي القومي العربي ظل كما هو : ((إذا كانت هناك أمة عربية فذلك لأنها في نضال متواصل ضد الاستعمار وكل أشكال السيطرة)) . [1] .

إنَّ الطريق الموصل إلى ذلك الهدف السياسي يتأسس في الممارسة الهادفة، غير العفوية، ويمر حتماً عبر إنشاء الأداة القادرة على إحداث التغيير: فكان تنظيم الضباط الأحرار، ومن ثم تحديد الأهداف، فجاء كتيب : فلسفة الثورة يوضح تلك الأهداف، والرؤية المطلوب ترجمتها تقتضي بناء القاعدة الإجتماعية المطلوبة والمادية المتناسقة، القوية، المتطورة في بنائها وتماسكها وتحالفاتها وسياساتها الداخلية والخارجية. وقوتها المشتركة المتكاملة على أرضية فكرية وسياسية واضحة، وزرع المثال السياسي الذي يجتذب كل المناضلين في سبيل الأمة العربية،



نشر الأفكار والبرامج والتي هي أحسن، وبصورة مكشوفة، عيانية، ملموسة، غير تأمرية .

كان من سيئات المصادفة العفوية في سيرته المشرقة، إنتساب مَنْ يدْعُون الولاء لرؤيته، والعمل على ضوء توهج صفاته . . . وإمتثاليتهم المقيتة وترديدهم للتعليمات التي يصوغها بعض البيروقراطيين والمتنفذين في التجربة المصرية، لدرجة وصولهم في بعض جوانب السلطة : لاسيما في جهاز المخابرات العامة، بمحاولة بناء فكرة جهاز الدولة الأمني داخل الدولة الوطنية، ونجحوا في مراميهم المسعورة، تمهيداً للإرتداد والتراجع، الأمر الذي كان للرئيس الرائد جمال عبد الناصر شرف محاولة قصصية أجنحتها في أعقاب هزيمة حزيران من عام 1967. والعودة إلى إرتياد طريق الإعتماد على الجماهير التي أرجعته إلى سدة الحكم في يوم إستقالته الشهيرة في أعقاب خسارة العرب العسكرية الكبرى في الخامس من حزيران عام 1967، ولم يستطع إستكمالها بسبب رحيله المفجع . . . كانت مهمتهم التصفيق والتأييد الإمتثالي وليس التصريح بالنقد بغية التصحيح، على العكس من المثال الكفاحي الذي إجتزحه بعض القوميين العرب المناضلين .

يمكن إيراد المثال الوطني الملموس والقومي العربي المجسد للقدوة في هذا المجال ، من السيرة النضالية للفقيد كمال جنبلاط، الذي قابل الرئيس الفقيد ممثلاً للشعب اللبناني في العام 1964، بمناسبة الإنتخابات الرئاسية لهذا البلد العربي المناضل العزيز . . . تقول الرواية التاريخية الموثقة: ((إنَّ جنبلاط كان له رأي يخالف فيه ((الإتجاه (السائد)) الذي كان يميل إليه سفير القاهرة عبد الناصر في بيروت آنذاك: المرحوم عبد الحميد غالب . . . وإنَّ هذا السفير بعدما لمس إصرار جنبلاط على موقفه، إتصل بالقاهرة لتعالج الأمر ، فوجّه عبد الناصر الدعوة إلى الرجل الذي كان يقدره تقديراً عالياً . . . بدأ عبد الناصر اللقاء بعرض عام للموقف ، وكان لا بد أن تأتي لحظة يستشهد فيها بتقارير سفيره في بيروت، فقال ما مفاده: ((عبد الحميد يقول . . . وفوجيء الزعيم الكبير بجنبلاط يقاطعه معتذراً: إسمح لي يا سيادة الرئيس، فطالما أنَّ الموضوع يتصل بلبنان فأنا مَنْ يقول وليس عبد الحميد . . .)) ؛ وكان الرد من الطبيعة ذاتها ، إذ قال عبد الناصر : ((عندك حق يا كمال بيه . . . ولقد وجهتُ إليك الدعوة لأسمع منك ، فأنت أدري بلبنان، وعلى رأيك نبني، ولم أقصد بإستشهادي بما يقوله غالب تبني وجهة نظره أو فرضها عليك، وإنما لنباشر عرض الموقف تمهيداً لمناقشته ليس إلا . . .)) . [2]. هذا مثال مُستمد من الواقع السياسي العربي المعاش خلال المرحلة الناصرية وليس

المذكور استناداً إلى بطون الكتب نستذكره اليوم على أنقاض المثال الذي رسّخه الدعاة المدعّين لا الواعين المبادرين.

والمثال الثاني نستلهمه في عرضنا الموجز لمسيرة هذا القائد الرمز : المسيرة العريضة المكتنزة بالأهم من معالم الحياة السياسية العربية، القصيرة الطول الزمني في معايير العمر البشري . . . نستلهمه من سيرة المناضل العراقي المعروف صديق شنشل الذي بصّر الفقيد الراحل بالواقع العراقي بعيد ثورة 14 تموز العراقية عام 1958، ونصّحه بعدم الغطس في ملاسبات الوضع العراقي الغامض ، وذلك في يوم 19 تموز من ذلك العام [1958] ، فأكد المرحوم جمال عبد الناصر: ((أنا لا أريد أن أحمل تجربة الوحدة بين مصر وسورية تبعات كل هذه المتناقضات القائمة الآن في بغداد ، ولهذا فسوف تجدني على استعداد لأن أقوم بكل عمل من شأنه فتح آفاق التعاون الممكن بين البلدين، ولكن أرجوكم لا تطالبوني بأية خطوة وحدوية الآن))؛ وقال المرحوم صديق شنشل للرئيس: ((إنّ هذا رأيه بالفعل، وإنه جاء إلى دمشق عازماً على إيضاح الموقف إلى جمال عبد الناصر من منطلق قومي، وإنه لو كان لديه اتجاه آخر لنصحه بعكسه، لأنّ الوحدة بين مصر وسورية مُعرّضة للغرق في الموج الضخم الذي يغمر بغداد الآن، رغم إيمانه الكامل بحقيقة الوحدة العربية)). [3] .

إنه ذو وعي فكري وسياسي عميق، بادر بقول الحق منذ إستخلاصه له، وأكد فعلاً وقولاً بما كان يفكر به، دون إزدواجية وصولية أو خوف يعتقل لسانه، ويقين تاريخي بأهمية الوعي السياسي، ودور الذات الفردية القادرة على توجيه النصيحة للفرد القائد - في الوقت المناسب - الذي يسهم بشكل فعّال في صناعة الأحداث التاريخية .

وحاول جمال عبد الناصر الارتقاء إلى المسؤولية المعنوية الكبرى في رتق الصف القومي العربي، ولملمة صفوف قواه السياسية والتي هي أحسن عبر الحوار السياسي ، يوم شهد الوطن العربي انقساماً عمودياً في صفوف القوى السياسية التي تتشكل منها قوى التحرر العربية التقدمية ، كانت سنوات أواخر الخمسينات الماضية سنوات مبادرته الكبيرة في حوارهِ السياسي الموضوعي مع الشيوعيين السوريين بغية تعاون الحركتين القومية والشيوعية من أجل مواجهة العدو المشترك : الإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية.

تحدث المعلومات إنّ البعض التقدمي أقدم على إفشال محاولة الرئيس جمال عبد الناصر لرأب الصدع بين القوى الوطنية والقومية ، وذلك عندما أدير الظهر ((لإيجاد صيغة للتفاهم مع الشيوعيين السوريين حين أرسل كمال رفعت إلى حلب ليفاوض المكتب السياسي بقصد الوصول إلى تسوية سياسية متوازنة

توفر التنسيق والتعاون بين القوى القومية والشيوعية العربية في مواجهة الإمبريالية والصهيونية والقوى المحافظة. ويومها وقف الغالبية العظمى مع التسوية مع عبد الناصر واعترض بكداش ورفيق آخر. والسوفييت وقفوا مع قائد الحزب. وفشلت محاولة رفعت)). [4].

وهناك مَنْ ادعى الولاء العفوي، أو المقصود، غير المدرك لما سينجم عن تصرفه المبادر وممارسته العملية بحكم الولاء الشخصي لقيادة الرئيس جمال عبد الناصر الرمز المعبر عن النهج القومي الثوري العربي، ولكنه أتى بأفعال مضرّة على الصعيد القومي العربي. بدلاً من جعل العمل القومي العربي في إطار التكامل والتعاون على مستوى الداخل القومي العربي، والإسهام بإنضاج التوجه السياسي والفكري المشترك، الذي يعزز الأمل بالجمع لا الإقصاء ويوسع أفقه على المستوى العربي. فمثلاً أقدم بعض الضباط السوريون على إنتهاك أمانتهم التاريخية، ومارسوا العقوق بحق وظائفهم الخدمية :

وتجلى ذلك العمل باعتقادٍ فكري غير واعٍ إنهم يخدمون العمل القومي العربي في نسخته الناصرية... يقول السيد عبدو الديري في صحيفة ((العرب الدولية)) التي تصدر بالعاصمة البريطانية : لندن . [5] . إنَّ الدولة العراقية المحكومة من قبل الزعيم عبد الكريم قاسم كانت تحرص على دعم الدولة الجزائرية الوليدة بعد مرحلة الكفاح المسلح، ونجاحها أيضاً ، بإرسال المساعدات العسكرية المتنوعة ، التي كان من بينها الدبابات القتالية، إنَّ ((العراق في عهد عبد الكريم قاسم الموسوم بالقطرية ، وكانت ترسل المساعدات العسكرية للجزائر عبر ميناء اللاذقية ، وكشاهد وبصفتي ضابط الارتباط آنذاك أقول : لم تُلغ محاولة مسح عبارة ((هدية الجيش العراقي)) من على صناديق الأعتدة والأسلحة واستبدالها بعبارة ((هدية الجمهورية العربية المتحدة)) حقيقة ((مساهمات العراق القومية لتحرير الجزائر)).

إنَّ هذا الاعتراف المتأخر ، ومجمل التصرف ذاك كان يقيناً عمل مضاد للرؤية القومية العربية في مرحلتها الناصرية ، وألحق الأضرار المعنوية في بناء علاقات قومية وأخوية بين الأقطار العربية على الضد من رغبة ورؤية جمال عبد الناصر القومية ، التي كانت تلح على ضرورة الإجتماع بعبد الكريم قاسم أينما كان وفي أي وقتٍ يشاء . كما تقول الوثائق التي أفصح عنها السفير العراقي في القاهرة : الأستاذ فائق السامرائي في كتاب إستقالته . [6] .

والتعارضات السياسية بين القائد جمال عبد الناصر والمثقف الصحفي ، أي غير المرتزق : محمد حسنين هيكل - مثلاً - وحلها على أرضية الحوار الصريح ، والتكامل والإستكمال والإغناء ، أشهر من تُذكر ، خاصة وإنَّ الكاتب السيد هيكل تعرض

للأمثال المتعددة منها في العديد من كتبه التي كان آخرها الكتاب الحوارى المشترك بين الأديب السيد يوسف القعيد والأستاذ الكبير ، [7] . وكذلك مع الدكتور محمود فوزى والسيد فريد عبد المجيد} . وهو المثل الثالث الدال على هذا المنحى التجريبي للقائد السياسى الوطنى الديموقراطى فى الممارسة العملية للقيادة .

الواعى العميق والمستوعب المنفتح لدروس التاريخ والجغرافية هو المحرض على محاوره ذوى العقول السديدة المخلصة . وقيل قديماً : ((إن الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق)) أى من الأعداء فى المرحلة الراهنة فكيف بالمفكرين المخلصين النزيهين المبادرين غير الإمتثاليين ؟ . مثلما قيل أيضاً : ((مَنْ استَبَدَّ برأيه هلك ، وَمَنْ شاور الرجال شاركها فى عقولها)) .

ولابد من التوقف أمام كيفية تعامل القائد السياسى والرمز للنهج النضالى مع القضية القومية للأقليات فى الوطن العربى من موقع التعاطى معها على ضوء مسألة الأوليات ، لمعرفة الطابع الإنسانى للفكر القومى العربى تجاه هذه المشكلة السياسية ، فقد وقف هذا القائد من القضية الكردية فى جزئها العراقى : أى تجاه جزء من القومية الكردية العامة ، تمارس عملها فى ظل نظام يشكل حليفاً له . بهذه الدرجة أو تلك . ويرتبط به فى اتفاقيات سياسية ، وتشده به علاقات سياسية وطيدة :

هو نظام الأخوين عبد السلام عارف - عبد الرحمن عارف العراقى منذ الثامن عشر من شهر تشرين الثانى فى عام 1963 - 1968 ، ومع ذلك اتخذ الموقف القومى المبدئى والإنسانى العادل ، وأعلن بأحقية الشعب الكردى فى العراق فى إدارة حياته الخاصة ، وضرورة ممارسته حقوقه القومية لا سيما السياسية والثقافية ، ولكنه حذر فى آن واحد من المخططات السياسية : الغربية والصهيونية ، من إستغلال القضية القومية الكردية ، مثلما حذر من سياسة أتباعه فى المنطقة المجاورة للوطن العربى ، ومن سياسة الشاه على وجه التحديد ، ورغم المعلومات التى يمتلكها عن هذا التدخل ، ووقوع قيادتها فى شرك المخططات الأجنبية . إلا إنه لم يستند على تلك المعلومات ، كمبرر وذريعة لاتخاذ سياسة لا تتوافق مع منطق العدل الإنسانى والمنطق السياسى العادل والمنصف فى التعامل مع القضية القومية ، وبالتالي يصدر أحكام الإدانة على هذه القضية القومية .

وبهذا الصدد يقول السيد جلال الطالبانى فى شهادة على توجه هذا القائد سياسياً ومبدئياً ، لقد ((ظلَّ على الدوام حريصاً على الأخوة العربية الكردية ، وعلى وجوب تعزيزها ، وتمتينها وتجنب كل ما يسيء إليها أو يضعفها ، وظل يدعو دوماً إلى التلاحم الكفاحى العربى الكردى ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية العميلة)) وأكد على ((ضرورة تجنب المزالق التى تؤدى إلى وقوع القومية الكردية فى صف الرجعية والسنتو من حيث يريد الوطنىون الأكراد أو لا يريدون)) ، ورأى من الضرورى ، كما يؤكد

الطالباني ، توضيح موقف الحركة القومية الكردية داخل العراق من مسألة الإنعزال والانفصال و عدم ((تقطيع أوصال العراق)) . [7] .

وإذا كان البعض القومي العربي المنظم وفي ظل حياة الفقيد جمال عبد الناصر قد إنتقل من الإمتثال التام للشخص/الرمز ؛ وإنقلب عليه في أعقاب الخامس من حزيران عام 1967 - وقد يكون ذلك ناجم عن الأوضاع المالية الداعمة - بدرجة 180 ، أي الإنتقال من الشغف بالرؤية الناصرية والدعاية لها عبر إجترار مقولاتها ، إلى الصراخ بعجزها المطلق كونها ((بورجوازية صغيرة ؟!)) . [8] .

فإنّ البعض الآخر وفي أعقاب غياب القائد الجسدي وبقاء حضور وعيه السياسي مرفرفاً على الكثير من رؤوس الناصريين وفي تلافيف عقولهم الفكرية والسياسية ، مارس النصب والإحتيال على إختياراته الفكرية والسياسية والإيمانية ، ويتجلى المثال صارخاً هنا من التجربة السياسية التي يمرُّ بها عراق اليوم عبر إستناده على مقولات الغرب الأمريكي الدعائية ، والدعوة للتجزئة التي ستفضي لها نجاح البرنامج الأمريكي - الصهيوني ، بعد إنجاز وعوده/آماله في إحتلال العراق ، خدمة المشروع الصهيوني أساساً ، وبما يؤدي للتفتيت إلى أشلاء شمالية ووسطى وجنوبية . وعى ذلك البعض أم لم يعُوا ، فالسياسة علاقات موضوعية في أغلب الأحيان ، وكل ذلك يؤكد عدم إختمار الفكر الوحدوي العربي في نسختها الناصرية في قناعات هذا البعض السياسية ، ولم يترسخ - كذلك - تصوراتها الفكرية في ذهنهم ، إن لم نقل إنهم تسلقوا على الفكرة والنهج لأسباب إنتهازية بحثة . . . فهل يستقيم القول بالالتزام الفكري القومي العربي مع التعاون مع الغزاة الأمريكيين للأمة العربية وأحد أقطارها الفاعلة : العراق ؟ .

فالجوهري عند الفكر الوحدوي الناصري هو معاداة الغرب السياسي الإستعماري له ، التحالف المعادي للأمة العربية هو الإمبريالية وسلطتها الكونية الممثلة للقوة الغاشمة : الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى حاشيتها : كيان الإغتصاب الصهيوني والقوى العربية الرجعية والمجاورة لها ممن ترتزق بحمايتها وقواعدها وقواتها ، هدفها المعطن تمزيق الوطن العربي ، أكثر مما هو ممزق ، وتفتيت المجتمع العربي ، طائفياً وأثنيّاً ، خدمة لإسرائيل وبرامجها : الثابت الأمريكي الإستراتيجي توفير الأمن لها وإعتراف العرب بكيانها المغتصب .

فالإمبريالية الأمريكية ، إذن ، تهدف السيطرة على الأمة العربية . وتذير قوتها الحالية والكامنة . وإبقائها متأخرة متخلفة تابعة في حياتها ومعاشها أيضاً ، بما يؤدي إلى شلّها وفرض الشلل عليها . تمهيداً للإستحواذ على خيراتها كلها ، والواقع القائم الذي تُوجّ

بتوجيه ضربة كبرى للأمة العربية المناضلة في سبيل صيرورتها تعمل في سبيل ذاتها . . .  
مثلاً وجه الضربات المتتالية للفكر القومي العربي والتجربة الناصرية ، دفع بالسيد محمد  
حسنين هيكلاً للإستخلاص التالي ، بناءً على قراءة تاريخية متمعنة عميقة : إنَّ  
((المحاولة المستميتة لضرب قوى التغيير والتقدم في العالم العربي لم  
تتوقف ، والسبب واضح هو إنَّ القصد المقصود ليس معركة ضمن  
معارك ، وليس رجالاً ضمن رجال ، ولكنها فكرة ((مستقبل)) يخشاها  
الذين يحاولون إرغام الأمة على الركود والقعود . . . )) . [9] .

إنَّ تشابه برنامج الضربة الأمريكية - الصهيونية للتجربة المصرية في  
عام 1967 ، والضربة الأمريكية للعراق في عام 1991 - التي أُستكملت  
في عام 2003 على هيئة سطو واحتلال - كبير جداً ، فالتاريخ أكد أن  
هناك تنسيقاً كلياً بين الولايات المتحدة والكيان ، و((مؤسسات الإدارة  
الأمريكية كانت توافق الرئيس بصفة عامة على الخيار الذي استقر  
عليه)) [10] طوال أعوام 1965 و1966 و1967 . مثلاً أكدت الوقائع  
إنَّ الخطة الأمريكية كانت تستهدف نهضة التقدم والتنمية والقوة  
العسكرية في العراق والثروات الطبيعية فيه . وفي خدمة الكيان  
الصهيوني من الألف إلى الياء .

يقول جورج بوش الأب : ((إنَّ الولايات المتحدة تتمثل مصالح إسرائيل  
في كل تصرفاتها ، وفي الوقت الحالي فإنَّ الأحداث تجري لصالح  
إسرائيل دون أن تفرض عليها تضحيات لا داعي لها ، وهذه يناسبها  
أكثر . )) . [11] .

وإذا علمنا إنَّ السيد بول وولفويتز نائب وزير الدفاع الأمريكي الحالي هو ((جنرال  
سابق - يهودي - لعب دوراً مهماً في حرب الخليج كضابط اتصال بين  
قيادة التحالف وبين رئاسة أركان حرب جيش الدفاع الإسرائيلي ، وكان  
المسؤول عن مطالبة بهذه الصفة في إسرائيل طوال شهري يناير  
وفبراير 1991 ، وكان هو المسؤول عن مطالبة القيادة الإسرائيلية  
السياسية والعسكرية بأهمية ضبط النفس وعدم الرد على صواريخ  
عراقية وجهت إلى عدد من المواقع في إسرائيل مذكراً الجميع في تل  
أبيب بأنَّ إسرائيل أول مستفيد بتدمير القوة العراقية ، وبدون تكلفة  
عليها في الموارد أو في الدم)) . [12] . يؤكد ما ذهبنا إليه في ما تقدم :

من إستهداف أمريكي صهيوني مشترك للعراق ، وما برنامج البحث المستمر عن ما يُسمى بأسلحة الدمار الشامل الذي كان - دون النظر في الرؤية الكلية لقرارات مجلس الأمن على أرضية الشرعية الدولية - الذي لن ينتهي إلا بتمزيق العراق وإرجاعه لعصر التخلف الحجري ، وفق ما أعلنه وزير الخارجية الأمريكي الأسبق : جيمس بيكر ، وتدمير البشر العراقي ، وواد حضور علمائه المبدعين في النهضة العلمية العراقية ؛ والقضاء على القوة العسكرية التي حققت بعض التوازن الإستراتيجي في المنطقة ؛ والسيطرة على ثرواته الكامنة في الأرض وفوق الأرض أيضاً . . . سوى تشابه في تحقيق الهدف الأمريكي الغربي - الصهيوني للقضاء على المستقبل العربي { هذه هي الصورة التي كتبناها في السنوات الماضية ضمن هذه المساهمة التي تعد الحلقة الثالثة من هذه المقالة . . . } أي قبل الإحتلال للعراق ونشرناها في صحيفة ((القدس العربي)) بتاريخ 24 / 9 / 2002 وبالعدد المرقم 4154 { .

إنّ هذه الصورة الموضوعية لتطور الأحداث المتوقعة ، وإعلان كيان الإغتصاب الصهيوني المُتكرر عن إستعداده بالإشتراك في الضربة الأمريكية : يفرض على كل من يلتزم الفكر الوحدوي العربي ، لاسيما الخيار الناصري في الإستقلال والتنمية والتحديث والتطوير والحرية والوحدة والتقدم ، بغض النظر عن مشاعره الذاتية الخاصة ، المساهمة عبر التحريض والعمل ، في معركة الأمة العربية التي يشتد أوارها على الساحة المشرقية العربية : العراق ، من أجل دحر المعتدين الذين يريدون بالوطن شراً ، والحفاظ على وحدة المجتمع ، والدولة { كتبنا ذلك قبل الغزو الأمريكي والإحتلال الذي أدى إلى إفلاش الدولة العراقية التي كان أول خطوات تأسيسها تبلورت بعد ثورة عام 1920 المباركة ضد البريطانيين وقواتهم الغازية - ملاحظة نذكرها بمناسبة نشر الحلقة الثالثة من هذه المقالة } { الناظمة لعملهما ، وصيانة القيم التاريخية لأمتنا العربية وحضارتنا الإسلامية العظيمة . . . ضد إدارة الولايات المتحدة السياسية صاحبة القطبية الوحيدة في العالم ، المنفلتة العقل من الشرعية الدولية : الفاعل الأساسي في عملية إنتاج نظام الهيمنة الغربية مجدداً تحت شعارات سياسية تدجيلية على ضوء الممارسة العالمية لها . وما لحق بقضية الشعب الفلسطيني مجرد شاهد

شاخص يتكرر على الدوام في ظلّ الهيمنة العالمية للقطب الأمريكي  
الواحد .

2003 / 9 / 29

---

الهوامش والملاحظات والمراجع



[1] - راجع كتاب التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (1952 - 1970

الدكتورة مارلين نصر ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت/لبنان ،

أيلول/سبتمبر 1981 ، ص 158 .

[2] - المقال الافتتاحي الذي كتبه السيد طلال سلمان لصحيفة ((السفير)) اللبنانية ،  
الصادرة في 1999/8/16 .

[3] - راجع كتاب محمد حسنين هيكل ، حرب الثلاثين سنة / 1967 ، الجزء الأول :  
سنوات الغليان ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ط 1 عام 1988 ، ص 378 -  
379 .

[4] - راجع كتاب حركة القوميين العرب : نشأتها وتطورها عبر وثائقها 1951 - 1968 ،  
الكتاب الأول 1951 - 1961 ، الجزء الثالث ، تحرير السيد هاني الهندي وعبد الإله  
النصراوي ، إصدار مؤسسة الأبحاث العربية ، الطبعة الأولى ، لبنان/بيروت عام 2003  
ص 39 .

تجدد الإشارة إلى أننا تناولنا هذا الكتاب بالعرض النقدي في المقالة المنشورة بتاريخ  
على العديد من المواقع الكمبيوترية التي منها & www.al- www.kitabat.com  
& www.nadyelfikr.net ahwaz.com . والمعنونة : كتاب أول ووثائق : حركة  
القوميين العرب نشأتها وتطورها عبر وثائقها 1951 - 1961 .

[5] - راجع العدد الصادر بتاريخ 5 / 8 / 1998 .

[6] - راجع كتابنا المعنون ثورة 14 تموز 1958 : وعدٌ لم يتحقق كاملاً ، إصدار  
منشورات جريدة ((نداء الوطن)) منبر الرؤية الوطنية . . . صوت التيار الوطني ، الطبعة  
الثانية الصادرة في أوائل كانون الثاني 2003 ، لإمتلاك نظرة موضوعية على  
ملايسات الصراع بين المركزين المتحررين : القاهرة وبغداد بشكل عام  
وخصوصاً على الصفحتين 26 - 27 . أما الإطلاع على محتوى مكثف لتلك الرسالة  
ودور السيد فائق السامرائي فيرجى الإطلاع على نصها في كتاب السيد العميد المتقاعد  
خليل إبراهيم حسين الذي دَوَّنَ فيه : موسوعة 14 تموز ، في جزئها الثاني المتمحور حول  
ثورة الشواف في الموصل ، وتحت عنوان : الصراعات بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين  
ورفعت الحاج سري والقوميين ، الموقف في بغداد عند إعلان الثورة ، الصادر في بغداد  
1408 هـ - 1988 م ، ص 136 - 148 .

[7] - راجع كتاب الروائي المصري الأستاذ يوسف القعيد المعنون محمد حسنين هيكل  
يتذكر : عبد الناصر والمثقفون والثقافة ، إصدار دار الشروق ، الطبعة الأولى 1423 هـ -  
2003 م .

[8] - خيرٌ من مثل هذا الإتجاه السياسي والتوجه الفكري فريق مجلة ((الحرية)) اللبنانية  
، بقيادة محسن إبراهيم ومحمد كشلي ونايف حواتمة ، وببغاوتهم التنظيمية في

بعض أقطار الوطن العربي التي تطرق إلى أسمائهم كتاب : حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية الصادر ببيروت في أوائل السبعينات ، الذين وضعوا معايير سياسية جذرية وفكرية يسارية طفولية وطبقية بروليتارية وقطرية إنعزالية لمحاكمة ظاهرة طبقية بورجوازية وطنية عربية ومظهرها السياسي : ديموقراطي ثوري وقومي عربي . . . يعتبروا المادية التاريخية الأوروبية المجردة عن الواقع العربي المكاني ومقطوعة الجذور عن المرحلة الزمانية المقياس النظري لرؤية التطورات السياسية والفكرية في المنطقة العربية من دون التفكير بالروحانية والوحدوية والانفصالية لتطورات الموقف العربي وأسباب الصراعات في الوطن العربي ، ليرسموا خطأ سياسياً مبنياً على أوهام الرغبة والإرادة الذاتية الأيديولوجية الصرفة .

[9] - راجع كتابه المعنون حرب الثلاثين سنة 1967/ ، الكتاب الثاني الذي يتكون من جزئين : الأول بعنوان سنوات الغليان . والاستشهاد مقتطع من الجزء الثاني : الانفجار ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط 1/ 1990 ، القاهرة ، ص 11 .

[10] - المصدر السابق ، ص 493 .

[11] - محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج : أوهام القوة والنصر ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط 1 / 1992 ، القاهرة ، ص 528 .

[12] - راجع كتاب السيد محمد حسنين هيكل المعنون نهاية طرق : العربي التائه ، الصادر عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي ، الطبعة الثانية 2002 ، القاهرة - مصر ، ص : 65 .

#### # - ملاحظات لا بد منها :

عندما نشرت مقالتي التقويمية السابقة للرمز القائد جمال عبد الناصر ، بمناسبة اندلاع ثورة تموز - يوليو المصرية في أواخر شهر تموز عام 2003 فقد كنت أتوجه للمجموع الوطني القطري والقومي العربي بإعتقاد فحواه : لا بد من تعميق الذاكرة بمفهوم الوعي الفكري والسياسي ، ولكن البعض - ربما كان ذلك قد نجم عن قلة الدراية بكتابتنا المستمرة - ظنَّ أنني ((لا أعلم أنَّ عبد الناصر توفاه الأجل)) لذا رأى من الضروري أن يخبرني بأنه ((لن يعود مهما كتبنا)) .

ما غاب عن السادة الأفاضل الذي رأوا غير ما أراه من ضرورة التركيز على الوعي الفكري والسياسي والاستفادة من دروسنا العملية والفكرية الناجمة عن تجربتنا الخاصة ، لأنني ، كما أومن منذ فترة تاريخية طويلة

: حقيقة أن : ((الذاكرة وعي الماضي وإستلهاام دروسه لوضع الحاضر في المستقبل . إنَّ أمة بلا ذاكرة هي أمة بلا مستقبل)) وهي مقولة مركزية في رؤيتنا الفكرية والسياسية ، وقد صغتها كشعار مركزي لكي يعتلي مقدمة واجهة نشرة ((الذاكرة)) التي كنت أصدرها قبل صدور جريد ((نداء الوطن)) منبر الرؤية الوطنية ، صوت التيار الوطني .

لذا كان الرجوع للماضي دائماً للاستفادة من دروسه الإيجابية وتخطي السلبيات في الممارسة السياسية اليومية والمرحلية ، التكتيكية والإستراتيجية من إهتمامي الدائم . الخ .

# - وتطرق أحد الأفاضل بنصيحة سياسية تمحورت حول ضرورة إتخاذ القوميين العرب موقفاً سياسياً وفكرياً يقلع عن الاعتراض الغبي على العولمة ونظامها ، وعدم مناوئتها كأفكار ومفاهيم ومقاومته كمارسات تستهدف صياغة دولة من غير حدود ؛ وسوق مفتوحة على مصاريعها بلا قيود ؛ وإعلام غير مراقب بما فيه نشر الإباحية والشذوذ الجنسي التي لن نقبلها لعوائلنا وفق معايير الحضارة العربية الإسلامية . [ كما أعتقد ] .

وكأنَّ المسألة تنبع من إرادة ذاتية ، وليس المنبثقة من التحليل الملموس للموقف السياسي الملموس لإشتقاق المهمات الوطنية والقومية : السياسية والفكرية في اللحظة التاريخية والمكان محدد .

المهم في هذا المجال : أمل من المنتقد أن يعرف أنَّ القوميين العرب على مختلف مستوياتهم المفكرة ، قد إطلعوا على مفاهيم العولمة ، وإنَّ إتخذوا موقفاً منها فهو موقف قد نجم عن دراسة وتمحيص وتحسباً للنتائج التي ستفرزها ، ولعل مراجعة الكتاب الشامل الذي ضم العديد من وجهات النظر حول العولمة يبين أهمية المعرفة والوعي من وجهة نظر القوميين العرب .

ذلك الكتاب الذي صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت/لبنان بتاريخ حزيران / يونيو 1998 . وطُبِعَ للمرة الثانية بعد ستة أشهر . والمعنون العرب والعولمة : بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، والتي إشتراك فيها عشرات الباحثين العرب والتي تمحورت حول المواضيع التالية : القسم الأول : الإطار العام لظاهرة العولمة : وتناول فيها : في مفهوم العولمة . العولمة والتطور التقني . العولمة والدولة . الولايات المتحدة والعولمة : معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين . إسرائيل والعولمة : بعض

جوانب جدلية العولمة إسرائيلياً . القسم الثاني : العولمة في الإطار العربي وفيه : العرب والعولمة : العولمة والهوية الثقافية ، تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي . العرب والعولمة : العولمة والاقتصاد والتنمية العربية . العرب والعولمة : ما العمل .

فَمَنْ يقدم النصيحة أمل أن يكون مطلعاً على بعض ما ينتجه الفكر القومي العربي في المجال المنقود الذي يعد كتاب : ((العرب والعولمة)) ذي الخمسمائة صفحة تقريباً ، ومن القطع الكبير ، الإسهام الأبرز فيه : وهو غيظٌ من فيض . والله الأمر من قبلُ ومن بعدُ .

المساهمة الثانية التي كتبت بمناسبة أخرى

**العودة للأبهى من التاريخ العربي المعاصر**

## يحيي الأمل في إرتياد دروب المستقبل

- 1 -

### الحلقة الأولى

#### في ضرورات الوعي السياسي الصادق والأمين

للماضي التاريخي دروس جمة وخبرات غزيرة لمن يريد أن يدرس ويتفكر ويتبصر ، في سياق العمل الجهادي من أجل الوصول **إلى المستقبل الأفضل والأحسن والأكثر تطوراً وتقدماً** ، وتبرز هذه الحقيقة في فترات الإنكسار السياسي ، حيث يتم الرجوع إلى صفحات الماضي ، وخصوصاً الزاهية منه ، من أجل بذل المزيد من جهود التعبئة والحشد والمواصلة ، وبغية تضميد الجراح ومعاودة بناء الذات والإلتفات إلى الخلف لمعرفة كل الظروف التاريخية والجغرافية التي أحاطت بالممارسات لإستكناه معاني التجربة كلها : الأخطاء العملية والخطايا - إن وُجِدَتْ - التي أدت إلى **النتائج السياسية التي صرنا إليها** وخصوصاً ظروف ما بعد الإنكسار ، أو الأعمال الصائبة التي حققنا معها النجاحات السياسية المتوالية المتتالية .

إذ أن التاريخ السياسي البشري المُعاش في مرحلة تاريخية / سياسية معينة تنطوي تفاصيله ووقائعه حتماً على الصفحات المزدوجة : **السلبية والإيجابية** ، ومعرفتهما المتفكرة من أجل **إستلهام الدروس العينية** ، لا الأيديولوجية ، ستزينا خبرة مكتسبة حتماً على المستوى السياسي والمعرفي ، وذلك لإمعان النظر في ملابسات الحاضر أو المستقبل ، وفي سبيل التوجس الحذر من أجل قطع المسافة بين الحاضر والمستقبل ، وكذلك للتواصل بين شاطيء الوطن والأمة من خلال تلمس الآتي من الطرق المتبصرة ، والتبصر - بالمعنى اللغوي - هو العمل الرشيد والمتواصل - وفي حالتنا الملموسة - **من أجل ما ينبغي عليه أن يكون المستقبل السياسي في المنطقة في إطار الصراعات العالمية عليها وفيها** .

وقراءة الماضي بصورة متفكرة وعميقة وللفائدة من أجل العمل السياسي المستقبلي ، ينبغي أن يتحدد في الموقع الملموس ، لا التلهي في العموميات والصراخ الأجوف حول هذا الجزء من التجربة أو تلك الممارسة المقترضة من سياقها التاريخي ، بالإستناد إلى بعض الكتب الممعة في ذاتيتها الخاصة ، إنما يجب أن تنطلق من القراءة الواعية والأمانة والصادقة تقتضي . . . أي **إعمال العقل البشري الإنساني في الكل المنطقي**

**لأي حدث وخصوصاً التاريخي منه** ، من ناحية أولى ، وإيجاد المقارنة مع نظائر هذا الحدث التاريخي في المواقع السياسية الأخرى ، من ناحية ثانية ، والتدقيق في طبيعة الظرف السياسي التاريخي العالمي ، ومراحل تطورات أو نكوصه في بعض البلدان العالمية سواء أكانت مؤثرة في الوضع العربي أم غير مؤثرة ، من حيث الصعود والتقدم أو الهبوط والتقهقر ، من ناحية ثالثة .

وقراءة سياسية مدققة هذا واقعها الخاص ، وطابعها العام في الآن نفسه ، يجب أن أن تستبطن وبالضرورة الجانبين : السلبي والإيجابي الذي يسود في كل الممارسات العالمية

وفي مختلف المناطق ، كونه في جانب منه يستظل براية دولية من حيث القطب الذي يُسير الآخرين على ضوء مصالحه الإستراتيجية بعد تزيينها أيديولوجياً مخاتلاً لإظهارها في موقع الأطروحات السياسية والفكرية الحسنة جراء تزويقها وهندمتها وتبهيرها بدرجة خاطفة لأبصارنا ، **بما يؤدي لإيقاف مفعول ملكة العقل وضرورة سبر غورها عميقاً بحثاً عن مصالحنا الوطنية والقومية والحضارية حتماً ، واستنطاقاً للأفعال الإيجابية لتوظيفها في أي عمل منشود ، وجعلها - بدلاً من إشغاله وإلهائه في قضايا ليست حيوية لوطننا وأمتنا وحضارتنا - على ضوء ذلك الهدف السياسي المطلوب ، ممارسة عملية في إطار الدعاية السياسية التي تناسب مصالحه السياسية - ومن ثم على كل الصعد - وتنسجم مع رؤاه السياسية الإستراتيجية حكماً .**

من هنا أي بعد المعاينة التدقيقية ، يمكن القول عن ذلك ((الزعيم)) أنه كان ظاهرة دخانية لا تلبث أن تزول ، أو عن هذا ((الفرد السياسي النافذ : فكرياً أو عملاً)) صاحب وجهة نظر إستراتيجية ، يترك بصماته على صفحات التاريخ وسنوات الزمن المتقادم كونه وحيد الاتجاه ، سلباً أو إيجاباً ، **قياساً إلى منظومة التزاماته الفكرية والسياسية ، وممارساته العملية في الواقع السياسي الملموس والظرف السياسي العالمي المعاش** ، فالذين بقوا قادة تاريخيين في نظر شعوب أقطارهم : الوطنية والقومية هم أصحاب فكرة تاريخية جديدة أو مرتبطين ((بفكرة من الأفكار التي يمكن أن تؤثر في التاريخ وقد تغيره أو لا تغيره ، ولكنها تبقى من الأفكار الجوهرية والأساسية في تاريخ البشرية)) ، [1] ، [ص 93 من كتاب هيكل] ، من جهة ، أو ذلك ((الفرد السياسي)) الذي يتحدث من موقع تجربة الأنا تعبيراً عن الذات أو تنفيساً لها ، من جهة أخرى ، وعبر صفحات سطرها لا يستطيع تجميع أنصار له سوى محازبيه أو المعجبين به ، كونه غيمة سياسية مادية شخصنت الأمور أو مُزنة فكرية معنوية قد عبرت في التاريخ العالمي سواء روت وأمطرت أو خربت وأغرقت ، من دون أن تترك أي أثر جوهري في عموم التطورات السياسية .

**فلكل ما نوى ورأي وعمل وأثر . ومن هنا نبعت فكرة ((الزعامة التاريخية)) أو بعبارة أخرى تجسد مفهوم الرمز البشري المعبر عن النهج السياسي العام الذي يلامس المفاهيم الوطنية ، وتبدت في كل تجلياتها وآفاقها ومضامينها الترجمة العملية لتلك المفاهيم ، قبالة الرمز البشري الذي يمثل ظاهرة جزئية في أحد معايير المعرفة الإنسانية .**

فنجيب محفوظ ، مثلاً ، على ما في رواياته الغزيرة من أفكار ووقائع عن بشر أسوياء أو غير أسوياء ، ومختلف ضروب الشخصيات التي نتلمس حقائقها المثيلة القريبة منا والتي تعيش بيننا ، **هو الرمز المميز والمؤثر** في صيرورة الرواية العربية الواقعية أو العملية في الواقع القائم ، لم يكن إنتاجه الثقافي مستورداً من الخارج المكاني للقاهرة : العاصمة المصرية ، كانت ثلاثيته تلمس واقعاً شاخصاً وقائماً فيها كل تفاصيل التاريخ

المصري ، الواقع المصري ، دون أن يعني ذلك التاريخ إرتقائه للواقع الفكري والنظري الشاملين ، وأحسب أن ((السي سيد)) هو خاصية مصرية / عربية أفرزتها التطورات الاجتماعية في المنطقة ، وواقعية نجيب ونمطه المدرسي في الرواية تهّم رواد وأتباع هذه المدرسة بالدرجة الأساسية ، التي سرعان ما يطوي آفاقها تطور المدارس الأخرى التي ستؤثر في طبيعة هذه المدرسة وجنسها الأدبي وتغير اتجاهات المهتمين بهذا الصنف من الأدب ، وبالتالي سيلفها النسيان العام في المستقبل الزمني ، عند جميع القراء ، ما خلا المهتمين بها والمتخصصين في سيرورة تطوراتها .

**بينما سيبقى الرمز البشري في النهج السياسي العام ملازماً للشعوب المعنية بتطور معين تمر في مراحلها ، تستذكره دوماً طالما كان دوره في مفاصل تطوراتها بارزاً ، ومؤثراً في تدافعاتها المرحلية ، ورمزية القائد جمال عبد الناصر قائد ثورة يوليو عام 1952 كمثال حسي وملموس ما تزال متألفة عند المجموع السياسي والاجتماعي العربي تقرأ حاضرها على ضوء ممارساته التي سادها منطق ((الخطأ والصواب في الممارسة السياسية)) طوال فترة حكمه ، وهي قرينة نظرية وعملية سادت سيرورة التاريخ المصري كله ، منذ ما بعد تأميم قناة السويس وحتى خلوده في عالم الغيب الذي ما يزال متاثراً في عالم الكتب وأفكار الأطروحات السياسية على وجه الخصوص .**

لقد إختل القائد / الرمز جمال عبد الناصر نهجاً وطنياً وقومياً على المستوى السياسي جسّد طريق البناء على المستوى الذاتي المصري والعربي ، في إطار مواصلة الصراع ضد الإمبريالية العالمية التي رأت فيه خصماً عنيداً مؤثراً على العالم ، وإذا كانت أفعاله السياسية على المستويين المصري والعربي جعلت منه ((الشخصية السياسية الكارزمية والرمزية)) التي تمثل كل الأفراد العرب في الغرب ، وغدت التعبير الأبهى عن التيار الوطني المصري والقومي العربي من الناحية السياسية ، وفرضت حتى على مناوئيه من أبناء التيار القومي العربي المختلفين معه في التكتيكات السياسية [إذا كانوا صادقين مع أنفسهم والمؤتمنين مع الآخرين] مراجعة حساباتهم السياسية : النظرية والعملية ، فإنّ بعض المدارس ((الفكرية الأممية)) والسياسية ما تزال واقفة عند تقويماتها السابقة تستظل فيها مواقفها التي خطأها التاريخ الماضي خوفاً على الصور الوردية لماضٍ كان قائماً كله ، أو جوهره ، على الأخطاء السياسية التي إنتابت عمله ومشاريعه ، **بدليل مآل الوضع السياسي الراهن ودوره في الممارسات اليومية من حيث مدى تأثيراته الإيجابية أو السلبية على مستوى بعض الأقطار العربية ، التي كانت تتحدث بمرايا محدبة عن دورها الذاتي الحزبي فيه ، كالتجربة السوفييتية بمجموع بلدانها المسماة بالإشتراكية أو الشيوعية أو التي كانت تدور في الفلك الروسي .**

المهم في أية كتابة سياسية ونظرية عن أي واقع سياسي شاخص وملموس وفي بقعة جغرافية محددة ينبغي أن يفترن على الدوام في نطاق دراسته العينية في أي إطار تاريخي ملموس معين ، ينبغي أن يتوجه الفعل الإنساني إليه من أجل إحداث التغيير السياسي

المفترض ، وكل ذلك يتطلب **إنتزاع الذات المفكرة** من الواقع التجزيئي المتشابكة أحداثه في ظلاله عليه ، **حتى يمكن تكوين صورة فكرية كلية عنه** ، والإبتعاد عن التصور الجزئي والناقص حوله ، لأن من شأن ذلك ، هو تجنب مسألة خداع النفس حول تطورات الموضوعية ، فالتمسك برؤية ذاتية قاصرة سيعقبها الندم الفظيع ودفع الأثمان الباهظة من قبله أو من قبل المواطنين الذين يقودهم ، عن كل تطوراتها السياسية ، لا يلبث ((صاحبها المتزاعم)) أن يرتطم بشكل قاسٍ في مواجهة الذات التي قد تكون حزبية ، عند لحظة تاريخية معينة ، بالحقائق السياسية الموضوعية في عالم متصارع لا يعرف رحمة تجاه الآخر .

إن المهمة الأساسية لرجل السياسة والرؤية التاريخية هو معرفة ملابسات الواقع الموضوعي ، لإستخلاص إمكانيات محددة تنبثق عن هذا الواقع الموضوعي ، من أجل جعل هذه الإمكانيات ترى طريقها نحو الواقع مترجمة بصورة عملية ، بحيث يغدو الحكم على مضمونها السياسي مستشفة من قوانينه المقررة المنبثقة من آلية تلك الإمكانيات المحتلة والمتوقعة في صيرورتها العملية القادمة ، وجملة ((بري القدم لملائمة مقياس الحذاء)) ، الماوية الصينية ، التي كانت منتشرة في الأدبيات السياسية العربية عند قوى اليسار خصوصاً ، تعبر بشكل دقيق عن المحتوى المشترك للتجارب الإنسانية كافة ، في كل أبعادها العملية ، الفجة وغير الناجحة أو الفاشلة سياسياً على وجه التحديد .

وبعد مضي هذه العقود الثلاثة ونصف العقد على رحيل الرمز السياسي الخالد جمال عبد الناصر يمكن للمرء الجاد مراجعة الماضي بغية الإستفادة من التجربة الوطنية والقومية التي سادت في مصر ما بين عامي 1956 - 1970 ، وعلى وجه التحديد في 28 أيلول من كل عام كونه ذلك التاريخ ذكرى يوم رحيله وهو في ذروة مرحلة الوعي السياسي العالمي والعربي والمصري الناضج ، عندما كانت الجماهير المصرية والعربية ، تبكي في أرقامها البشرية المليونية في كل بقاع الوطن العربي ومن المحيط إلى الخليج **بغفوية إنسانية**

**نادرة في التاريخ السياسي المعاصر** ، على زعيم رحل للأبد تاركاً الثورة العربية لمّا تكمل مهامها السياسية الكلية ، ورافة على أهداف سياسية مصرية كبرى .

كانت تلك المهام قد أصبحت أسيرة الرؤية القومية العربية ، وكان لابد من التصدي لإنجازها ، **على يد رجال يمتلكون الوعي السياسي الثاقب والمعرفة التاريخية الدقيقة عن كل الظرف التاريخي في الداخل الوطني المصري والقومي العربي والأبعاد العالمية والإعتماد على سياسيين وعادة ثقافة رواد يمتلكون حس تاريخي مبادر متفانٍ يجس دروب المستقبل بأناة ويتقن الموازنة بين الخيارات المحتملة** ، لا الذين يستسلمون للواقع العالمي بذريعة أن أوراق الحل بيد القوة العالمية الأساسية ، ويحيط به دعاة مصفون مهللون لأي زعيم سياسي يستولي على السلطة في أي بلد .

- 2 -

**فكر وإستنتاجات وأسئلة وأمثلة**  
**المرحلة الناصرية نموذج حري بالتحليل والدراسة**



باديء ذي بدء ينبغي الإقرار بحقيقة أنَّ تلك المرحلة كانت هي الأزهى في التاريخ العربي الحديث والمعاصر بشكل عام ، وفي التاريخ المصري على وجه الخصوص ، فبالقدر الذي كانت إنجازات ذلك العهد كبيرة وعظيمة على المستويات الاجتماعية والاقتصادية ، فقد كانت أيضاً خطط الآخرين المناوئين للتوجه العربي في مصر كبيرة في فداحتها وخطيرة في توجهاتها وتكاد أن تكون بمثابة الضربة القاضية في بعض مراحلها ، **ولكن الإرادة الإنسانية لقيادتها المخلصة استطاعت التغلب على مآزقها الخارجية وأغلب أزماتها الداخلية** ، بما فيها نتائج الحرب العدوانية التي شنها كيان الإغتنصاب

الصهيوني على مصر في الخامس من حزيران 1967 . لقد أصبحت مصر في ذلك العهد رائدة ، بكل ما تعنيه الريادة من معانٍ مختلفة ، ولكنها يقيناً كانت متكاملة أيضاً ، من حيث اكتشاف للمجهول الذي ينطوي عليه المستقبل وتبيناً للطريق ما بين ضفتي الأمل والنهاية عبر العمل ، ومن ثم الوصول إلى الهدف السياسي ، وكان عدم تغيير اتجاهها السياسي في التعامل على أرضية مصالح الوطن المصري والأمة العربية ، مع الإمبرياليين الأمريكيين والصهاينة الإسرائيليين ، هو السبب الأساسي في مناوئة الآخرين : من أعداء الأمة التاريخيين له .

والإما هي **الفوارق السياسية** بين قيادة جمال عبد الناصر التي جرى شَنُّ الحروب السياسية عليها ، على المستوى المصري ، والنمط القيادي لأنور السادات وحسني مبارك عنه وكلهم يمثلون ثقل مصر العربي والدولي في الأساس ؟ لماذا **كانت تحارب** الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس جمال عبد الناصر مباشرة أو عبر كيان الإغتنصاب الصهيوني والرجعية العربية المتجسدة في آل سعود وحسين الأردن ، من ناحية ، فيما كان يلقي الرئيسان المصريان أنور السادات وحسني مبارك - وما يزال على مستوى مبارك - للذين خلفاه **الدعم السياسي والمادي والمعنوي من لدن الولايات المتحدة وتوابعها في المنطقة والعالم** ، من ناحية أخرى ؟ ! .

ألم تكن هي مصر بوزنها المادي والمعنوي ذاتها ؟ ! . . . ألم تكن هي مصر ذاتها من حيث الموقع الجغرافي لا الموقع الجيوسياسي ؟ ! .

يكمن السبب في ذلك - كما هو في تقديرنا - هو **طبيعة الدور السياسي المصري المؤثر في الواقع السياسي العربي** وكذلك في أغلب بلدان القارات الثلاث : آسيا . أفريقيا . أمريكا الجنوبية ، لقد تراجع ذلك الدور بصورة ملموسة وواضحة لكل متبصر متدبر منذ التنسيق مع آل سعود والتواطؤ غير المشروط من قيادتها في محاربة الرؤية الوجودية العربية ، والإرتداد السياسي عن مسيرة الثورة المصرية العربية التي خطت نهجاً سياسياً فاعلاً في الوطن العربي والعالم الأفريقي وعلى مستوى القارات الثلاث في إطار سياسة الحياد الإيجابي ومؤتمر باندونغ .

لقد رفع الراحل الفقيد الرئيس جمال عبد الناصر محددات الرؤية الفكرية والسياسية المخلصة في الممارسة العملية في أعقاب رؤية إستراتيجية للواقع المصري والواقع العربي ، كانت الرؤية الفكرية الوطنية والقومية والحضارية ومقاييسها الموضوعية في

أنساق العمل السياسي هي المعيار الأساسي للممارسة السياسية ، وكانت لازمة التاريخية والسياسية في الصراع السياسي مع الآخرين ، وكان الطابع الأخلاقي هو العمود الفقري لها ، لأنه أدرك عميقاً ، أنَّ الرؤية المستقبلية وما ستفرضه الممارسة ، **تتطلب معايير فكرية ومقاييس سياسية واضحة الدلالة** . كان ذلك الخيار السياسي نابغ وبالضرورة عن ضرورة موضوعية ، وليس ناجماً عن إختيار سياسي مرتبط بقدرته الذاتية ، كانت مداميك سيرورته وصيرورته من أجل المستقبل المصري . . . ومن أجل المستقبل العربي . . . أي ((من أجل المشروع ، من أجل الإبداع ، من أجل الخروج من الأزمة)) ، [2] ، [ ص 502 مرقص ] .

كانت تلك الرؤية الفكرية والسياسية تتطلب الوعي الفكري العميق والرؤية العقلانية السديدة من أجل تمثل الواقع الذي ينبغي إخضاعه للتغيير المطلوب ، من أجل معرفة الحقيقة العيانية ، ((الصحيحة ، الحية ، الأمينة ، للواقع والحاضر الفعلي)) وتلك هي طريقة ومنهج و((غاية ونهاية طريق ، جهاد)) ، [3] ، ص 502 كان المنطلق هو الوعي الإستراتيجي بالمجتمع المصري والمجتمع العربي : كواقع سياسي قائم وطموح نحو أفق سياسي مرجو ، ومعرفة التاريخ في المنطقة ومصر والعالم على أرضة الإخلاص للوطن والأمة ، لذلك أفلح تماماً عن أيديولوجية تزييف الواقع سواء عبر مقولات غيبية أو تعشق تجربة الاستنساخ من تجارب لم يصوب التاريخ مسارها فأدى بها أكاذيبها الأيديولوجية إلى التواري عن التأثير ، كي لا نقول أنها إلتحقت سياسياً ودبلوماسياً بنظام العولمة الأمريكي ! . . .

اليوم ينبغي فهم واستيعاب التجربة الناصرية المتحققة بإيجابياتها وهي كثيرة ، وسلبياتها في إطار الممارسة أيضاً جراء موروث الدولة البيروقراطي وأجهزتها الإدارية التي لا تدرك معنى التغيير المطلوب لنقل المجتمع من المستويات الدنيا إلى المستويات العليا ، وهما من الطبائع البشرية في العمل ، وليس هناك من قائد معصوم عن إرتكاب الخطأ في العمل الدنيوي ، ولكن شرط هذه الرؤية الإبتعاد عن المرصوفات الأيديولوجية التي لا تغني ولا تسمن في الواقع السياسي الملموس المعاصر ، ولا تخدم العمل في سبيل فكرة ومفهوم المستقبل ، ولأن الحديث عن الماضي ، ينبغي عدم التكرار لما توصل عنه ذروة القول وفصل الإستخلاص والإستنتاج فإننا سوف نضع أحد الكتابات التاريخية في دائرة باصرتنا السياسية / التاريخية ، وهو ما تطرق إليه الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتاب هام ومعروف أنشئ في ذروة الهجوم على نهج الرئيس جمال عبد الناصر ، معنون بإيحاء مضمونه الفكري والسياسي الكافي لمن يريد أن يدرس ويتبصر ويستنتج : ((لمصر لا لعبد الناصر)) الصادر في أوائل عام 1976 ، توالى أحاديثه الحوارية مع الآخر وفق الخطوط التالية :

**((الحملة على جمال عبد الناصر ماذا وراءها ؟ .. ومن وراءها ؟ .  
مجموعة القيم الإجتماعية لدى جمال عبد الناصر . الحكم القائم في مصر  
الآن وقضية عبد الناصر . حكايات المذابح : اليمن . القضاء . . وحرية  
الصحافة . قضية التجاوزات : الإعتقالات والحراسات والفصل التعسفي .  
نيران الصراع الطبقي من أشعلها في مصر . هل وزع الفقر وخلف**

وراءه تركة مثقلة ؟ . عبد الناصر والحركة العربية العامة . النكسة . . .  
عام 1967 . الصدام مع الولايات المتحدة الأمريكية . عبد الناصر وفتح  
الأبواب للإتحاد السوفييتي ، نهاية المطاف )) .

وهكذا نرى من حيث الأمانة الفكرية والمصداقية السياسية ، فإن كل الأمور السياسية  
الفكرية وكذلك من حيث التطبيق العملي والتي تتعلق بنهج جمال عبد الناصر وممارساته  
**مطروحة** على طاولة البحث الفكري المسؤول والمعاينة السياسية الصادقة الأمانة  
للتاريخ ومجرياته الواقعة . . . المخلص لمحاولة المواجهة مع الذات والخصوم في آن  
واحد ، **في محاولة عينية وجادة للبحث عن الحقيقة وفهم ظرفها**  
**التاريخي العالمي والعربي والمصري** ، من دون إجتزاء لهذه الخاصية السياسية  
في المرحلة السياسية المحددة أو تلك في ذلك الظرف التاريخي الملموس .

ولنقتطف مجموعة الأسئلة التاريخية التي طرحها الأستاذ محمد حسنين هيكل في خاتمة  
مطاف كتابه التي احتوت نصوصه المتابعة التحليلية لكل المحاور المثارة في تلك الكتابة ،  
**كون الأسئلة هي مفتاح لأية رؤية تاريخية وأساس نظري لأية فعالية**  
**تربوية ومحرك حيوي لتشغيل العقل الإنساني** الذي يبحث عن الإدراك الصحيح  
للظروف السياسية الكلية من أجل تقديم الدور السياسي على يد ((أولي الأمر السياسي)) ،  
المطلوب للارتقاء إلى المهام السياسية التي تواجه الأمة : بما فيها مصر والأقطار العربية  
وشعوبها ، في المستقبل المفتوح على كل الاحتمالات :

((وبعيداً عن هذا كله ، فإن حملة الإدانة الشاملة بالطريقة التي تجري  
بها الآن ، يمكن أن تثير أسئلة فرعية في مصر ، وهي أسئلة فرعية  
اليوم ولكنها في الغد يمكن أن نجىء بمضاعفات ليست فرعية .  
سوف تبرز تساؤلات عديدة :

\* هل هي محاولة لتكبير إرادة الشعب المصري في ((عقدة ذنب))  
يوقعون في روعه أن ما يصورون له حدوثه بالأمس جرى باسم الحرية  
والإشترابية والوحدة .

وإذن تصرف جماهير الشعب نظرها عن هذه الأهداف . فإذا كان هذا هو  
الثمن الذي دفع فيها كما يصورونه - إذن ثمن فادح إنسانياً ، يستحيل  
دفعه لأي هدف مهما كان . وإذن على الجماهير أن تسلم إرادتها ، وعليه  
أن تقبل إستغلالها ، وعليها أن تنكفيء وراء أسوار العزلة عن أمتها ؟  
هل هذا هو المقصود أو المطلوب ؟ وهل هو ممكناً ؟ سياسياً وأخلاقياً ،  
[...]

ومع ذلك لنفتح الدفاتر . لنفتحها بأمانة وشرف ، ولنحقق في كل خطوة وزاوية ، وليكن التحقيق عربياً شاملاً يتجاوز حدود مصر ، فتجربة جمال عبد الناصر كانت تجربة عربية شاملة تجاوزت حدود مصر :

\* لنحقق في الرجل نفسه ونزاهته ، وكل تصرف شخصي من تصرفاته ، وهل كان عفيفاً في كل ما أتى ، أو أنه مال وإنحرف ؟

\* لنحقق في دعوته ، وهل كانت تعبيراً أصيلاً عن ضمير الأمة ، أو أنها كانت فرضاً فرض عليها بقهر السلطة ، ولنسأل أنفسنا أي سلطة قهر كانت له على جماهير الأمة العربية خارج حدود مصر ، وكانت هذه الجماهير البعيدة عن نطاق سلطته هي الإحتياطي الإستراتيجي لحركته .

\* لنحقق في سياسته الخارجية ، وهل استطاعت هذه السياسية أن تجعل من العرب قوة سياسية ضخمة تتصدر التيارات الفاعلة في عصرها ، كحركة الثورة الوطنية في العالم ، وحركة معاداة الإستعمار ، وحركة التضامن الآسيوي الأفريقي ، ومنطق الإستقلال وعدم الإنحياز ، والاتجاه العام إلى مجتمع دولي يسوده السلام وتحكمه مبادئ القانون الدولي أو أن الرجل كان ضد التحرير وكان محالفاً للإستعمار داعية إلى الطغيان في مجتمع الدول ؟ .

\* لنحقق في سياسته العربية ، وهل كانت مع التاريخ أو كانت ضد التاريخ ؟ وهل بادر أحداً بعداء أو أنه اضطر إلى معاداة من عادوه لأنهم وقفوا ضد التاريخ وحاولوا تعطيل مسيرة أمة ؟ .

\* لنحقق في سياسته الداخلية :

في صيغة تحالف قوى الشعب العامل كبديل لدموية الصراع الطبقي ، وفي الإستجابة لتحديات مرحلة الانتقال من مجتمع متخلف إقتصادياً وإجتماعياً ، وفي الإجراءات التي اضطر إلى إتخاذها لتكون للمجتمع المصري بداية سليمة على طريق الانتقال .

وليكن التحقيق شاملاً في تجربة التصنيع في مصر ، وفي تجربة تطوير الزراعة ، وفي تجربة بناء قطاع عام يقود عملية تنمية ، وفي تجربة التخطيط لذلك كله ، وهل بلغت نسبة التنمية الشاملة في معظم سنوات عصره 6,7% سنوياً ، وأي تجربة أخرى في العالم الثالث بلغت هذا الحد من النجاح ، رغم ما نعرف جميعاً من ضغوط الحوادث والظروف .  
ليكن التحقيق شاملاً كذلك لسياسة التأميم ، ولإجراءات الحراسة ، حالة

حالة ، ولتنشر القوائم ومعها الأسباب . وليكن التحقيق شاملاً أيضاً في كل ما يقال عن عمليات الاعتقال ، والفصل ، والتعذيب ، ودور المخابرات والمباحث ، وهل كانت مصر تحت حكمه صورة جديدة من ألبوم ((العاصفة)) ، أو أن هذه التجربة لم تعتمد العنف إلا في أقلّ القليل وفي سبيل أكبر الكبير من المباديء والأهداف ، مع التسليم سلفاً بإحتمال وجود تجاوز لابدّ الحساب عنه والعقاب .

أزعم أن أي تحقيق منصف سوف يضع عبد الناصر حيث يجب أن يكون ، وحيث وضعته جماهير الأمة العربية التي لم تكتفِ بالإعراض عما يجري له في مصر الآن - بل عزلت فلول الظلام التي حاولت أن تحاصر قبره وتنبشه ، كما فعل في تاريخ مصر القديم لصوص المقابر حتى في أهرامات مصر الشامخة .

إنّ ما حدث في مصر لعبد الناصر لم يحدث لزعيم وقائد في أي بلد من بلدان العالم إلا إذا كان هناك إنقلاب لم يحدث قطعاً . وعلى فرض أن إنقلاباً مسلحاً كان قد حدث ، فإنني أشك في أن حملة اليوم على الأمس كان يمكن أن تصل إلى هذا العنف . ولم يكن من قبيل الأخطاء السياسية ما حدث ، ولكنه كان أسوأ ، فقد تعدّى أخطاء السياسة إلى السقوط الأخلاقي . . . إلى نوع من الانتحار المعنوي .

وليست هذه هي مصر ، ولا يمكن أن تكون هذه مصر . . . وهي بالفعل ليست مصر !!) . [3] راجع كتابه المشار إليه في طبعته الثانية من داخل مصر في عام 1993 ، عن دار الشروق ، ص 196 - 199 ] .

ولكن من هي الجهات المعادية للرؤية العربية القومية وتجسّداتها اليومية في الممارسة العملية طوال فترة حضور الرئيس جمال عبد الناصر السياسي والفكري ، والتي دفعت الأستاذ محمد حسنين هيكل إلى تجريد قلمه دفاعاً عن الحقيقة ، وكذلك قبوله لمحاورة الروائي والكاتب الأستاذ يوسف القعيد الذي أصدر كتابه المعنون محمد حسنين هيكل يتذكر : عبد الناصر والمثقفون والثقافة ، ويقول في كتابيه ، إضافة إلى موسوعته عن الحرب التي شنها الغرب : فرنسا وبريطانيا وكيان الإغتناب الصهيوني وأمريكا التي بالكتب التالية : ملفات السويس ، سنوات الغليان ، الانفجار ، الحرب والسياسة ، وعشرات الدراسات الأخرى التي كتبت بهذه المناسبة أو تلك ؟ ! .

لنأخذ من موضوع القطاع العام في مصر ، كنموذج سياسي ماثل وملموس ، لمعرفة أعداء مصر والأمة العربية الحقيقيين ، يقول كاتبان متخصصان وفي ندوة علمية متخصصة

للبحث في شؤون وشجون وهموم ((القطاع العام والقطاع الخاص في الوطن العربي)) ما يلي :

((غير أن الجزء الأكبر من الهجوم الشرس على القطاع العام ينطلق من قوى داخلية وخارجية ، تستهدف تحقيق مصالحها الخاصة وتصفية بقايا المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية التي أحرزتها مصر وحظيت بها الطبقات الشعبية خلال مرحلة التحرير الاقتصادي والتحول الاجتماعي التي تمت في مصر في الخمسينات والستينات ، **من أجل استعادة السيطرة والهيمنة الكاملتين على الاقتصاد المصري** .

إن العناصر الرأسمالية الطفيلية ، التي راكمت ثروتها عن طريق المضاربة والفساد والإفساد والإفادة ، بخاصة منذ بدء الإنفتاح الاقتصادي بعد حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973 ، تستهدف الآن الإستيلاء على المال العام بثمن بخس وبالنقسيط المربح ، لتزيد من تراكم أموالها التي تهربها إلى الخارج البلاد.

ويساعد هؤلاء كل أعداء ثورة تموز / يوليو والراغبون في تصفية كل آثارها الاقتصادية والاجتماعية والدعاة الجدد لإتاحة الفرصة للتطور الرأسمالي - الذين يدعون بأن تكوين القطاع العام في مصر قد إستهدفت في الأساس إحكام القبضة السياسية للحكم الدكتاتوري الفردي ، وإن ثورة 23 تموز / يوليو بقيادة عبد الناصر قد أجهضت إمكانات التنمية الرأسمالية الجادة في البلاد لأهداف أمنية وسياسية .

ويشارك في الضغط والهجوم بتصفية القطاع العام أيضاً الهيئات المالية الدولية ، وبخاصة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، وهيئات المعونة الدولية (**وبخاصة هيئة**

**المعونة الأمريكية**) التي تستغل أزمة المديونية في مصر - كما هي الحال في دول العالم

الثالث الأخرى - **بغرض الدمج الكامل للسوق المحلية في الأسواق الدولية**

**وفرض السيطرة والهيمنة الرأسمالية الدولية الكاملة على الدول التي**

**كانت قد قطعت بعض المراحل في طريق التحرر الاقتصادي والسياسي**))

، [4] [صص 224] . وييدي الدكتور جلال أمين قلقه الكلي من الطبيعة القومية للمشتريين

الأجانب ، والإسرائيليين منهم على وجه الخصوص ، وتجلّى ذلك القلق بالتساؤل التالي :

((هل الأجنبي الذي سيسمح له بالشراء ، متى دفع القيمة الواجبة ، يشمل الإسرائيليين

أيضاً ، ألسنا مرتبطين مع إسرائيل بمعاهدة تمنع التمييز بينهم وبين سائر الأجانب في

المعاملة ؟ وهل سيسمح للإسرائيليين ، في هذه الحالة ، سواء إشتروا الصناعة باسم

شركة إسرائيلية أو شركة وكيله عنها ، بشراء الأرض التي يقوم عليها المصنع والمحيطه

به أيضاً ؟ وهل سيجري التمييز هنا أيضاً بين أرض ((إستراتيجية)) وأرض ((غير

إستراتيجية)) ؟ [5] . [ص 317] نتطرق لموقف من الكيان نظراً للحروب العدوانية

المستمرة التي يشنها على بلدان الوطن العربي ! .

- 3 -

**نماذج ((أممية)) للمقارنة والإستخلاص**

**من أجل العمل في سبيل المستقبل**



ولو أخذنا النماذج السياسية التي خاضت ((الرؤية الناصرية)) أو نأوتها أو عادتھا ، وبالتالي تصدت إلى أطروحاتها الفكرية ونأوت أعماله السياسية الفعلية ووصل بها الضلال حتى درجة التحالف مع الآخر : **العدو التاريخي للأمة منذ غزو الأندلس والحروب الغربية المسماة بالحروب الصليبية على العرب المسلمين ، وجعلت من أطروحات ذلك الغرب السياسية / الفكرية المختلفة ، المقياس الذي تحدد على ضوءه معاييرها الفكرية والسياسية ، سواء بشكل مباشر أو بصورة غير مباشرة : كون السياسة في علاقاتها مع الآخر تعبر عن علاقات موضوعية وليس مرتبطة بهذا الفرد القائد أو ذلك الرمز المعبر عن ذلك النهج ، وأقواله عن نفسه والتنظير لتوجهاته السياسية ، وتناولنا بالمتابعة على أرضية التحليل الملموس للموقف السياسي الملموس .**

لو أخذنا كحالة سياسية ماثلة وملموسة ، من جهة ، وكما تجلت في الواقع خلال فترة وجود الرئيس جمال عبد الناصر على رأس السلطة في مصر ، من جهة أخرى ، **لاختارنا نموذجين سياسيين منها وكلاهما يشكلان إتجاهان سياسيان ذات أبعاد وإمتدادات عالمية في اللحظة التاريخية الراهنة ، إحداهما ما تزال فاعلة في ميدان الفعل السياسي العالمي ، ينبغي تلمس فعلهما على الساحة المصرية في اللحظة التاريخية التي كان فيها النظام الناصري مجسداً فيها ، وكذلك في الساحة العراقية منذ إحتلال الأمريكي للوطن العراقي في 9 / 4 / 2003 وللفترة الراهنة .**

والأخرى قد إضمحل فعلها المؤثر من حيث الدور السياسي الإيجابي على الصعيد الدولي ، من خلال التطرق إلى نموذجها البنائي الأبرز : وهو مستوى بناء المعسكر الإشتراكي ، وإن لم يتقلص دورها على المستوى القطري العربي ، سواء كان سلبياً ، ويتجلى في قرارات مجلس الأمن التي لم تسع إلى تعطيلها أو نقضها أبداً في أية مسألة حيوية تخص أمتنا العربية أبداً ، بل حتى بالتهديد فقط ، أو إيجابياً وهو القليل ، الذي ينبع تأثيره من طبيعة تحالفاته مع الآخرين المضادين للتوجه : القومي العربي أو الحضاري الإسلامي .

لقد كانت الحركتان السياسيتين تقيسان كل التطورات المحلية والعربية والعالمية على ضوء مفاهيمهما الأيديولوجية التي تحددان فهمهما الحزبي المنغلق على صعيد الأولى ، أو التابع بالنسبة للثانية ، تجاه كل التطورات السياسية ، وليس المعارف النظرية التي تشكل الأساس المادي العميق لإلتزامتها حتى على المستويات الإيمانية ، ومفاهيمها

التي نمت في التاريخ العربي الإسلامي أو حتى الأوربي ، والرؤية العالمية التي تفرض منطقتها السياسي على طبيعة مجموع توجهاتها بالنسبة إلى أية ظاهرة . . . وكذلك ، ليس على ضوء التطورات الفكرية الموضوعية والممارسات السياسية العامة التي شهدتها القطر العربي المصري في تلك اللحظة التاريخية القائمة . . . كانت تعدّ التصورات الحزبية أو الأيديولوجية لذاتهما هي المعايير المفهومية لمحاكمة التطورات الموضوعية السياسية نقدياً وتاريخياً على ضوء قناعاتها السياسية .

ينبغي التشديد على مفهوم القناعات السياسية المنبثقة من تعليمات تلك الرؤية على أساس معاناة كل الظاهرة ، ونحن هنا نناقش المفاهيم الفكرية التي تتعلق بالمرحلة السياسية التي واجه به الرئيس الآخرين ، بحثاً عن الجواب على سؤال يتمحور حول : لماذا قاوموا رمز نهج التغيير السياسي دون وضع أية معايير لمحاكمة أية ظاهرة ؟ ولماذا عارضوا النهج السياسي الذي طبع سيرورة الثورة المصرية ؟ وعلى أي أساس أرسيت البدائل المتصورة ؟ وهل خدمت مواقفهم السياسية الأطراف المعادية للأمة ، من ناحية ، أو كانت مساعدة لإنضاج المسيرة ، من الناحية الأخرى ؟ ! .

باديء ذي بدء ، يجب علينا ملاحظة أنّ تلك المواقف السياسية المرتبطة بدينك الحزبين لم تكن متوافقة موضوعياً مع الوضع السياسي التاريخي المحدد والملموس في المرحلة التاريخية التي تحدت بين سنوات العقدين الخمسيني والستيني ، في إطار رؤية عالمية من الصراع التاريخي أو النزاع الشامل بين قطبي التطور العالم : المعسكر الإشتراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي وأتباعه ، والمعسكر الرأسمالي بقيادة الإمبريالية الأمريكية وحلفائها ، وكيفية ممارسة تلك القيادة للخيارات المتاحة والمفتوحة أمام تلك القيادة والتي اتخذت من سياسة الحياد الإيجابي ومفاهيم سياسة دول عدم الانحياز ومؤتمر باندونغ .

لذا يجب الإنطلاق من الفهم المعمق لمسألة التناقضات السياسية الموضوعية الكلية العالمية المنبثقة من لحظ التناقضات الموضوعية التي كانت فيها مصر والأمة العربية تواجه عدواً تاريخياً وأساسياً ومشتركاً : الإستعمار الأوربي القديم ، والإمبريالية الأمريكية وتجسدهما الماثلة في الوطن العربي عبر : كيان الإغتصاب الصهيوني . تلك هي

الصورة السياسية العالمية التي تركت بصماتها على الواقع العربي كله بما فيها الدولة المصرية .

في هذا الإطار السياسي الملموس ستجري المناقشة السياسية مع دينك التكويني التنظيميين السياسيين ، وهما :

1 - حركة الإخوان المسلمين .

2 - الحركة الشيوعية المصرية .



بالنسبة لحزب الأخوان المسلمين ينبغي علينا القول أن تلك الحركة كانت موحدة قبل أن تنشطى تنظيمياً لاحقاً ، وتتوزع على عدة تنظيمات متفرعة عن شجرة حركة الأخوان ، لم يتورع بعضها عن الدخول إلى ميدان الإغتيالات السياسية ، متواصلة مع إرثها التاريخي في السنوات الأربعينية من القرن الماضي ، كما حدث مع الكاتب السياسي النقدي المرحوم فرج فودة ، أو ممن ذهب ((للجهاد)) في أفغانستان التي أذنت له واشنطن كما تقول التجربة التاريخية العملية الشاحصة .

المطروح للنقاش هو موقفهم وممارساتهم في تلك الفترة المحددة ، التي كانت فيها مصر تؤسس لإرادتها السياسية المستقلة في مرحلة الصراع أو النزاع بين الطرفين العالميين الرئيسيين ، المعسكر الإمبريالي الأمريكي والغربي : الفرنسي البريطاني على وجه التحديد ، والمعسكر المضاد لهما أو المساوم معهما بقيادة الاتحاد السوفيتي ، في إطار ذلك الصراع أو النزاع أو المساومة كانت الإمبريالية الأمريكية العالمية توظف كل الجهود المتاحة من أجل جعلها رقماً فاعلاً في ترجيح كفة الصراع لهذا الطرف أو ذاك ، من أجل توظيفها في نهاية المطاف الإستراتيجي ضد خصمه أو خصومها ، سيجري النقاش السياسي وليس في نطاق النقاشات السياسية والفكرية المجردة .

إنَّ المنطلق الأول في أي نقاش هو التطرق إلى المزايا الشخصية للحاكم المؤتمن على مصير الدولة في التاريخ المعاصر ، فهل وظّف الرئيس جمال عبد الناصر عمل أجهزة الدولة أو بعضها في سبيل مصلحته الخاصة أم لا ؟ ! . وهل كان في حياته عمل من أجل عائلته الخاصة : أبنائه مثلاً ، وميزهم عن الآخرين من المواطنين المصريين بغير الإستحقاق الجديرين به ؟ ! . هل إكتنز الذهب والفضة في خزائنه الذاتية أو وضعها في البنوك العالمية ، وبالتالي أورثها لأفراد عائلته ؟ ! . هل احتفظ بأطيان وأراضي ومساكن خاصة وكبيرة له أو لأسرته ؟ ! . هل تلاعب بملكية مصر التاريخية وقدمها هدايا لبعض الغربيين والملوك من أجل بناء علاقات خاصة بهم وبدولهم ؟ ! . هل إنخرط في خدمة الأجهزة الأمريكية التي نشدت العمل في أفغانستان من أجل مصالحها وساعدها البعض العربي بالأسلحة والمال وتوظيف المطارات والجوازات ؟ ! . هل سعى إلى توريث الأبناء وأرسلهم لواشنطن لتزويدها بالتقارير الكاذبة عن الأشقاء ، كما حدث لمبارك حين أرسل ابنه جمال لواشنطن للقول بأن العراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل ؟ ! .

### **لم يكن جمال عبد الناصر في دائرة الشك من ذلك كله ! .**

قد يتصيد البعض أخطاء هنا أو هناك سادت مرحلة نظامه ، وهي أخطاء ناجمة عن طبيعة الجهاز الإداري الموروث أساساً ، ولكن هل العمل البشري وحيد الإتجاه نحو العصمة وعدم الزلل الخالية من الأخطاء والخطايا ؟ ألم تكن الأخطاء وعلى الدوام هي جزء من أي عمل بشري ومقترن بالاجتهاد السياسي ؟ وهل قام بالتصحيح للأخطاء والخطايا التي أرتكبت باسم النظام على أجهزة المخابرات العامة وقام بتصفيتهما بعد حرب الخامس من يوم حزيران في عام 1967 ، يوم شنّ العدوان الإمبريالي الصهيوني على مصر جمال عبد الناصر ، **من أجل أهداف سياسية مجسدة في المخططات الأمريكية الصهيونية ؟ .**

في أية حال ، أنَّ الرئيس جمال عبد الناصر قد خط نهجاً سياسياً في مواجهة إستغلال الأمريكيين ومن ورائها المملكة العربية السعودية لمفاهيم الدين الإسلامي ، وتوظيفها في

خطها السياسي العالمي ، تمثل ذلك الخط السياسي من أجل توظيف ((قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته [ . . . ] ينبغي تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغي أن نذكر دائماً أن أي تفسخ في الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل أيضاً محاربة القومية العربية ، في أي شكل تتخذه في الشرق الأوسط)) ، [6] ، [ص 850 الوثيقة 26 ويمكن الإستشهاد بصفحة 857 حول عبد الناصر] ، **أي أن الهدف السياسي الأمريكي هو محاربة النهج السياسي القومي العربي للسياسة الناصرية .**

يقول ديفيد بن غورين مؤسس الكيان الصهيوني ورئيس وزرائه في إطار رؤية إستراتيجية إمبريالية أمريكية - صهيونية ، وفي نطاق ما أسفرت إليه الجهود العملية التي قام بها كيان الإغتصاب الصهيوني ، إن ((هدفنا هو بناء سد عال حقيقي أمام الطوفان الناصري السوفييتي)) ، لذلك أقمنا علاقات مع ((السودان : مع رئيس وزراء السودان وأقرب مساعديه)) ، وإيران بقيادة الشاه : ((لقد أقمنا علاقات ثقة مشتركة وصدقة مع حكومة إيران)) ، ومع إمبراطور أثيوبيا ، ومع تركيا بحيث ((تجاوزت الطرق الدبلوماسية الرسمية وأصبحت علاقات حميمة عن طريق قنوات سرية)) ، [7] ، [ص 333 من كتاب الانفجار] ، وفي منتصف الستينات ، وبالذات في العام 1966 ، كان رئيس وزراء كيان العدو : ليفي أشكول يوجه سؤالاً محدداً إلى شاه إيران في لقاء معه في طهران ، أثر زيارة سرية دامت ثلاثة أيام ((إنّ هناك مبدأ أولياً يريد إقراره بالنسبة للبلدين ، وهو يتلخص في سؤال واحد هو ، هل ناصر عدو أم لا ؟ ، وقد أوضح أنه ، إذا أجبنا على هذا السؤال بطريقة محددة ، فإنه بقية التفاصيل تصبح سهلة وتتحول إلى رؤوس موضوعات ظاهرة تشكل جدول أعمال للمحادثات بين الطرفين)) ، وكان رد الشاه على هذا السؤال المحدد - وقد مهد له بأنه يتحدث باسم حكومته وشعبه - هو قوله ((نعم أن ناصر عدو)) ، [8] ، [ص 337 نفس المصدر] . لقد كان ((عام 1964 هو عام النوايا بين جونسون {الرئيس الأمريكي} المنشغل في حرب فيتنام ، وبين إسرائيل التي كان عليها أن تضبط الأمور في الشرق الأوسط أثناء إنشغاله ، ونيابة عنه ، وبالأصالة عن نفسها)) ، [9] ، [ص 339 المصدر السابق] هكذا تلخص الوثائق التاريخية بين الطرفين .

ولعب الدور الذي قدمه الطاقم المتحكم في السعودية الدور المكمل للجهود الإمبريالية الأمريكية الإسرائيلية الصهيونية عبر خطوات ملموسة : إعلامية ومالية إتخذت من المسألة اليمنية ومنظمة المؤتمر الإسلامي بوابة لها وخطأ سياسياً للإنخراط في المشروع السياسي الأمريكي / الإسرائيلي ، وعت ذلك بشكل فعلي أم لم تع ، **فالسياسة الدولية هي علاقات موضوعية بالأساس تفرز نتائجها على صعيد العمل** ، تلعب فيها القوة الأكبر والأطغى على صعيد التخطيط دوراً مؤثراً ، حتى لو وعى الطرف الأضعف آفاق العمل الهادف والمقصود ، ولن يستطيع المستهدف الإفلات من المواجهة ، لذلك كان

من الضروري الخلاص من نقاط الضعف والاعتماد على القوة المنظمة : الجيش والشعب ، في مواجهة التطورات بالاستعداد المسبق لها من خلال صيغة ديمقراطية أبرز خطوطها ، كما رأى جمال عبد الناصر ((إنَّ النظام على هذا النحو القائم الآن يترك مصير البلد لرجل واحد ، وهذه مخاطرة بالمستقبل . وإن هذا الوضع يمكن أن يدفع بال جماهير إلى السلبية ، وبالتالي يترك أهم القرارات للبيريوقراطيين أو التكنوقراطيين . إنه لابد أن تتسع عملية إعادة التنظيم لقوى معارضة تكون لها صحفها التي تستطيع أن تعرض أفكارها على الناس ولكي تكون رقيباً على تصرفات الدولة)) ، [10] ، [ص 403 - 404] .

ولكن هذا توجه سياسي يحاول النقد من أجل تجاوز بعض المآزق ، والاختناقات ، ويحافظ على المنجز ، وليس من يلعب دور سياسي يخدم عمل الآخرين المضادين لثورة مصر التي كانت تواجه الدول الكبرى المعادية ، ألا ينطبق ذلك التوجه على حركة الإخوان المسلمين في مصر التي كان أسلوبها الدعائي والعمل يصب في طاحونة الأعداء ؟ .

يقول الرئيس جمال عبد الناصر في نطاق ما أفرزته التجربة المصرية من دروس ، ووعي لما ينبغي عليه أن تكون مواقف سياسية لبعض القوى التي تلتزم الرؤية الحضارية العربية الإسلامية ، ((إنَّ هناك قوى سياسية كان يمكن أن تكون رصيذاً احتياطياً للثورة ، ولكنها لسوء الحظ ولأسباب مختلفة تلعب دور الرصيد الاحتياطي للثورة المضادة [ . . . إنَّ ] الإخوان المسلمين لديهم فكر له أساس نشترك فيه جميعاً ، وهو أساس ضارب في أعماق كل منا . مشكلتهم أنهم يريدون تحويل هذا الفكر إلى أداة تصل بهم إلى السلطة . وهذه عقدة خطيرة لأنها تدفع إلى ساحة الصراع بقوى تتوهم أنها تملك سلطاناً على الحياة ، والموت ليس لها . ونحن نضطر مرات إلى اعتقال كثيرين من هؤلاء ، ولكن الاعتقال ليس حلاً وإنما هو عملية تحييد ضرر حتى تعطى الفرصة للمجتمع ليقوم بترسيخ أفكاره بعيداً عن ضغط أيديولوجيات متحجرة أو تعصب تنتج عنه آثار خطيرة)) ، [11] ، [ص 409 - 410 من الانفجار] .

العودة للأبهى من التاريخ العربي المعاصر  
يحيي الأمل في إرتياد دروب المستقبل

### - 2 -

## فكر واستنتاجات وأسئلة وأمثلة المرحلة الناصرية نموذج حري بالتحليل والدراسة

بإدري ذي بدء ينبغي الإقرار بحقيقة تاريخية ملموسة ، أن تلك المرحلة كانت بالنسبة للأمة العربية ولجماهيرها القومية والقطرية الوطنية ، في خريطة الصراعات العالمية ، هي الأزهى والأبهى في التاريخ العربي العام ، وفي التاريخ المصري على وجه الخصوص ، فبالقدر الذي كانت إنجازات ذلك العهد كبيرة وعظيمة على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فقد كانت أيضاً خطط الآخرين السياسية المناوئين للتوجه العربي في مصر كبيرة في فداحتها وخطيرتها في توجهاتها وتكاد أن تكون قد اقتربت من عملها الناجح الحاسم ، وكانت تشكل أو شكلت في بعض مراحلها ، بمثابة الضربة القاضية في بعض مراحلها ، **ولكن الإرادة الإنسانية لقيادتها المخلصة استطاعت التغلب على مآزقها الخارجية وأغلب أزماتها الداخلية** ، بما فيها نتائج الحرب العدوانية التي شنها كيان الإغتصاب الصهيوني على مصر في الخامس من حزيران 1967 .

لقد أصبحت مصر في ذلك العهد رائدة ، بكل ما تعنيه الريادة من معانٍ مختلفة ، ولكنها يقيناً كانت تحاول أن تكون متكاملة أيضاً ، من حيث إكتشاف قيادتها للمجهول السياسي الذي ينطوي عليه المستقبل وتبيناً للطريق ما بين ضفتي الأمل والنهاية ، ومن ثم الوصول إلى الهدف السياسي ، وكان عدم تغيير إتجاهها السياسي في التعامل مع ذاتها ومع الآخرين على ضوء مسار ((وحدة الهدف)) أو ((وحدة الصف)) ، وعلى أرضية مصالح الوطن المصري والأمة العربية ، من ناحية ، مع الإمبرياليين الأمريكيين والصهاينة الإسرائيليين ، من ناحية أخرى ، هو السبب الأساسي في مناوئة الآخرين : من أعداء الأمة التاريخيين لتلك القيادة التاريخية .

والأما هي **الفوارق السياسية** بين قيادة جمال عبد الناصر التي جرى شئ الحروب السياسية المتنوعة عليها ، على المستوى المصري ، والنمط القيادي لأنور السادات وحسني مبارك عنه ، وكلهم - في واقع الحال - يمثلون ثقل مصر العربي والدولي في الأساس ؟ لماذا **كانت تحارب** الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس جمال عبد الناصر مباشرة أو عبر كيان الإغتصاب الصهيوني وإيران الشاه والرجعية العربية المتجسدة في آل سعود وحسين الأردن ، من جهة ، فيما كان يلقي الرئيسان المصريان أنور السادات وحسني مبارك - وما يزال على مستوى مبارك - اللذين خلفاه **الدعم السياسي والمادي والمعنوي من لدن الولايات المتحدة وتوابعها في المنطقة والعالم** ، من جهة أخرى ؟ ! .

ألم تكن هي مصر بوزنها المادي والمعنوي ذاتها ؟ ... ألم تكن هي مصر ذاتها من حيث الموقع الجغرافي لا الموقع الجيوسياسي ؟ ! . إذن الجواب على ذينك السؤالين ، يكمن السبب في ذلك - كما هو في تقديرنا - هو طبيعة الدور السياسي المصري المؤثر في الواقع السياسي العربي ، **لقد تراجع ذلك الدور السياسي** بصورة ملموسة وواضحة لكل متفكر متبصر متدبر ، منذ التنسيق مع آل سعود والتواطؤ غير المشروط من قيادتها في محاربة الرؤية الوجودية العربية ، والإرتداد السياسي عن مسيرة الثورة المصرية العربية التي خطت نهجاً سياسياً فاعلاً في الوطن العربي والعالم الأفريقي وعلى مستوى القارات الثلاث في إطار سياسة الحياد الإيجابي ومؤتمر باندونغ .

لقد رفع الراحل الفقيه الرئيس جمال عبد الناصر محددات الرؤية الفكرية والسياسية المخلصة في الممارسة العملية في أعقاب رؤية إستراتيجية للواقع المصري والواقع العربي ، كانت الرؤية الفكرية الوطنية والقومية والحضارية ومقاييسها الموضوعية في أنساق العمل السياسي واضحة ملموسة جرى تعبئة الجماهير العربية وفق الخطوط السياسية العنوية غالباً ، وكانت لازمة التاريخية والسياسية في الصراع السياسي مع الآخرين على أرضية مصرية وعربية ، وكان الطابع الأخلاقي لسلوكه القيادي والسياسي هو العمود الفقري لها ، لأنه أدرك فكراً وسياسياً وبشكل عميق ، أن الرؤية المستقبلية وما ستفرضه الممارسة ، تتطلب معايير فكرية ومقاييس سياسية واضحة الدلالة . كان ذلك الخيار السياسي نابع وبالضرورة عن ضرورة موضوعية تتعلق بالوضع السياسي التاريخي العالمي ، وليس ناجماً عن إختيار سياسي مرتبط بقدرته الذاتية ، كانت مداميك سيرورته وصيرورته من أجل المستقبل المصري ... ومن أجل المستقبل العربي ... أي ((من أجل المشروع ، من أجل الإبداع ، من أجل الخروج من الأزمة)) ، [2] .

كانت تلك الرؤية الفكرية والسياسية تتطلب الوعي الفكري العميق والرؤية العقلانية السديدة من أجل تمثل الواقع الذي ينبغي إخضاعه للتغيير المطلوب ، من أجل معرفة الحقيقة العينية ، ((الصحيحة ، الحية ، الأمانة ، للواقع والحاضر الفعلي)) وتلك هي طريقة ومنهج ((غاية ونهاية طريق ، جهاد)) ، [3] ، كان المنطلق هو الوعي الإستراتيجي بالمجتمع المصري والمجتمع العربي : **كواقع سياسي قائم وطموح**

**نحو أفق سياسي مرجو** ، ومعرفة التاريخ في المنطقة ومصر والعالم على أرضة الإخلاص للوطن والأمة ، **لذلك أقلع تماماً عن أيديولوجية تزييف الواقع سواء عبر مقولات غيبية أو تعشق تجربة الإستنساخ من تجارب لم يصوب التاريخ مسارها** ، فادت بها أكاذيبها الأيديولوجية إلى التواري عن التأثير ، كي لا نقول أنها التحقت سياسياً ودبلوماسياً بنظام العولمة الأمريكي ! . . .

اليوم ينبغي فهم واستيعاب التجربة الناصرية المتحققة بإيجابياتها وهي كثيرة وسلبياتها أيضاً من أجل تجنبها في الممارسة ، ، ولكن شرط هذه الرؤية الابتعاد عن المرصوفات الأيديولوجية التي لا تغني ولا تسمن **وهما من الطبائع البشرية في العمل ، وليس هناك من قائد معصوم في العمل** في الواقع العربي السياسي الملموس المعاصر ، ولا تخدم العمل في سبيل فكرة المستقبل العربي ، ولأن الحديث عن الماضي ، ينبغي عدم التكرار لما توصل عنه في ذروة القول وفصل الإستخلاص والإستنتاج ، فإننا

سوف نضع إحدى الكتابات التاريخية في دائرة باصرتنا السياسية / التاريخية الراهنة ، وهو ما تطرق إليه الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتاب هام ومعروف أنشئ في ذروة الهجوم على نهج الرئيس جمال عبد الناصر بغية تحطيم الرمزية لهذا النهج الوطني المصري والقومي العربي المخلصين ، **مغنون بإيحاء ربما كان محسوساً في مضمونه الفكري والسياسي الكافي لمن يريد أن يدرس ويتبصر ويستنتج** إعتلى محتوى سيرورته على الصفحة الخارجية للكتاب : ((لمصر لا لعبد الناصر)) الصادر في أوائل عام 1976 ، توالى أحاديثه الحوارية مع الآخر **((المفترض))** وفق الخطوط التالية :

**((الحملة على جمال عبد الناصر ماذا وراءها ؟ .. ومن وراءها ؟ . مجموعة القيم الاجتماعية لدى جمال عبد الناصر . الحكم القائم في مصر الآن وقضية عبد الناصر . حكايات المذابح : اليمن . القضاء . . حرية الصحافة . قضية التجاوزات : الاعتقالات والحراسات والفصل التعسفي . نيران الصراع الطبقي من أشعلها في مصر . هل وزع الفقر وخلف وراءه تركة مثقلة ؟ . عبد الناصر والحركة العربية العامة . النكسة . . . عام 1967 . الصدام مع الولايات المتحدة الأمريكية . عبد الناصر وفتح الأبواب للاتحاد السوفييتي ، نهاية المطاف)) .**

وهكذا نرى من حيث الأمانة الفكرية والمصادقية السياسية ، فإن كل الأمور السياسية الفكرية ، وكذلك من حيث التطبيق العملي ونتائج ذلك التطبيق السياسية ، والتي تتعلق بنهج جمال عبد الناصر وممارساته **مطروحة على طاولة البحث الفكري المسؤول والمعاينة السياسية الصادقة الأمانة للتاريخ ومجرياته الواقعة . . .** الجواب المحدد والمخلص لمحاولة المواجهة مع الذات والخصوم في آن واحد ، **في محاولة عينية وجادة للبحث عن الحقيقة وفهم ظرفها التاريخي العالمي والعربي والمصري** ، من دون إجتزاء لهذه الخاصية السياسية في المرحلة السياسية المحددة أو تلك في ذلك الظرف التاريخي الملموس . ولنقتطف مجموعة الأسئلة التاريخية التي طرحها الأستاذ محمد حسنين هيكل في خاتمة مطاف كتابه التي احتوت نصوصه المتابعة التحليلية لكل المحاور المثارة في تلك الكتابة أو من خلال ذلك الكتاب ، **يكون الأسئلة هي مفتاح لأية رؤية تاريخية وأساس نظري لأية فعالية تربوية ومحرك حيوي لتشغيل العقل الإنساني** الذي يبحث عن الإدراك الصحيح للظروف السياسية الكلية من أجل تقديم الفهم المعق للدور السياسي على يد بعض ((أولي الأمر السياسي)) ، **المطلوب للارتقاء إلى المهام السياسية التي تواجه الأمة : بما فيها مصر والأقطار العربية وشعوبها ، في المستقبل المفتوح على كل الاحتمالات :**



((وبعيداً عن هذا كله ، فإنّ حملة الإدانة الشاملة بالطريقة التي تجري بها الآن ، يمكن أن تثير أسئلة فرعية في مصر ، وهي أسئلة فرعية اليوم ولكنها في الغد يمكن أن تجيء بمضاعفات ليست فرعية .

سوف تبرز تساؤلات عديدة :

\* هل هي محاولة لتكبيّل إرادة الشعب المصري في ((عقدة ذنب)) يوقعون في روعه أنّ ما يصورون له حدوثه بالأمس جرى باسم الحرية والإشتركية والوحدة .  
وإذن تصرف جماهير الشعب نظرّها عن هذه الأهداف . فإذا كان هذا هو الثمن الذي دفع فيها - كما يصورونه - إذن فإنه فادح إنسانياً ، يستحيل دفعه لأي هدف مهما كان . وإذن على الجماهير أن تسلّم إرادتها ، وعليه أن تقبل إستغلالها ، وعليها أن تتكفي وراء أسوار العزلة عن أمتها ؟ **هل هذا هو المقصود أو المطلوب** ؟ وهل هو ممكناً ؟ سياسياً وأخلاقياً ، [ . . . ] .

ومع ذلك لنفتح الدفاتر . لنفتحها بأمانة وشرف ، ولنحقق في كل خطوة وزاوية ، وليكن التحقيق عربياً شاملاً يتجاوز حدود مصر ، **فتجربة جمال عبد الناصر كانت تجربة عربية شاملة تجاوزت حدود مصر :**

\* لنحقق في الرجل نفسه ونزاهته ، وكل تصرف شخصي من تصرفاته ، وهل كان عفيفاً في كل ما أتى ، أو أنه مال وإنحرف ؟

\* لنحقق في دعوته ، وهل كانت تعبيراً أصيلاً عن ضمير الأمة ، أو أنها كانت فرضاً فرض عليها بقهر السلطة ، ولنسأل أنفسنا أي سلطة قهر كانت له على جماهير الأمة العربية خارج حدود مصر ، وكانت هذه الجماهير البعيدة عن نطاق سلطته هي الإحتياطي الإستراتيجي لحركته .

\* لنحقق في سياسته الخارجية ، وهل استطاعت هذه السياسية أن تجعل من العرب قوة سياسية ضخمة تنصدر التيارات الفاعلة في عصرها ، كحركة الثورة الوطنية في العالم ، وحركة معاداة الإستعمار ، وحركة التضامن الآسيوي الأفريقي ، ومنطق الإستقلال وعدم الإنحياز ، والاتجاه العام إلى مجتمع دولي يسوده السلام وتحكمه مبادئ القانون الدولي أو أنّ الرجل كان ضد التحرير وكان محالفاً للإستعمار داعية إلى الطغيان في مجتمع الدول ؟ .

\* لنحقق في سياسته العربية ، وهل كانت مع التاريخ أو كانت ضد التاريخ ؟ وهل بادر أحداً بعداء أو أنه اضطر إلى معاداة من عادوه لأنهم وقفوا ضد التاريخ وحاولوا تعطيل مسيرة أمة ؟ .

\* لنحقق في سياسته الداخلية :

في صيغة تحالف قوى الشعب العامل كبديل لدموية الصراع الطبقي ، وفي الإستجابة لتحديات مرحلة الانتقال من مجتمع متخلف إقتصادياً واجتماعياً ، وفي الإجراءات التي اضطر إلى إتخاذها لتكون للمجتمع المصري بداية سليمة على طريق الانتقال .

وليكن التحقيق شاملاً في تجربة التصنيع في مصر ، وفي تجربة تطوير الزراعة ، وفي تجربة بناء قطاع عام يقود عملية تنمية ، وفي تجربة التخطيط لذلك كله ، وهل بلغت نسبة التنمية الشاملة في معظم سنوات عصره 6,7% سنوياً ، وأي تجربة أخرى في العالم

الثالث بلغت هذا الحد من النجاح ، رغم ما نعرف جميعاً من ضغوط الحوادث والظروف .  
ليكن التحقيق شاملاً كذلك لسياسة التأميم ، ولإجراءات الحراسة ، حالة حالة ، ولتنشر  
القوائم ومعها الأسباب . وليكن التحقيق شاملاً أيضاً في كل ما يقال عن عمليات الاعتقال ،  
والفصل ، والتعذيب ، ودور المخابرات والمباحث ، وهل كانت مصر تحت حكمه صورة  
جديدة من ألبوم ((العاصفة)) ، أو أنّ هذه التجربة لم تعتمد العنف إلا في أقلّ القليل وفي  
سبيل أكبر الكبير من المبادئ والأهداف ، مع التسليم سلفاً باحتمال وجود تجاوز لا بدّ  
الحساب عنه والعقاب .

أزعم أنّ أي تحقيق منصف سوف يضع عبد الناصر حيث يجب أن يكون ، وحيث وضعته  
جماهير الأمة العربية التي لم تكتفِ بالإعراض عما يجري له في مصر الآن - بل عزلت  
فلول الظلام التي حاولت أن تحاصر قبره وتنشئه ، كما فعل في تاريخ مصر القديم لصوص  
المقابر حتى في أهرامات مصر الشامخة .

إنّ ما حدث في مصر لعبد الناصر لم يحدث لزعيم وقائد في أي بلد من بلدان العالم إلا إذا  
كان هناك إنقلاب لم يحدث قطعاً . وعلى فرض أنّ إنقلاباً مسلحاً كان قد حدث ، فإنني أشك  
في أنّ حملة اليوم على الأمس كان يمكن أن تصل إلى هذا العنف . ولم يكن من قبيل  
الأخطاء السياسية ما حدث ، ولكنه كان أسوأ ، فقد تعدّى أخطاء السياسة إلى السقوط  
الأخلاقي ... إلى نوع من الانتحار المعنوي .

**وليست هذه هي مصر ، ولا يمكن أن تكون هذه مصر ... وهي بالفعل  
ليست مصر !!** [4] .

**ولكنّ من هي الجهات المعادية للرؤية العربية القومية وتجسّداتها  
اليومية في الممارسة العملية طوال فترة حضور الرئيس جمال عبد**

**الناصر السياسي والفكري** ، والتي دفعت الأستاذ محمد حسنين هيكل ، إلى تجريد  
قلمه دفاعاً عن الحقيقة العينية الملموسة لا للمقولات الأيديولوجية ! . وكذلك قبوله لفكرة  
محاورة الروائي والكاتب الأستاذ يوسف القعيد الذي أصدر كتابه المعنون محمد حسنين  
هيكل يتذكر : عبد الناصر والمثقفون والثقافة ، ويقول في كتابه ما قاله من حقائق ،  
إضافة إلى موسوعته عن الحرب التي شنها الغرب : فرنسا وبريطانيا وكيان الإغتناب  
الصهيوني وأمريكا على قيادة جمال عبد الناصر ، [5] ، التي تمثلت بالكتب التالية :

**ملفات السويس ، سنوات الغليان ، الانفجار ، الحرب والسياسة** ، وعشرات  
الدراسات الأخرى التي كتبت بهذه المناسبة أو تلك ؟ ! .

لنأخذ من موضوع القطاع العام في مصر ، كنموذج سياسي تطبيقي ماثل وملموس ،  
**لمعرفة أعداء مصر والأمة العربية الحقيقيين** ، يقول كاتبان متخصصان وفي  
ندوة علمية متخصصة للبحث في شؤون وشجون وهموم ((القطاع العام والقطاع الخاص  
في الوطن العربي)) ما يلي :

((غير أنّ الجزء الأكبر من الهجوم الشرس على القطاع العام ينطلق من قوى داخلية  
وإقليمية ، تستهدف تحقيق مصالحها الخاصة وتصفية بقايا المكتسبات الاقتصادية  
والاجتماعية التي أحرزتها مصر وحظيت بها الطبقات الشعبية خلال مرحلة التحرير



**الإقتصادي والتحول الاجتماعي التي تمت في مصر في الخمسينات والستينات ، من أجل استعادة السيطرة والهيمنة الكاملتين على الاقتصاد المصري .**

إنَّ العناصر الرأسمالية الطفيلية ، التي راكمت ثروتها عن طريق المضاربة والفساد وإفساد والإفادة ، بخاصة منذ بدء الإنفتاح الاقتصادي بعد حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973 ، تستهدف الآن الاستيلاء على المال العام بثمن بخس وبالتقسيم المربح ، لتزيد من تراكم أموالها التي تهربها إلى الخارج البلاد.

ويساعد هؤلاء كل أعداء ثورة تموز / يوليو والراغبون في تصفية كل آثارها الاقتصادية والاجتماعية والدعاة الجدد لإتاحة الفرصة للتطور الرأسمالي - الذين يدعون بأن تكوين القطاع العام في مصر قد استهدفت في الأساس إحكام القبضة السياسية للحكم الدكتاتوري الفردي ، وإنَّ ثورة 23 تموز / يوليو بقيادة عبد الناصر قد أجهضت إمكانات التنمية الرأسمالية الجادة في البلاد لأهداف أمنية وسياسية .

ويشارك في الضغط والهجوم بتصفية القطاع العام أيضاً الهيئات المالية الدولية ، وبخاصة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، وهيئات المعونة الدولية (وبخاصة هيئة

**المعونة الأمريكية)** التي تستغل أزمة المديونية في مصر - كما هي الحال في دول العالم

الثالث الأخرى - بغرض الدمج الكامل للسوق المحلية في الأسواق الدولية

**وفرض السيطرة والهيمنة الرأسمالية الدولية الكاملة على الدول التي**

**كانت قد قطعت بعض المراحل في طريق التحرر الاقتصادي والسياسي))**

، [6] .

**ويبدي الدكتور جلال أمين قلقه الكلي من الطبيعة القومية ، أو العنصرية**

**المعادية للعرب ، للمشتريين الأجانب ، والإسرائيليين منهم على وجه الخصوص ،**

مثلاً ، وتجلى ذلك القلق بالتساؤل التالي : ((هل الأجنبي الذي سيسمح له بالشراء ، متى

دفع القيمة الواجبة ، يشمل الإسرائيليين أيضاً ، ألأسنا مرتبطين مع إسرائيل بمعاهدة تمنع

التمييز بينهم وبين سائر الأجانب في المعاملة ؟ وهل سيسمح للإسرائيليين ، في هذه

الحالة ، سواء إشتروا الصناعة باسم شركة إسرائيلية أو شركة وكالة عنها ، بشراء

الأرض التي يقوم عليها المصنع والمحيطه به أيضاً ؟ وهل سيجري التمييز هنا أيضاً بين

أرض ((إستراتيجية)) وأرض ((غير إستراتيجية)) ؟ ، [7] ، نتطرق لهذا القلق نظراً

لمواقف سياسية محددة صادرة عن الكيان الصهيوني وطبيعة حروبه العسكرية العدوانية

المستمرة التي يشنها على بلدان الوطن العربي ! .

## الهوامش والمراجعات

[2] - راجع كتاب الأستاذ الفقيه إلياس مرقص المعنون نقد العقلانية العربية ، في سلسلة دراسات فكرية ، إصدار دار الحصاد للنشر والتوزيع ، سورية - دمشق ، الطبعة الأولى 1997 ، ص 502 .

[3] - المصدر السابق ، ص 502 .

[4] - راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون لمصر لا لعبد الناصر ، إصدار دار الشروق ، القاهرة / مصر ، إصدار جديد لمناسبة خاصة / طبعة أولى 2003 ، كانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، قد صدرت خارج مصر : في بيروت أصدرتها دار الصياد في عام 1976 ، ص 196 - 199 .

[5] - راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون إستئذان في الانصراف : رجاء ودعاء . . . وتقرير ختامي ، إصدار دار الشروق ، الطبعة الأولى عام 2003 ، حيث يرد على الصفحة 29 - 30 ما يلي : ((كيسنجر : لقد كنت على اتصال بالرئيس طول الوقت لأننا تلقينا طلبات عاجلة من الإسرائيليين تطلب ذخائر ومعدات عسكرية كثيرة منها 40 طائرة فانتوم . وأعرف أن ذلك صعب في هذه اللحظة - ولكن الرأي أن نساعدهم بكل وسيلة على إستيعاب الهجوم عليهم والرد المضاد حتى يستعيدوا زمام المبادرة ويعطوننا الفرصة لعمل سياسي لصالحهم .

شيلزنجر : هنري . . إنهم مهتمون جداً على الفور بصواريخ ((سايد ويندر)) .  
كيسنجر : هل ترى أن وزارة الدفاع تستطيع أن تتولى هذا الأمر بسرعة دون أن يتسرب شيء .

شيلزنجر : أظن أننا نستطيع .

**كيسنجر : لقد فعلناها عام 1967 .**

ثم يعود الحديث فيتكرر على صفحة 91 ويرد نص المحادثة التالية بين هنري كيسنجر وزير الخارجية وجيمس سيلزنجر وزير الدفاع . يوم 7 أكتوبر 1973 الساعة 3,45 بعد الظهر :

كيسنجر : تكلمت مع الرئيس الآن ((صدمة الهجوم المصري - السوري)) عن ضرورة إمداد إسرائيل بكل ما تحتاجه أيأ كان بدون أن يكتشف أحد حقيقة ما نقوم به .

شيلزنجر : لا أستطيع أن أضمن ذلك في الظروف الراهنة ، لأن الجميع متنبهون .

**كيسنجر : ولكننا فعلنا ذلك سنة 67 ، ولم يستطع أحد أن يكشف السر حتى الآن ، وعلى فرض أنهم عرفوا فذلك لا يهم الآن لأن إسرائيل في خطر .**

شيلزنجر : هل أنت مستعد لاستعمال حاملات طائرات ؟ !

كيسنجر : ليس هذه الساعة ولكن مجموعة الحاملات لديها الأمر بأن تتحرك نحو شرق البحر الأبيض)) .

[6] - راجع الكتاب المعنون القطاع العام والقطاع الخاص في الوطن العربي : بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع الصندوق العربي للإنماء الإقتصادي والإجتماعي ، إصدار مركز دراسات الوحدة ، بيروت / لبنان ، كانون الأول / ديسمبر 1990 ، ص 224 ، والإستشهاد مقتطع إبراهيم سعد الدين عبد

الله ، وإبراهيم حسن العيسوي من بحثهما المعنون : **تجربة مصر مع القطاعين العام والخاص ومستقبل التجربة** .  
[7] - راجع المصدر السابق ، والإستشهاد مقتطع من التعقيب رقم 2 ، وعلى الصفحة 317 .

2006 / 9 / 30

**العودة للأبهى من التاريخ العربي المعاصر**

## يحيي الأمل في إرتياد دروب المستقبل

### الحلقة الثالثة

#### - 3 -

### نماذج ((أممية)) للمقارنة والإستخلاص من أجل العمل في سبيل المستقبل

ولو أخذنا النماذج السياسية التي خاصمت ((الرؤية الناصرية)) أو ناوأتها أو عادتتها ، وبالتالي تصدت إلى أطروحاتها الفكرية وناوأَت أعمالها السياسية الفعلية ووصل بها الضلال حتى درجة التحالف مع الآخر : **العدو التاريخي للأمة منذ غزو الأندلس والحروب الغربية المسماة بالحروب الصليبية على العرب المسلمين ، وجعلت من أطروحات ذلك الغرب السياسية / الفكرية المختلفة ، المقياس الذي تحدّد على ضوئه معاييرها الفكرية والسياسية ، سواء بشكل مباشر أو بصورة غير مباشرة : كون السياسة في علاقاتها مع الآخر تعبر عن علاقات موضوعية وليس مرتبطة بهذا الفرد القائد أو ذلك الرمز المعبر عن ذلك النهج ، وأقواله التقويمية عن نفسه بالإستناد إلى مقولات فكرية تتجنب أخذ مفهومي الزمان والمكان بنظر الإعتبار عند التحليل والإستنتاج ، والتتنظير لتوجهاته السياسية في إطار الصراع العالمي ، وتناولها بالمتابعة على أرضية التحليل الملموس للموقف السياسي الملموس ، فماذا سنجد على سبيل الرؤية السياسية والموقف السياسي ؟ .**

بعبارة أخرى ، لو أخذناها كحالة سياسية ماثلة وملموسة ، من جهة ، وكما تجلت في الواقع خلال فترة وجود الرئيس جمال عبد الناصر على رأس السلطة في مصر ، من جهة أخرى ، **لأخترنا نموذجين سياسيين منها وكلاهما يشكلان إتجاهان سياسيان ذات أبعاد وإمتدادات عالمية في اللحظة التاريخية الراهنة . إحداهما ما تزال فاعلة في ميدان الفعل السياسي العالمي ، ينبغي تلمس فعلها الملموس على الساحة المصرية في اللحظة التاريخية التي كان فيها النظام الناصري مجسّداً فيها ، وكذلك في الساحة العراقية منذ إحتلال الأمريكي للوطن العراقي في 9 / 4 / 2003 وحتى لفترة الراهنة .**

والأخرى قد اضمحلَ فعلها المؤثر من حيث الدور السياسي الإيجابي على الصعيد الدولي ، من خلال التطرق إلى نموذجها البنائي الأبرز : وهو مستوى بناء المعسكر الاشتراكي ، وإن لم يتقلَّص دورها على المستوى القطري العربي ، سواء كان سلبياً ، ويتجلى في قرارات مجلس الأمن التي لم تسعَ إلى تعطيلها أو نقضها في أية مسألة حيوية تخص أمتنا العربية أبداً ، بل حتى التلويح بالتهديد الفعلي فقط ، أو إيجابياً وهو القليل ، الذي ينبع تأثيره من طبيعة تحالفاته مع الآخرين المضادين للتوجه : القومي العربي أو الحضاري الإسلامي .

أما تابعه على المستوى العربي فما أكثر الأمثلة التي نوردها للدلالة على شحوبه المائل للصفرة العلنية ، في الواقع العملي التي صار إليه أحد أدوات آليات الاحتلال الأمريكي في العراق ، نغني به الحزب الشيوعي العراقي .

لقد كانت الحركتان السياسيتين تقيسان كل التطورات المحلية والعربية والعالمية على ضوء مفاهيمهما الأيديولوجية التي تحدّدان فهمهما الحزبي المنغلق على صعيد المثال الأول ، أو التابع بالنسبة للثانية ، تجاه كل التطورات السياسية ، وليس المعارف النظرية التي تشكل الأساس المادي العميق لالتزاماتها حتى على المستويات الإيمانية ، ومفاهيمها التي نمت في التاريخ العربي الإسلامي أو حتى الأوربي الاجتماعي الحديث ، والرؤية العالمية التي تفرض منطقها السياسي على طبيعة مجموع توجهاتها بالنسبة إلى أية ظاهرة . . .

وكذلك ، ليس على ضوء التطورات الفكرية الموضوعية والممارسات السياسية العامة التي شهدتها القطر العربي المصري في تلك اللحظة التاريخية القائمة . . . كانت تعدّ التصورات الحزبية أو الأيديولوجية لذاتهما التنظيمية هي المعايير المفهومية لمحاكمة التطورات الموضوعية السياسية نقدياً وتاريخياً على ضوء قناعاتها السياسية .

ينبغي التشديد على مفهوم القناعات السياسية المنبثقة من تعليمات تلك الرؤية على أساس معاينة كل الظاهرة ، وليس رصد كل التطورات السياسية المنبثقة عن الواقع السياسي العربي ، ونحن هنا نناقش المفاهيم الفكرية والسياسية التي تتعلق بالمرحلة السياسية التي واجه به الرئيس الآخرين على المستويات العالمية والإقليمية والعربية والمصرية ، بحثاً

عن جواب سياسي محدد على سؤال يتمحور حول : لماذا قاوموا رمز نهج التغيير السياسي دون وضع أية معايير لمحاكمة أية ظاهرة ؟ ولماذا عارضوا النهج السياسي الذي طبع سيرورة الثورة المصرية ؟ وعلى أي أساس

## أرسيت البدائل المتصورة ؟ وهل خدمت مواقفهم السياسية الأطراف المعادية للأمة ، من ناحية ، أو كانت مساعدة لإنضاج مسيرة التطور الموضوعي لمصر ، من الناحية الأخرى ؟ ! .

باديء ذي بدء ، يجب علينا ملاحظة أن تلك المواقف السياسية المرتبطة بذيئيك الحزبين لم تكن متوافقة موضوعياً مع الوضع السياسي التاريخي المحدد والملموس في المرحلة التاريخية التي تحدت بين سنوات العقدين الخمسيني والستيني ، في إطار رؤية عالمية من الصراع التاريخي أو النزاع الشامل بين قطبي التطور العالم : المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفييتي وأتباعه ، من جهة ، والمعسكر الرأسمالي بقيادة الإمبريالية الأمريكية وحلفائها ، من جهة أخرى .

وكيفية ممارسة تلك القيادات للتوجهين السياسيين للخيارات المتاحة والمفتوحة أمامهما في مواجهة القيادة الناصرية ، والتي اتخذت سياسة داخلية مستقلة على صعيد التطور والتقدم السياسي والاجتماعي ، ومناوئة السياسة الغربية على الصعيد العربي ، ومن سياسة الحياد الإيجابي ومفاهيم سياسة دول عدم الإنحياز ومؤتمر باندونغ على الصعيد الدولي .

وفي مجال الرؤية الإسلامية الحضارية ، فقد كان رأيه أن الرؤية الإسلامية رؤية رحبة خالية من التعصب والانغلاق ومفتوحة ((على كل العصور وكل مراحل التطور)) ، [8] ، والرئيس جمال عبد الناصر كان يتمثل في تصرفاته السياسية والعملية على المستوى الإستراتيجي من مفهوم نبوي أصيل مضمونه قوله [ص] الذي يدعو الناس للإجتهد إزاء مستجدات العصور ((أنتم أعلم بشؤون دنياكم)) ، [9] .

وعليه فإنه أسس ((منظمة المؤتمر الإسلامي للعمل من أجل الدعوة الإسلامية ، والتواصل الثقافي والفكري بين العالم الإسلامي ورعاية الشؤون المشتركة بين المسلمين أينما كانوا)) ، قبالة منظمة رابطة العالم الإسلامي الذي إرتأته المملكة العربية السعودية ، [10] ، الذي هو كما يبدو ((الدعوة الجديدة)) ((لإعادة بعث فكرة الحلف الإسلامي التي ألحت السياسة الأمريكية في طرحها في مرحلة سابقة من أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات)) ، [11] ، فضلاً عن أن القاهرة الرئيس جمال عبد الناصر رأت في ذلك النشاط السياسي ((تدويباً لإمكانات العمل العربي المشترك في محيط واسع لا يمكن أن تجمعه نظرية أمن واحدة ، أو سوق مشتركة واحدة أو إدارة سياسية واحدة)) ، [12] .

لذلك ، وتأسيساً على الرؤية السابقة ومعاييرها الموضوعية : يجب الإنطلاق من الفهم المعمق لمسألة التناقضات السياسية الموضوعية الكلية العالمية المنبعثة من لحظ التناقضات الموضوعية بين الأطراف المتصارعة ، التي كانت فيها مصر والأمة العربية تواجه عدواً تاريخياً وأساسياً ومشتركا : الإستعمار الأوربي القديم ، والإمبريالية الأمريكية وتجسداتهما الماثلة في الوطن العربي عبر : كيان الإغتصاب الصهيوني . تلك هي الصورة السياسية العالمية التي تركت بصماتها على الواقع العربي كله بما فيها الدولة المصرية .

في هذا الإطار السياسي الملموس ستجري المناقشة السياسية مع ذيئيك التكوينين التنظيميين السياسيين ، وهما :

1 - حركة الإخوان المسلمين .

2 - الحركة الشيوعية المصرية .

بالنسبة لحزب الإخوان المسلمين ينبغي علينا القول أن تلك الحركة كانت موحدة قبل أن تنشطى تنظيمياً لاحقاً ، وتتوزع على عدة تنظيمات متفرعة عن شجرة حركة الإخوان ، لم يتورع بعضها عن الدخول إلى ميدان الإغتيالات السياسية ، متواصلة مع إرثها التاريخي في السنوات الأربعينية من القرن الماضي ، كما حدث مع الكاتب السياسي النقدي المرحوم فرج فودة ، من جهة أولى ، أو ممن ذهب ((للجهاد)) في أفغانستان التي أذنت له واشنطن كما تقول التجربة التاريخية العملية الشاخسة ، من الجهة الثانية .

المطروح للنقاش هو موقفهم وممارساتهم في تلك الفترة المحددة ، التي كانت فيها مصر تؤسس لإرادتها السياسية المستقلة في مرحلة الصراع أو النزاع بين الطرفين العالميين الرئيسيين ، المعسكر الإمبريالي الأمريكي والغربي : الفرنسي البريطاني على وجه التحديد ، والمعسكر المضاد لهما أو المساوم معهما بقيادة الاتحاد السوفيتي ، في إطار ذلك الصراع أو النزاع أو المساومة كانت الإمبريالية الأمريكية العالمية توظف كل الجهود المتاحة من أجل جعلها رقماً مهماً وفاعلاً في ترجيح كفة الصراع لصالح هذا الطرف من أطراف الصراع أو ذاك الطرف المضاد له ، من أجل توظيف جهود تلك المحلية أو العربية ، في نهاية المطاف الإستراتيجي ، ضد خصمه أو خصومها ، سيجري النقاش السياسي وليس في نطاق النقاشات السياسية والفكرية المجردة .

إنَّ المنطلق الأول في أي نقاش هو التطرق إلى **المزايا الشخصية للحاكم المؤتمن**

**على مصير الدولة في التاريخ المعاصر** ، من حيث الجوانب الذاتية والأخلاقية ، فهل وظّف الرئيس جمال عبد الناصر عمل أجهزة الدولة ، أو بعضها ، في سبيل مصلحته الخاصة أم لا ؟ ! . وهل كان في حياته السياسية قد نشط ، أو عمل ، من أجل عائلته الخاصة : أبنائه مثلاً ، وميزّهم عن الآخرين من المواطنين المصريين بغير الاستحقاق الذاتي ، الجديرين به على ضوء معارفهم ونيلهم الشهادات المدرسية ؟ ! . هل إكتنز الذهب والفضة في خزائنه الشخصية في البيت ، أو وضعها خلسة في البنوك العالمية ، وبالتالي أورثها لأفراد عائلته ؟ ! . هل احتفظ بأطيان وأراضي ومساكن خاصة وكبيرة له أو لأسرته ؟ ! . هل تلاعب بملكية مصر التاريخية من آثار وقدمها هدايا لبعض الغربيين والملوك من أجل بناء علاقات خاصة بهم وبدولهم ؟ ! ، مثلما فعل أنور السادات الرئيس المصري اللاحق . هل انخرط في خدمة الأجهزة الأمريكية التي نشدت العمل السياسي في أفغانستان من أجل مصالحها وساعدها البعض العربي بالأسلحة والمال وتوظيف المطارات والجوازات ؟ ! . هل سعى إلى توريث الأبناء وأرسلهم لواشنطن لتزويدها بالتقارير الكاذبة عن الأشقاء ، كما حدث لمبارك حين أرسل ابنه جمال لواشنطن للقول بأنَّ العراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل ؟ ! . **لم يكن جمال عبد الناصر في دائرة الشك من ذلك كله ! .**

قد يتصيد البعض أخطاء هنا أو هناك سادت مرحلة نظامه ، وهي أخطاء ناجمة عن طبيعة الجهاز الإداري الموروث ، ولكن هل العمل البشري وحيد الاتجاه يسير دائماً وأبداً نحو العصمة الفردية وبالتالي عدم الزلل في الممارسة السياسية والخالية حتماً من الأخطاء



والخطايا ؟ ألم تكن الأخطاء وعلى الدوام هي جزء من أي عمل بشري ومقترن بالاجتهاد السياسي ؟ وهل قام بالتصحيح للأخطاء والخطايا التي أرتكبت باسم النظام السياسي وبالتالي القضاء على سطوة أجهزة المخابرات العامة ، وقام بتصفيتها من عتاتها بعد حرب الخامس من يوم حزيران في عام 1967 ، يوم شنّ العدوان الإمبريالي الصهيوني على مصر جمال عبد الناصر ، من أجل أهداف سياسية مجسدة في المخططات الأمريكية الصهيونية ؟ .

في أية حال ، أنّ الرئيس جمال عبد الناصر قد خط نهجاً سياسياً في مواجهة إستغلال الأمريكيين ومن ورائها المملكة العربية السعودية لمفاهيم الدين الإسلامي ، وتوظيفها في خطها السياسي العالمي ، تمثل ذلك الخط السياسي الوطني المصري والقومي العربي في محاولة سحب القوى الوطنية من السباحة في الفضاءات السياسية الأجنبية ، وتحديد الجهد الأمريكي الساعي من أجل توظيف ((قوى داخلية تشارك الغرب معتقداته [ . . . ] . ينبغي تدعيم هذه القوى من غير كلل ، وينبغي أن نذكر دائماً أنّ أي تفسخ في الجمهورية العربية المتحدة لن يقرر فقط مصير مصر تحت حكم ناصر ، وإنما سوف يجعل من السهل أيضاً محاربة القومية العربية ، في أي شكل تتخذه في الشرق الأوسط)) ، [13] ، أي أنّ الهدف السياسي الأمريكي هو محاربة النهج السياسي القومي العربي للسياسة الناصرية .

يقول ديفيد بن غورين مؤسس كيان الإغتناب الصهيوني ، ورئيس وزرائه ، في إطار تقديم رؤية إستراتيجية إمبريالية أمريكية - صهيونية ، وفي نطاق ما أسفرت إليه الجهود العملية التي قام بها كيان الإغتناب الصهيوني ، إنّ ((هدفنا هو بناء سد عال حقيقي أمام الطوفان الناصري السوفييتي)) ، [14] ، لذلك أقمنا علاقات مع ((السودان : مع رئيس وزراء السودان وأقرب مساعديه)) ، وإيران بقيادة الشاه : ((لقد أقمنا علاقات ثقة مشتركة وصداقة مع حكومة إيران)) ، ومع إمبراطور أثيوبيا ، ومع تركيا بحيث ((تجاوزت الطرق الدبلوماسية الرسمية وأصبحت علاقات حميمة عن طريق قنوات سرية)) ، [15] .

وفي منتصف الستينات من القرن الفائت ، وبالأذات في العام 1966 ، كان رئيس وزراء كيان العدو : ليفي أشكول يوجه سؤالاً محدداً إلى شاه إيران المعتمد الأمريكي الآخر في المنطقة لتنفيذ البرنامج السياسي الأمريكي تجاه المنطقة العربية ، وذلك في لقاء معه في طهران ، أثر زيارة سرية دامت ثلاثة أيام ((إنّ هناك مبدأ أولياً يريد إقراره بالنسبة للبلدين ، وهو يتلخص في سؤال واحد هو ، هل ناصر عدو أم لا ؟ ، وقد أوضح أنه ، إذا أجبنا على هذا السؤال بطريقة محددة ، فإنه بقية التفاصيل تصبح سهلة وتتحول إلى رؤوس موضوعات ظاهرة تشكل جدول أعمال للمحادثات بين الطرفين)) ، وكان رد الشاه على هذا السؤال المحدد - وقد مهد له بأنه يتحدث باسم حكومته وشعبه - هو قوله ((نعم أنّ ناصر عدو)) ، [16]



، لقد كان ((عام 1964 هو عام النوايا بين جونسون {الرئيس الأمريكي} المنشغل في حرب فيتنام ، وبين إسرائيل التي كان عليها أن تضبط الأمور في الشرق الأوسط أثناء إنشغاله ، ونيابة عنه ، وبالأصالة عن نفسها)) [17] ، هكذا تلخص الوثائق التاريخية بين الطرفين الأحداث السياسية وتحدد الأهداف السياسية التي يريد تحقيقها الثالوث الإمبريالي الأمريكي والصهيوني الإسرائيلي والشاهنشاهي الفارسي .

ولعب الدور الذي قدمه الطاقم المتحكم في السعودية الدور المكمل للجهود الإمبريالية الأمريكية الإسرائيلية الصهيونية الفارسية الإيرانية عبر خطوات سياسية ملموسة :

**إعلامية ومالية إتخذت من المسألة اليمنية ومنظمة المؤتمر الإسلامي**  
**بوابة لها وخطأ سياسياً للانخراط في المشروع السياسي الأمريكي /**  
**الإسرائيلي ، وعت ذلك بشكل فعلي أم لم تع . فالسياسة الدولية هي علاقات**  
**موضوعية بالأساس تفرز نتائجها على صعيد العمل ، وتلعب فيها القوة**  
السياسية الأكبر والأطغى على صعيد التخطيط السياسي المتكتم دوراً مؤثراً ، حتى لو وعى الطرف الأضعف آفاق العمل الهادف والمقصود ، ولن يستطيع المستهدف الإفلات من المواجهة .

لذلك كان من الضروري الخلاص من نقاط الضعف والإعتماد على القوة المنظمة : الجيش والشعب ، في مواجهة التطورات بالاستعداد المسبق لها من خلال صيغة ديمقراطية أبرز خطوطها ، كما رأي جمال عبد الناصر ، ((إنَّ النظام على هذا النحو القائم الآن يترك مصير البلد لرجل واحد ، وهذه مخاطرة بالمستقبل . وإن هذا الوضع يمكن أن يدفع بالجماهير إلى السلبية ، وبالتالي يترك أهم القرارات للبيروقراطيين أو التكنوقراطيين . إنه لابد أن تتسع عملية إعادة التنظيم لقوى معارضة تكون لها صحفها التي تستطيع أن تعرض أفكارها على الناس ولكي تكون رقيباً على تصرفات الدولة)) ، [18] .

ولكن هذا توجه سياسي يحاول النقد من أجل تجاوز بعض المآزق ، والاختناقات ، ويحافظ على المنجز ، وليس هي توجه سياسي محدد يصدر عن مَنْ يلعب دور سياسي يخدم عمل الآخرين المضادين لثورة مصر التي كانت تواجه الدول الكبرى المعادية . **ألا ينطبق ذلك**  
**التوجه السياسي على حركة الإخوان المسلمين في مصر التي كان**  
**أسلوبها الدعائي والعملي يصب في طاحونة الأعداء ؟ .**

يقول الرئيس جمال عبد الناصر تكثيفاً لرؤية سياسية موضوعية ، وفي نطاق معاينة معمقة لما أفرزته التجربة المصرية من دروس سياسية ملموسة ، ووعي لما ينبغي عليه أن تكون مواقف سياسية لبعض القوى التي تلتزم الرؤية الحضارية العربية الإسلامية ، ((أنَّ هناك قوى سياسية كان يمكن أن تكون رصيذاً احتياطياً للثورة ، ولكنها لسوء الحظ ولأسباب مختلفة تلعب دور الرصيد الاحتياطي للثورة المضادة . . . إنَّ الإخوان المسلمين لديهم فكر له أساس نشترك فيه جميعاً ، وهو أساس ضارب في أعماق كل منا . مشكلتهم أنهم يريدون تحويل هذا الفكر إلى أداة تصل بهم إلى السلطة . وهذه عقدة خطيرة لأنها تدفع إلى ساحة الصراع بقوى تتوهم أنها تملك سلطاناً على الحياة ، والموت ليس لها .

ونحن نضطر مرات إلى إعتقال كثيرين من هؤلاء ، ولكن الإعتقال ليس حلاً وإنما هو عملية تحييد ضرر حتى تعطى الفرصة للمجتمع ليقوم بترسيخ أفكاره ، بعيداً عن أية ضغوط أيديولوجية متحجرة أو تعصب تنتج عنه آثار خطيرة)) ، [19] .

يتبع

## الهوامش والملاحظات والمراجع

[8] - راجع كتاب الروائي الأستاذ يوسف القعيد المعنون محمد حسنين هيكل يتذكر : عبد الناصر والمثقفون والثقافة ، إصدار دار الشروق ، القاهرة / مصر ، الطبعة الأولى ، ص 375 .

[9] - راجع المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

[10] - لمراجعة مستفيضة عن وقائع ذلك المؤتمر ، وأفكاره ورؤيته السياسية ، وأسماء الحاضرين فيه ، يرجى مراجعة كتاب السيد محمد السلاح : الصحفي الطيار ، بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى من دون تاريخ ، وإن أشارت المقدمة إلى تاريخ 20 رمضان 1385 هجرية الموافق بتاريخ 11 يناير 1966 ميلادية .

[11] - راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون حرب الثلاثين سنة 1967 : الانفجار ، إصدار مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة / مصر ، الطبعة الأولى ، 1411 هجرية المصادف 1990 ميلادية ، ص 239 .

[12] - نفس المصدر وذات الصفحة .

[13] - راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون حرب الثلاثين سنة ، الجزء الأول : سنوات الغليان ، إصدار مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة / مصر ، الطبعة الأولى 1409 هجرية المصادف 1988 ميلادية ، ص 850 ، والاستشهاد مقتطع من الوثيقة 26 المؤرخة في 18 أبريل / نيسان 1958 ، والتي وجه فيها المسؤولون الأمريكيون رؤساء البعثات الدبلوماسية في الشرق الأوسط ، ومودى الوثيقة كلها كما يقول الأستاذ هيكل ((إن سياسة الولايات المتحدة في المنطقة لم تتغير سواء بالنسبة لعزل مصر أو لكسر الوحدة بينها وبين سوريا ، وأن أي تغييرات ظاهرة في السياسة الأمريكية هي نوع من التكتيك لا يؤثر على الإستراتيجية)). أما التقرير الخاص والشامل الذي أعده مدير المخابرات المركزية الأمريكية حول ((القومية العربية بوصفها من العوامل المؤثرة في الوضع في الشرق الأوسط)) ، والمنشور بعض فقراته على الصفحة 855 - 859 ، من ترجمة المخابرات العامة في 2 / أغسطس - آب 1958 ، وفي سياق الوثيقة 28 حيث ورد فيها أن ((الفكرة الوحدة العربية قوة هائلة وجاذبية شديدة في كافة أنحاء العالم العربي تقريباً)) ، والقومية العربية ((ترمي إلى بعث الشعوب العربية واستعادة سيادتها ووحدتها وقوتها ومكانتها)) ، و((اكتسب عبد الناصر مكانته كبطل وطني عربي شعبي نتيجة لسلسلة من الأحداث أحرز فيها ، أو بدا على الأقل أنه أحرز فيها انتصارات للقومية العربية ضد معارضيها)) ، هذا تقرير من وضع جهة أمريكية نافذه في الساسة ، وليس من وضع صحيفة مصرية أو عربية أو كتابية صحافي ما موال لجمال عبد الناصر أو لرؤيته السياسية ، طالما يحاول البعض بذل جهود المخاتلة لكي يبرر تصرفات توجهاته السياسية عبر الاستناد إلى كتابات صحفية عابرة ..

- [14] - راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون حرب الثلاثين سنة 1967 الانفجار ، مصدر سبق ذكره في هذه الدراسة ، ص 333 .
- [15] - المصدر السابق ، نفس الصفحة .
- [16] - راجع المصدر السابق ، ص 337 .
- [17] - المصدر السابق ، ص 339 . وجميع الإستشهادات السابقة مقتطعة من كتابات وثائقية وردت في التواريخ المحددة لها .
- [18] - راجع المصدر السابق ، ص 403 - 404 .
- [19] - المصدر السابق ، ص 409 - 410 .

2006 / 10 / 2

يتبع

## العودة للأبهى من التاريخ العربي المعاصر يحي الأمل في إرتياد دروب المستقبل

### الحلقة الرابعة

#### - 4 -

#### المقارنة في الساحة العراقية :

#### الموقف السياسي

#### لحركة الأخوان المسلمين في العراق

الموقف السياسي الغربي الأمريكي تجاه العراق القومي العربي ، لما بعد ثورة 14 تموز 1958 المباركة ، هو البوصلة المحددة للتوجه السياسي الذي عكسته ممارسة الحزب الإسلامي العراقي ، في أعقاب توحيد الجهود الإستخبارية البريطانية - الأمريكية تجاه العراق ، انطلاقاً من فهم تحليلي ينطلق من أبعاد شمولية يحتويها النص الإلهي والأقوال النبوية والمؤلفات الفكرية الكثيفة لحركة الأخوان المسلمين في العالم ، لاسيما كتابات بعض المنظرين المصريين لهذا التوجه ، كان هذا المنطلق هو الذي ينبغي أن يكون هو المعيار لتقويم المواقف في الزمن الإمبريالي الأمريكي ، بشكل عام ، وفي مرحلة العولمة الأمريكية المفردة ، ونزوعها الصهيوني ، التي يقودها المحافظون الجدد بنزعاتهم الأيديولوجية التي تعد الدين العربي الإسلامي ((فاشياً)) و((متخلفاً)) ومحمد [ص] ذا توجه ((شيطاني النزعة)) ! ، إلخ ...

بغض النظر عن الفروق التجريبية على المستوى الفعل السياسي ، للحكم القومي العربي في العراق ، من حيث توجهه السياسي العام ، المضاد أو المناوئ للرؤية السياسية الغربية ، كانت درجة التصادم مع الرؤية السياسية الغربية ، وأدواتها ، ومصالحها ، ومع الفاعلية المؤثرة في هذا الصدام ، أساسية في الوضع العراقي ، **وتنبع مداميكها ، أساساً ، من القوة السياسية المعبرة عن الدولة العراقية ونهجها في ممارسة السلطة السياسية ، من جهة ، وقوة الموقف السياسي للعولمة على الصعيد العالمي ، من جهة ثانية ، ومدى نضوج المخططات الصهيونية الإسرائيلية تجاه العراق ، من جهة ثالثة ، في نطاق مفهوم الصراع السياسي بين الدول المتباينة على أرضية توجهات سياسية ملموسة .**

ولكن ، ألا يلفت نظرنا كيفية توحيد الفكر الطائفي وسيره خلف الرؤية الإمبريالية الأمريكية المعبر عنه عبر تنظيمات سياسية تحت توجهات ((قوة المال)) وتعليمات ((الوكيل العربي السياسي)) ، في المرة الأولى ، وكيفية تجمعهم السياسي المشترك وتنسيق أعمالهم في المؤتمرات التي تم عقدها في لندن : العاصمة البريطانية عشية العدوان على العراق ، ومن ثم تضامنهم السياسي المشترك على يد ((النخوة)) السياسية الأمريكية ، وتعضيدها

من خلال تكوين مجلس الحكم الطائفي والأثني المقيت ، **في مرحلة صيرورتها القوة المعتدية الغاشمة الباطشة والمحتلة للعراق عسكرياً** ، في المرة الثانية ؟ ! .

لنتدبر في الأسماء التالية لكي نتبصر في الحوادث الساسية التالية ، على ضوء التطورات السياسية التي تعاقبت في المنطقة العربية : **محمد باقر الحكيم ، عبد الهادي الجلي : ((والد أحمد جلي اللص والعميل المعروف)) ، عبد الكريم زيدان ، توفيق الشاوي ، أمجد الزهاوي ، محمد محمود**

**الصواف** ، [20] ، ولنجيل النظر ، كذلك ، في خلفيات أولئك الحضور السياسية وعموم ممارساتهم السياسية على الأرض ، ألا نجد أنها تشكل التوجه السياسي المشترك للتوجه الطائفي وتناغم عملها السياسي في إطار ((مؤتمر رابطة العالم الإسلامي)) ، حتى مع **تناقضهما الفقهي على مستوى الرؤية الفكرية وطبيعة الممارسة في المجتمع العراقي** ، للدرجة التي كان فيها آل سعود ، أصحاب الالتزام الرسمي في الفقه الحنبلي الوهابي ، يكفرون فيها جماعة المذهب الإثنا عشري الإمامي كونهم عبدة الأموات ويتوسلون بالقبور ؟ [21] .

فكيف اجتمعت الجماعتان على المبادئ ((الإسلامية !)) المشتركة ويقرّان فوق ذلك الآتي : **((بأنّ الحرمين الشريفين يجب أن يكونا مركز إشعاع لهذه الدعوة**

**ومصدر النور الإسلامي لكل العالم))** ، [22] ، التي تتولاها أسرة تهتدي بالسياسة الأمريكية في نظرتها لكل التطورات العالمية ، ومرتبطة بالرؤية السياسية الكلية والاقتصادية الأمريكية ، إذا لم يكن الذهب الأصفر هو الذي جمعهما ، **والتوجه**

**السياسي العام** لكل من آل سعود والشاه الإيراني هو القاسم الموحد للجهود السياسية على صعيد المنطقة العربية ، والذي كانت الرؤية السياسية الأمريكية ترسمها لكل التوجهات العالمية . . . إذا لم يكن **هي القاسم المشترك بينهما** ، خاصة وأنّ الثقل الإيراني السعودي كنظامين ، على مستوى التنسيق السياسي المشترك تجاه شؤون المنطقة وشجونها كان قائماً بينهما ، إذ حضر من إيران التي كان يحكمها الشاه ((الريامهر)) محمد رضا بهلوي المرتبط بأمريكا وإسرائيل إلى ذلك المؤتمر ، كلّ من ((الحاج آية الله خليل كمرهائي رئيساً وعضوية الدكتور عباس مهاجراني والشيخ أبو القاسم بايندا)) ، [23] ، وهم من أقرب مقربي الشاه على المستوى الطائفي الإمامي .

في هذه السياسة القائمة على التنسيق بين الطرفين توحدت جهود التوجه

**الطائفي في العراق** : جماعة باقر الحكيم الممثل ((المفترض)) للطائفة ((الشيعة)) في العراق ، ومن خلال مركز أبيه الروحي ((محسن الحكيم)) : المرجع الأكبر والأعلى للطائفة الإمامية في العالم ، والذي كان يحتفظ بعلاقات طيبة مع شاه إيران ويستمع إلى تعليماته ، [24] ، وجماعة الحزب ((الإسلامي)) : [أمين عام حزب الإخوان المسلمين العراقيين] الذي كان يقوده محمد محمود الصواف والذي وجد في المملكة العربية السعودية الدليل الموثوق ، والموجه الوحيد وصاحب ((الكرم)) غير المعهود ، لقد حضرا ذلك المؤتمر باعتبارهما يمثلان النسيج المسلم المشترك ، كما يتصور سادة الرابطة الحقيقيين

الموجهين للمؤتمر سياسياً ، لقناعات شعب العراق الفكرية ، وطموحه السياسي المشترك في خدمة المسلمين ، واستعدادهم للانخراط في الجهود الأمريكية التي تسعى ، كما تزعم دعايتها الواسعة ، إلى صيرورة ((السلام المظهر الرئيس في العالم)) ، وأمريكا - كما هو معلوم - هي العنصر الأبرز في التخطيط للحروب في مختلف ساحات العالم ، واستعداداً لقطف ((ثمراتها الناضجة)) وعدم ((إثارة الأحقاد وتفجير صراع طبقي في الأمة الواحدة)) وضرورة التغاضي عن دور العملاء التابعين لها ، والدعوة إلى ((عدم الأخذ بالنظم المستوردة)) ، [25] ، والمقصود منها كان واضحاً في تلك اللحظة التاريخية من الأعوام الستينية من القرن الماضي ، حيث كانت الدعاية السياسية الغربية ، وجهود أتباعها في المنطقة ، تتركز على التوجه الاشتراكي للتجربة الناصرية ، كما تطرقنا إلى ذلك عرضاً التاريخي السياسي في إحدى الحلقات الفائتة . . .

لقد تعمق العدوان الأمريكي على العراق الباسل ، منذ ذلك التاريخ التي كان أبرز منعطفاته السياسية الأساسية تأسيس البترول في العام 1972 ، ومشاركة العراق في حرب العام 1973 ضد كيان الإغتناب الصهيوني جنباً إلى جنب أشقائه العرب ، وبناء القدرة العلمية العراقية ، وغيرها من خطوات لا تحبذها الرؤية السياسية الإمبريالية الصهيونية ، وتقاومها بشكل مباشر أو غير مباشر ، وجرى شن الحرب الشاملة عليه منذ الأعوام التسعينية بشكل مباشر ، وتلاحقت الهجمات العسكرية على مدنه وقراه ومؤسساته وجرى إحكام الحصار الشامل عليه ، وشكل كل ذلك السبب الأساسي لاستشهاد ملايين العراقيين .

**كان ذلك العدوان السياسي والعسكري المتوالي والمتعدد الوجوه ، ومساهمة أغلب بلدان الجوار فيه ، تمهيداً لاحتلاله إستجابة لمتطلبات سياسية واقتصادية وأيديولوجية : صليبية صهيونية بالمعنى الحضاري وليس الديني ، فقد كانت الكثرة الكثيرة ممن تدعي الانتماء للدين الإسلامي منخرطة في جهود تلك الأيديولوجية ، وجرى توظيف مختلف الفضائيات الخليجية في الخط السياسي المكمل لعملها المساعد للجهود الأمريكية ضد العراق ، على سبيل المثال وليس الحصر ، وبرز على صعيد حركة الإخوان المسلمين العراقية دورهم من خلال رموزهم ، فأسهموا بالحملات الدعائية من تلك الفضائيات :**

كان هذا حال أسامة التكريتي الأمين العام للحزبي ((الإسلامي)) - الفرع العراقي الإخواني - والذي أجرى أحمد منصور ، وهو من مريدي الإخوان المسلمين المصريين في محطة ((الجزيرة)) القطرية التي تتمتع بسمعة ما في العراق ، مقابلات معه قبل الاحتلال وفي أعقابها ، كان واضحاً في معاداته للعراق من حيث النتائج السياسية لا الأقوال الدعائية المدعومة ببعض الآيات القرآنية ، مثلما أسهموا في مؤتمر لندن لنصرة الموقف السياسي الأمريكي ، الذي سبق العدوان والغزو والاحتلال ، ومهد له على صعيد تسويق أطروحاته السياسية المخاتلة ، كان هذا هو حال أياد السامرائي عضو المكتب السياسي للحزب .

**والتكريتي والسامرائي كانا قطبي الحزب اللذين يتحركان باسم الإخوان المسلمين العراقيين .**

وفي أعقاب العدوان الأمريكي على العراق ، وغزوه واحتلاله ، وبما فيها من خطوات سياسية إجرائية واضحة المعالم والغايات كانت تستهدف لتحطيم الدولة العراقية الحديثة

التي تأسست في العام 1921 ، وحل الجيش العراقي الباسل ، وتمزيق الوطن سياسياً وتفتيته إجتماعياً ، **تعاقب رموز الحزب على المشاركة في السلطة التي أقامها الإحتلال وأدارها بشكل مباشر** ، وذلك في إطار تعاونهم المعلن معه ، للدرجة الذي تبوأ خلالها ولاحقاً ، الدكتور عبد المحسن حميد عضوية مجلس الحكم جنباً إلى جنب أشقائه في الرؤية الطائفية الذين حضروا مؤتمر ما يسمى برابطة العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية في منتصف الستينات ، وبقي هذا الرمز على ذات موقفه السياسي للدرجة التي لم يتخذ فيها موقفاً سياسياً معيناً ، حتى مراعاة لكرامته الشخصية عندما وضع أحد عسكري الإحتلال حذاء قدمه على رقبة عضو مجلس الحكم السابق : الدكتور محسن عبد الحميد الأمين العام السابق للحزب الإسلامي العراقي ، والذي هو ممثل حزب الأخوان المسلمين ! .

لقد استمر الأمريكيون : الأعداء المحتلون للعراق منذ قرابة الأربع سنوات ، بالتدمير المنهجي للعراق من إعدام للناس عبر القصف وإطلاق الرصاص والتصفية بالتعذيب ، وقتل الألوف بشكل غير مباشر ، كون قوات الإحتلال هي المسؤولة عن أمن المواطنين المحتلة أراضيهم ، واتبعوا سياسية الأرض المحروقة تجاه المدن الراضية للإحتلال أو أعرب سكانها عن رفضهم للإحتلال العسكري ، ونهبوا الثروات العراقية ، كالنفط وغيره ، واستهدفوا العلماء العراقيين والطيارين البواسل بالتصفية الجسدية من خلال الأدوات التي قدمت معهم وعلى دباباتهم ، وقسموا العراق عملياً وفعلياً إلى مناطق شمالية تحت قيادة البارزاني والطالباني ، وجنوبية تحت قيادة الأحزاب الموالية لإيران ، وجعلوا السلطة في الوسط خليطاً يرقص أفراد على النغمة السياسية الأمريكية الحاكمة بواسطة السفير الأمريكي القابع في المنطقة الخضراء ! . **وسيطول الرصد الكلي للخط السياسي الأمريكي وتأثيره في العراق ، إذا ما أردنا التطرق إلى التفاصيل حتماً .**

ومع ذلك كله ، وفي نطاق تزايد الأعداد الفلكية التي تجاوزت عشرات الألوف من الضحايا الأبرياء ، شهداء الغدر الطائفي وجرائم فرق الموت ، بالنظر لنوعية التزامهم المذهبي ، **فقد دأبت حركة الأخوان المسلمين على تعضيدها للموقف الأمريكي من خلال تبوء قادة الحزب الإسلامي العراقي المواقع السياسية في السلطة في إطار التقاسم الطائفي وتوزيع الحصص ! .** الوجوه المنتدبة في المواقع السلطوية التي تحركها القوات المحتلة كيفما يشاء البرنامج السياسي الأمريكي تجاه العراق ، تبدلت من حيث الوجوه : فطارق الهاشمي حل مكان الدكتور محسن عبد الحميد ، والتصريحات السياسية توالى أو تناقضت ولكنها كلها **صبّت الماء في طاحونة**

**المحتلين الأمريكيين وحلفائهم** ، ولم تثر عملياً أو تتأثر هذه الحركة / الحزب حتى لمحاسبة المجرمين الذي نفذوا جرائمهم الأخلاقية من قتل بالتعذيب ، وجرائم أخلاقية شنيعة أخرى ، في سجون أبي غريب والمطار وبوكا ، وغيرها ، ولم يستطيعوا حتى إثارة قضية قضائية في العراق حول جريمة المحمودية المعروفة عندما قتل المحتلون عائلة كاملة وينفذون جريمتهم الأخلاقية بطفلة بريئة قبل إعدامهاما للتعتيم على جريمتهم الفظيعة ! .



هذا هي صورة الموقف السياسي في اللحظة التاريخية الملموسة ، وهذه هي معالم مواقفها الأساسية سواء في لحظة تصادم الحركة القومية العربية مع الإمبرياليين في العقدين الخمسيني والستيني من القرن الفائت ، في مصر ، وفي التاريخ المعاصر أو قبيله بعشر سنوات على وجه أدق ، على الصعيد العراقي ، **فيهل المواقف السياسية تشكل صفة لتوعية المخدوعين بالأقوال الجميلة الخارجة عن الزمان المحدد والمكان الملموس** ، أم تبقى رحلة الضلال عند البعض مستمرة تحت عبء ثقل المرحلة السياسية وأوزار تطوراتها على الصعيد التفصيلي ؟ ! .

---

## المراجع والملاحظات والهوامش

[20] - راجع الكتاب المعنون فيصل ورابطة العالم الإسلامي ، مصدر سبق ذكره في الحلقات السابقة ، وقد ذكرت الأسماء السابقة وفق ترتيبها في ذلك الكتاب ، وهي أسماء مذكورة في الصفحات 99 - 104 .

[21] - ينسب إلى كتاب أساسي في الفكر الحنبلي الوهابي ما يلي : ((تجد الرافضة يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ، وليس عندهم كبير حرمة ، وإن صلوا فيها صلوا وحدانا ، ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ، ويحجون إليها كما يحج إلى البيت العتيق ، ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة ، بل يسبون من لا يستغني بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله تعالى على عباده ومن لا يستغني بها عن الجمعة والجماعة ، وهذا من جنس دين النصارى والمشركون)) ، [214 - 215] . ويجزم أحد ((العلماء المتدينين من الفرس)) بأن ((الواقع الذي لا محيص عنه أن الوهابية اليهودية . . . ومن قبلهم شيوخهم في الغي والضلالة ابن تيمية ، ومن لف لفهم من أذئاب الأموية الممقوتة . . . لا يرغبون في أن تتوجه الناس لحظة من لحظات حياتهم إلى خالقهم ، وعبادته ، وطاعته ، وإنما يكونوا كما كانت عليه الأوائل في العصور الجاهلية ، أو كالذين كانوا يعيشون في الكهوف والمغاور لأن إقبال الناس وإنذفاعهم إلى الله سبحانه ، وعبادته ، وتعظيم شعاره ، صخرة تتحطم عليه مآرب الوهابية ، ومكاندهم ، ورناستهم ، وتنهار في ظلالها عروشهم الخاوية ، كما هم أيضاً على هذه الحالة من الوحشية والبربرية فإنك لا تجد على وجوه كافة أفرادهم بصيصاً من سمات الخير ، والصلاح والفلاح ، والعبادة ، والهداية)) ، [ص 260 - 261] ، هذا غيض من فيض ، وغيره الكثير جداً عن ((تكفير)) الصفوي للآخر الوهابي . راجع الكتاب المعنون ((مكة)) الذي أصدره مكتب نشر العلم والأدب وقامت بطباعته مطبعة جامعة طهران ، ومؤلفه هو الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني ، الصادر بتاريخ 1408 هجرية - 1988 ميلادية ، وخلالها يتم العودة للتاريخ المفصل حول نظرة كل فريق للآخر .

[22] - المصدر السابق ، ص 116 .

[23] - راجع الكتاب المعنون فيصل ورابطة العالم الإسلامي ، مصدر سبق ذكره ، ص 158 .

[24] - لم يستقبل الحكيم الأب الخميني : المعارض للشاه رضا بهلوي ، طوال فترة تواجده في العراق ، خشية من غضب الشاه الإيراني ، كما هو في تقديري ، كما لم يحضر الخميني حتى مجلس الفاتحة المقام على روح محسن الحكيم ، واكتفى بإقامة مجلس خاص به على راحة نفس محسن الحكيم لم يحضره أبناؤه : مهدي وباقر وعزيز الذين كانت تحوم حولهم شتى الأقوال التي تشير إلى ارتباطهم بشاه إيران وعمالتهم لأجهزة السافاك الإيراني الرهيب في أيام النظام الرأسمالي السابق .

[25] - تلك التعبيرات مستقاة من الأفكار الدعائية الذي ضمها كتاب فيصل ورابطة العالم الإسلامي .

**2006 / 10 / 4**

يتبع

## العودة للأبهى من التاريخ العربي المعاصر يحيي الأمل في إرتياد دروب المستقبل

### الحلقة الخامسة والأخيرة

#### - 5 -

#### المقارنة في الساحة العراقية :

#### الموقف السياسي

#### للحزب الشيوعي العراقي

الموقف السياسي الغربي الأمريكي تجاه العراق الوطني القومي العربي ، لما بعد ثورة 14 تموز 1958 المباركة ، هو البوصلة المحددة للتوجه السياسي الذي عكسته ممارسة الحزب الشيوعي العراقي ، في أعقاب توحيد الجهود الإستخبارية البريطانية - الأمريكية تجاه العراق ، انطلاقاً من فهم تحليلي ينطلق من أبعاد كلية وشاملة : عالمية ومحلية ، كما يقررها المنهج الماركسي اللينيني كفلسفة كلية تحتوي على جوانبها المتعددة كالمادية الديالكتيكية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي ، والتجربة التطبيقية للنظام الاشتراكي العالمي ، كما تجلّى ذلك التطبيق في الاتحاد السوفييتي : وروسيا بشكل خاص ، الذي كان أساس نشوء الأحزاب الشيوعية العالمية والعربية والعراقي كذلك ، من خلال تأسيس الأممية الثالثة ، **وليس من خلال رفع الحزب المذكور شعاره الدائم وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي فقط ، وإنما اعتقاده الإيماني بأنّ الطبقة العاملة العالمية هي مركز تطورات العصر ، وتقرر مساره الإنتقالي .**

كان ذلك ينبغي دائماً ، هو المنطلق في الرصد والتحليل والاستخلاص ، وهو - كذلك - المحتوى السياسي الذي ينبغي عليه أن يكون المعيار الأساسي ، وليس الرئيس فقط ، لتقويم المواقف السياسية لأنظمة البلدان المختلفة في الزمن الإمبريالي الأمريكي ، بشكل عام ، وفي مرحلة العولمة الأمريكية المنفردة ، ونزوعها الصهيوني ، بشكل خاص ، التي يقودها المحافظون الجدد بنزعاتهم الأيديولوجية التي من بينها البعد التطبيقي والعملي والشكل السياسي على صعيد المفاهيم السياسية ، كما يقول الطاغية جورج بوش الرئيس الأمريكي : **إنّ كلّ مَنْ لم يؤيدنا فهو ضدنا .**

المعيار الذي يجب وضعه لمحاكمة الحزب الشيوعي ، أي حزب ، المقياس الطبقي العمالي ، إذا ما كان يدعي الالتزام بالنهج اللينيني في مواجهة التطورات ، **سيكون نافلاً بالتأكيد** ، في اللحظة التاريخية الراهنة الذي يجب أن تتصرف فيه مجموع الجهود الوطنية نحو مواجهة الغزو الأمريكي للعراق والآثار المترتبة عليه . ولكن ما ينبغي تذكره دائماً حول التاريخ الماضي هي المقاييس التي وضعها رواد هذا المنهج ، والذي يلتزم الشيوعيون بأفكار هؤلاء الرواد ، وليس ما كرره لينين حول **أهمية التوجه نحو**

**الإمساك بالحلقة المركزية** في مجمل التطورات السياسية والاقتصادية ، والذي تتجلى على مستوى أي قطر أو أية دولة بالسلطة السياسية ، هي المعيار الذي تحاكم به رؤية التطورات ، من أجل وسم كل التطورات برؤية الحزب السياسية التي ينبغي أن تكون لصاح الطبقة العاملة في الأفق الإستراتيجي .

أما في المرحلة الراهنة وفق الظروف العراقية ونوعية القيادة الفكرية والسياسية فتكاد أن تكون تلك المهمة مستحيلة التحقيق ، بحكم التناقض بين الشعب العراقي وقوات العدوان والغزو والإحتلال ، وليس بين طبقة واحدة تعد أحد مكونات المجتمع العراقي ، من ناحية ، والقوات المعتدية الغازية المحتلة ، من ناحية أخرى ، حتى لو كانت تلك الطبقة تملك أسلوباً للإنتاج ، على سبيل الافتراض المجرد عن عامي الزمان والمكان .

لقد استبدلت قيادة الحزب في الماضي الذي انبثق عن ثورة 14 تموز الخالدة ، مثلاً ، **كل**

**أولوياتها التاريخية** من حيث طبيعة الممارسة السياسية الطبقية المستقلة إلى التمسك بخط التبعية للسلطة البورجوازية العراقية ، وقامت في إطار تلك التبعية بقتل وسحل حلفاء الأمس ، في جبهة الاتحاد الوطني ، والتطورات التاريخية التي أعقبت ثورة 14 تموز 1958 هي الشاهد العملي على تلك السيورة ، [26] ، واليوم تتكرر الفجائع السياسية لهذا الحزب عند محبي هذا الحزب المخلصين للعراق ، واعتبار الإخلاص والمحبة لهذا الحزب المحدد ، هو البديل العملي عن حب الوطن العراقي والشعب العراقي ، ولكن هذا التكرار ، خلال اللحظة التاريخية من سيطرة الإحتلال على العراق ومحاولات المحافظين الجدد لتطبيق البرنامج الإمبريالي الصهيوني على حاضره ومستقبله ، **هو الأشد والأقسى وفق أية نظرة موضوعية وعلمية والإستناد إلى مفاهيم المنهج الماركسي اللينيني .**

و((بغض النظر عن الفروق التجريبية على المستوى الفعل السياسي ، للحكم القومي العربي في العراق ، وطبيعة النظام السياسي للسلطة ، من حيث توجهها السياسي العام ، المضاد أو المناوئ للرؤية السياسية الغربية ، كانت درجة التصادم مع الرؤية السياسية الغربية ، وأدواتها ، ومصالحها ، ومع الفاعلية المؤثرة في هذا الصدام ، أساسية في الوضع العراقي ، **وتنبع مدا ميكها ، أساساً ، من القوة السياسية المعبرة عن الدولة العراقية ونهجها في ممارسة السلطة السياسية ، من جهة ، وقوة الموقف السياسي للعولمة على الصعيد العالمي ، من جهة ثانية ، ومدى نزوج المخططات الصهيونية الإسرائيلية تجاه العراق ، من جهة ثالثة ،** وذلك في نطاق مفهوم الصراع السياسي بين الدول المتباينة في المواقف السياسية والرؤى السياسية الإستراتيجية على أرضية توجهات سياسية ملموسة)) ، [27] .

وبغض النظر ، كذلك ، عن مواقف البعض السياسي الذي بدأ العنف العنثي في العراق بين الوطنيين وترك عملاء أمريكا وبريطانيا يسرحون ويمرون ويعملون ، من ناحية ، **أو شاء حل حزبه في بعض المراحل ، أو حاول ،** لولا موقف القاعدة الشعبية للحزب وموقف السلطة السياسية التي كان يقودها عبد السلام عارف **من طبيعة هذا**

**الحل . . .** لقد شاعت قيادة هذا الحزب حل الحزب تنظيمياً وسياسياً على أرضية فكرة ريزانوف السوفيتية ، حول ((سفارات الخارج)) : العلاقات السياسية المتطورة مع الدولة المعنية بحل الحزب ، و((سفارات الداخل)) ، الأحزاب الشيوعية في الدول التي وصلت معه العلاقات الدبلوماسية إلى درجة متطورة ، يُخشى من تبني الاتحاد السوفييتي للحزب المعني في تلك الدولة من طبيعة تلك التأثير بين التابع والمتبوع على تلك العلاقات ، من ناحية أخرى . **لا شك أن لنظرية التطور اللا رأسمالي الدور الأكبر في ذلك التوجه السوفييتي .**

وفي أعقاب العدوان الأمريكي على العراق ، وغزوه واحتلاله ، وبما فيها من خطوات سياسية إجرائية واضحة المعالم والغايات ، كانت تستهدف ، بالأساس ، تحطيم الدولة العراقية الحديثة التي تأسست في العام 1921 ، في أعقاب ثورة العشرين الوطنية الكبرى ضد المحتلين البريطانيين ، من حل الجيش العراقي الباسل ، إلى تمزيق الوطن سياسياً وتفتيته اجتماعياً ، وما بينهما من خطوات سياسية ، وما سيشكله ذلك التحطيم وتلك الخطوات ، من مخاطر ليس على وحدة الوطن العراقي واللحمة المجتمعية للشعب العراقي الباسل ، وإنما على **وحدة الطبقة العاملة وطموحها السياسي** كما تتبناه أيديولوجية الحزب ، أي حزب شيوعي في العالم .

**لقد تعاقب رمز الحزب : سكرتيره العام حميد مجيد موسى البياتي ، على المشاركة في السلطة التي أقامها الاحتلال وأدارها بشكل مباشر عبر بول بريمر ، إضافة إلى مشاركة قياداته في بعض مواقع السلطة السياسية التي تسير بفلك المحتلين بدرجة وكيل الوزير أو المدير العام ، أو عضوية ما يسمى ببرلمان العملاء للمحتل ، بعد أن أوغل في إتصالاته مع البريطانيين والأمريكيين وخدم خطهما السياسي الذي تمثل بالسيطرة العسكرية على العراق ، في المجال الدعائي على وجه الخصوص .**

لقد استمر الأمريكيون : الأعداء المحتلون للعراق منذ قرابة الأربع سنوات ، بالتدمير المنهجي للعراق من إعدام للناس عبر القصف وإطلاق الرصاص والتصفية بالتعذيب ، وقتل الألوف بشكل غير مباشر ، **كون قوات الاحتلال هي المسؤولة عن أمن المواطنين المحتلة أراضيهم** ، كما هو مفترض في أية حالة احتلالية مشابهة ، واتبعوا سياسة الأرض المحروقة تجاه المدن الرافضة للاحتلال أو التي أعرب سكانها عن رفضهم للاحتلال العسكري ، ونهبوا الثروات العراقية ، كالنفط والآثار وغيرها ، واستهدفوا العلماء العراقيين وأساتذة الجامعات والطيارين البواسل بالتصفية الجسدية من خلال الأدوات التي قدمت معهم وعلى دباباتهم ، أو عبر الأجهزة الاستخباراتية الإيرانية وأجهزة الموساد الإسرائيلية ، وقسموا العراق عملياً وفعلياً إلى مناطق شمالية تحت قيادة البارزاني والطالباني ، وجنوبية تحت قيادة الأحزاب الطائفية الموالية لإيران الفارسية ، وجعلوا السلطة في الوسط خليطاً سياسياً يرقص أفرادها من **جميع الانتماءات السياسية** على النغمة السياسية الأمريكية الحاكمة بواسطة السفير الأمريكي القابع في

**المنطقة الخضراء منذ نغربونتي وحتى خليل ((حرام)) زادة ! . وسيطول الرصد الكلي للخط السياسي الأمريكي وتأثيره في العراق ، إذا ما أردنا التطرق إلى التفاصيل حتماً .**

ومع ذلك كله ، وفي نطاق تزايد الأعداد الفلكية التي تجاوزت عشرات الألوف من الضحايا الأبرياء ، شهداء الغدر الطائفي وجرائم فرق الموت ، التي تقف خلفها قوات الاحتلال مباشرة أو مداورة ، بعد شن الحرب الشاملة على العراق في 20 / 3 / 2003 واستخدامهم لأسلحة الإبادة والدمار الشامل وقصف البنية التحتية ما خلا منشآت النفط ، **فقد دأبت حركة الحزب الشيوعي العراقي على تعصيده للموقف الأمريكي من خلال تبوء المواقع السياسية في السلطة في إطار التقاسم الطائفي وتوزيع الحصص !** ، وهو الحزب المفترض به أن يبتعد عن أية مقاييس طائفية لصالح مقاييس وطنية وطبقية .

الوجوه المنتدبة من قبل الحزب الشيوعي العراقي ، فضلاً عن أمينه العام ، حاولت ترسيخ مناصبها ، وكذلك دغدغة عواطف أتباعها من خلال الحصول على مكاسب مادية لها ، في المواقع السلطوية التي تتحكم بالوضع السياسي العراقي ، كانت تحركها القوات الأمريكية المعتدية الغازية المحتلة كيفما يشاء البرنامج السياسي الأمريكي الصهيوني تجاه العراق ، والتصريحات السياسية لمختلف مواقع رموزهم الوظيفية والسياسية مهما توالى أو تناقضت ، ولكنها كلها **صبّت الماء في طاحونة المحتلين الأمريكيين وحلفائهم** ، في نهاية المطاف ، ويمكن أخذ عينة واحدة للبرهان على ذلك التوجه هو **الإدانة المستمرة والمتصاعد للمقاومة الوطنية العراقية تحت ذريعة مهاجمة ((الإرهاب والإرهابيين)) .**

بل لم يחדش حياء الحزب أو يساور ضمير قادته وكوادره : ضميرهم السياسي والوطني ، أي سلوك أمريكي إجرامي تجاه الوطن والشعب ، وخصوصاً ، الذين نفذوا جرائمهم الأخلاقية من قتل بالتعذيب ، وجرائم أخلاقية شنيعة أخرى ، في سجون أبي غرب والمطار وبوكا ، وغيرها ، أو ضد جريمة المحمودية المعروفة عندما قتل بعض المحتلين عائلة كاملة ونفذوا جريمتهم الوحشية اللا أخلاقية بطفلة بريئة قبل إعدامها للتعتيم على جريمتهم الفظيعة ! .

وما ينبغي إعلانه في هذه الحلقة من البحث المنوه عنه في العنوان ، هو أن المقصود بتوجيه الرصد هذا هو **الحزب الشيوعي العراقي الرسمي الذي يقوده**

**سكرتيه العام منذ أربعين سنة ونيف** ، أي منذ العام 1964 ، عزيز محمد ، [28] ، وخلفه ، حميد مجيد موسى البياتي ، [29] ، وليس تلك التكوينات التي إنشقت عن

الحزب والتي ما تزال تتحدث باسمه على أنها تدعي بأنها تشكل الحزب ذاته ، **فتلك نظرة ذاتية تستحق العطف وليس المناقشة السياسية الموضوعية** ، وخصوصاً

أولئك الذي وقفوا عند التمسك بذكريات ((تمجيدية)) عفا عليها الزمن ومتناسين في الآن ذاته عثراته السياسية والفكرية التي مر بها تاريخه ، [30] ، ومن دون مراجعة حقيقية

لمفردات التاريخ التي أعقبت تأسيس الحزب ، وما خلا البعض الذي ما يزال مصراً على التمسك بتاريخ هذا الحزب ، **من دون مراجعة نقدية لتاريخه السياسي** ، فإنّ مجموع تلك الأسماء والرموز والمسميات تعرقل عملياً إنضمام ألوف المواطنين لجبهة المقاومة ضد المحتلين من خلال تركيز الأبصار على الحزب ومشكلاته الفكرية وأزماته التاريخية ، بدلاً من التمسك باللحظة المفصلية التاريخية التي تواجه العراق وتهمته بالدرجة الأولى : الوطن والمجتمع والدولة .

هذه هي صورة الموقف السياسي في اللحظة التاريخية الملموسة ، وهذه هي معالم مواقفها السياسية الأساسية سواء في لحظة تصادم الحركة القومية العربية الحديثة مع الإمبرياليين في العقدين الخمسيني والستيني من القرن الفائت ، في مصر ، وفي التاريخ المعاصر أو قبيله بعشر سنوات على وجه أدق ، على الصعيد العراقي ، **فهل مجموع تلك المواقف السياسية تشكل صفقة لتوعية المخدوعين بالأقوال الجميلة الخارجة عن الزمان المحدد والمكان الملموس** ؟ أم تبقى رحلة الضلال عند البعض مستمرة تحت عبء ثقل المرحلة السياسية الراهن وأوزار تطوراتها على الصعيد التفصيلي ، **حتى تحين لحظة تطبيق مفاهيم : العراق باقٍ والإحتلال إلى زوال** ، لتتكرر مقولة لقد صوبت التطورات السياسية موقفنا : نحن الحزب الشيوعي على السنة البعض ؟ ! .

---



## المراجع والملاحظات والهوامش

[26] - كان لينين يؤكد على ضرورة جعل هدف إستلام السلطة السياسية هي موضع الاهتمام الأول ، وكان يقول ، ((إنَّ القضية الجذرية في كل ثورة ، إنما هي قضية السلطة . وما دامت هذه القضية لم توضح فليس هناك مجال للكلام عن أي اشتراك واعٍ في الثورة ، **نِاهيك عن قيادتها**)) ، ويؤكد كذلك ((... . بالطبع أنَّ مسألة السلطة هي أهم مسألة في كل ثورة ، أية طبقة تستولى على السلطة ؟ هذا هو أساس القضية... .)) ، وعليه ((لا يمكن حذف مسألة السلطة ولا وضعها في المؤخرة ، إذ أنها المسألة الأساسية التي تحدد كل تطور الثورة وسياستها الداخلية والخارجية)) ، [نقلًا عن كتاب الفقيد هاشم علي محسن المعنون دراسات نقدية لقوى الثورة العالمية ، الكتاب الثالث ، طباعة الدار اللبنانية للتوثيق والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى آذار 1985 ، ص 120 - 121] .

أما الحزب الشيوعي العراقي فقد كان يملأ كل الشوارع في أغلبية المدن العراقية ، وطولاً وعرضاً ، بشعار ((ماكو زعيم إلا كريم)) ، ولكن البدايات الخاطئة تؤدي إلى نهايات خاطئة حتماً . ولا نقول توصيفات أخرى - وتحولت التطورات السياسية على صعيد هذا الحزب إلى مجرد نكتة سياسية تبرهن على الحصيلة العامة للممارسة... . على الاتجاهات العامة التي تدل على ما وصل إليه الحزب الشيوعي العراقي ، فقد تداول بعض العراقيين في التسعينات بأنَّ قيادات من الحزب الشيوعي العراقي قد اجتمعت مع بعض الشخصيات التي تتخذ من المقولات الدينية الإسلامية أيديولوجية لها في إطار نهجها السائر خلف الرايات الصليبية الصهيونية من أجل رسم معالم التحالف السياسي القادم بين الطرفين ، واقترح الوفدان **رفع شعار سياسي موحد ومشارك** ، فتوصل الطرفان إلى فكرة أن يقوموا بصورة مشتركة إلى صياغة ذلك الشعار الذي يعبر عن قضية واحدة ، ورأت تلك القيادات المسماة بالشيوعية أنَّ تضع النصف الأول من الشعار ، فيما يقوم الطرف الثاني بإكماله ، ووافق الطرفان : فوضع : النصف الأول من الشعر على يد قيادة الحزب ، بالجملة التالية : ((**يا عمال العالم**)) ، وسكت المقترحون على أن يكمل الطرف الآخر معنى الجملة : فوضعوا النصف الثاني : ((**صلوا على النبي**)) !! .

ولكن ما أفرزته التطورات منذ الإحتلال ، أو قبيله ، من تفتيت لقوة الطبقة العاملة العراقية تحت مقولات الفيدرالية وخلافها ، أوصل الحزب الشيوعي العراقي إلى خاتمته التالية : كما نقل الخبر التالي ، مضافاً إليه تعليق الكاتب الذي كان من كربلاء ، موقع ((الكادر)) المناضل يوم 18 / 9 / 2006 ((اصطدم بواقعها المرير والذي لم يتغير بشيء وربما اتجه نحو الدرك الأسفل بعد ما حاولت تلك الأحزاب الشيوعية التقرب إلى المواطن فأصبحت أحزاب طائفية تلعب على الوتر الطائفي الذي وجدت فيه المجال واسعا لطرح برنامجها الغث الذي لا يسمن ولا يشبع من جوع ، ومن سخرية القدر أن يتبنى الحزب الشيوعي العراقي بعض المفاهيم الطائفية واللعب على حبالها محاولاً دغدغة مشاعر المواطن (الشيوعي) حين يتبنى هذا الحزب مشرعا طائفا في الوقت الذي يجب فيه أن تعمل هذه الأحزاب على تبني مبادئ المواطنة وتقبل رأى الآخر . في كربلاء حاول الحزب الشيوعي

التقرب نحو الذائقة الشيعية التي تحاول التهويل لفاجعة أهل البيت الكرام والتي لا تخدمنا جميعاً ولا تخدم العراق في الوقت الحاضر حين قام برفع لافتة نشم منها رائحة الطائفية المقيتة وذلك في ذكرى وفاة (فاطمة الزهراء) اللافتة تقول : ((**نعزى صاحب العصر والزمان والمراجع العظام بإستشهاد المهضوم حقها والمكسور ضلعها الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء**) وفي الأسفل خط اسم الحزب الشيوعي العراقي / فرع كربلاء !!)).

والدلالة الفكرية والسياسية هنا ليست نابعة من الممارسات الموضوعية في كربلاء ، مثلاً ، التي أفرزت {إيمان جمهرة أعضاء الحزب بمفهوم ((صاحب الزمان)) و((المراجع العظام)) وغير ذلك من خزعات تاريخية} من وجهة نظر أي حامل جذي للمبادئ الفلسفية الديالكتيكية والتاريخية ، **إنما الدلالة على طبيعة الظرف الحزبي الذي أفرز مثل هذا التفكير عند القيادات الحزبية ، علماً إنَّ اللافتة بقيت مرفوعة لأربعة أيام ، مثلما جاء في سياق ذلك التعليق .**

[27] - كررنا هذا المعيار من الحلقة الرابعة للطبيعة السياسية والفكرية الموضوعية التي تقتضي توفير المقياس الموضوعي في المناقشة ، فالرجاء الملاحظة .

[28] - يروي بول بريمر القصة التالية : ((فيما كنا نعمل على توسيع مجلس الحكم في الأسبوع الأول من تموز / يوليو ، جاء البريطانيون بفكرة ضم أحد أعضاء الحزب الشيوعي العراقي ، {...} ، سألني ساورز إذا كان لدي اعتراض مبدئي على الفكرة ، قلت لا ، شريطة أن نجد شخصاً تخلص عن الأفكار الشيوعية الخاطئة بشأن كيفية إدارة الاقتصاد .

وهكذا في 8 تموز / يوليو كنت في مكتب ساورز في مواجهة عزيز محمد الأمين العام للحزب الشيوعي المتقاعد مؤخراً . كان كردياً في التاسعة والسبعين ، وتبدو عليه آثار السنين ويشعر بها ، **بعد وصف خططنا بشأن المجلس** ، سألته عما تعلم من سقوط الشيوعية السوفييتية . استطرد عزيز في رده مستذكراً أن بريجنيف كان يتسلم رسائل لا يقرأها قط ويرسل رسائل لا يكتبها البتة .

تركت ملاحظاته لدي انطباعاً مميزاً **بأنه يعتقد** أن بريجنيف لا يزال يتولّى مقاليد الأمور في موسكو . ولم يكن لدي الشجاعة لأبلغه بأن ليونيد لم يكن بحال جيدة مؤخراً . وهكذا شطبنا عزيز من اللائحة . ومن حسن الحظ أننا ، أنا وساورز ، أجرينا مقابلة مع بديل عزيز في قيادة الحزب ، حميد مجيد موسى . كان رجلاً رباعاً نشيطاً في أواسط الأربعينات من العمر **يدرك بوضوح الحاجة إلى تشجيع القطاع الخاص في العراق** ، وأثبت موسى ، وهو شيعي ، أنه أحد أكثر أعضاء مجلس الحكم تأثيراً وشعبية)) ، عند الأمريكان الأعداء الغزاة المحتلين طبعاً . راجع الكتاب المعنون عام قضيته في العراق : النضال لبناء غدٍ مرجو ، السفير بول بريمر بالإشتراك مع مالكوم ماك - كونل ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى 2006 ، [ص 126] .

[29] - وصل الضلال بممثل الشيوعيين ((حميد مجيد موسى : الشيوعي العلماني)) وفقاً لما يقوله بول بريمر ، [ص 461] ، الذي اعترف مؤكداً ((أحببتم ذلك أم كرهتم - وليس من الممتع أن تكون خاضعاً للاحتلال ، ويمكنني أن أضيف أو أن تكون المحتل - **الإئتلاف هو السلطة السيدة هنا**)) ، [ص 205] ، أن يؤيد تأييداً مطلقاً إيداع علاوي في ترؤس السلطة العراقية ، الجاسوس المعترف بلسانه أنه ((تعاون)) مع 14 جهاز استخباري عالمي مضاد للعراق ، من تنفيذ المشروع السياسي الإمبريالي الصهيوني بحق العراق ، وفي ذلك يقول بول بريمر ، . . . أفاد غازي ، والبرزاني ، **والشيوعي المرح موسى** بأن استطلاعاتهم للآراء أظهرت ((دعماً قوياً)) لإيداع علاوي بين أعضاء مجلس الحكم ، نفس الصفحة . راجع المصدر السابق .

[30] - في الفترة الأخيرة ، ومن أجل ردف هذه الحلقة الخاصة التي ستنتشر في موقع عربستان ، بعد يوم 18 تشرين الأول من عام 2006 ، تقدم السيد نوري المرادي خطوة أخرى في سياق الرؤية التاريخية للممارسات المتعلقة بالحزب من دون مراجعة حقيقية وشاملة لكل تاريخية ممارساته ، وتاريخ ممارسات قياداته ، لقد كانت خطوة طيبة ولكنها لم تكن كافية ولن تكون ، **إذا كان يريد السيد المرادي أن يكون صادقاً مع نفسه وصادقاً مع الآخرين** ، جاء إسهامه على الشكل التالي :

**((حميد ومفيد ومهدي الحافظ ،  
خيانة عظمى حان قصاصها!))**

د نوري المرادي  
عن موقع الكادر 14 / 10 / 2006

أقرت قبل ثلاثة أيام في جمعية الإمعات ما يسمى بمشروع الفدرالية، بفارق صوتين، هما صوت الشيوعيين مفيد الجزائري وحميد مجيد وصوت الشيوعي السابق ورئيس اتحاد الطلبة العالمي (الشيوعي) مهدي الحافظ. وهو أمر لا بد ويعيد المرء إلى ما سبق من تاريخ العراق المعاصر وتحديدًا إلى أربعينيات القرن الماضي منذ أن اشتد عود الحزب وصار ذا صوت على الساحة. ومن هذا التاريخ فالظاهر أن ما من منعطف خياني وتأمري على العراق إلا وكان هؤلاء الخونة وأتباعهم أبطاله. ففي الأربعينيات كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراق من 21 قياديا، بينهم 19 من اليهود الصهاينة. ووقتها لم يندر أن تخرج صحافة الحزب بجمل من قبيل. ((**الإعتداءات الفلسطينية على الشعب الإسرائيلي الصديق**)) و ((**آلاف من يهود الشتات يعودون إلى وطنهم**)). ما بالك ولم تشر صحافة الحزب خلال الحرب عام 1948 إلى أن الجيش العراقي تحديدًا هو الذي يخوض القسم

الأكبر من الحرب هناك، ولا إلى وقائع الحرب كليا، ثم ليختتم الحال بالموقف الخياني المشهود أبدا وهو تأييد قرار التقسيم.

وخلال الستينات، ظهر أشد المواقف الخيانية تجليا بتعاون الحزب مع القيادة الشوفينية الكردية لتصبح مقرات على مرمى حجر من مقرات الموساد في المنطقة الكردية، بل إن معركة هندرين التي يعتبرها الشيوعيون من أمجاده قادها ضابط إسرائيلي من الموساد كما يقول شلومو نكديمون في كتابه "الموساد في العراق"، وهو ذات الضابط الذي قاد النشاط التخريبي على منشآت النفط في كركوك آنذاك.

بعد هذا وفي الثمانينات وخلال الحرب العراقية الإيرانية، كانت مجموعة من مقاتلي الحزب تهاجم الجيش العراقي في المنطقة الكردية، وتحت قيادة ضباط إيرانيين، أو بالتعاون العسكري معهم. بل ومن أغرب الدلائل أن نشاط الحزب العسكري انتهى كليا مع نهاية الحرب ذاتها.

وخلال العدوان الثلاثيني على العراق عام 1990 - 1991 قاد الصحفيون الشيوعيون الحملة الإعلامية ضد العراق والموجهة أمريكيا والممولة من عائلة العبيد آل الصباح. ومشهودة مقالات المهتوكين عواد ناصر وياسين النصير وعبد الله صخي وإسماعيل زاير على صفحات صحيفة "الكويت الدولي" التي يشرفون عليها. وهي الصحيفة التي نشرت إلى العالمين قصة الطفلة نويرة، وهم الذين كتبوا بالمانشيت العريض خلال العدوان عناوين من قبيل. **(( قوات الحلفاء تدك بغداد بالقنابل والصواريخ ))** مثلما تبث إذاعتهم ما يفترضوه تصحيحا لإحداثيات القصف، بالقول مثلا:

**((قصفت قوات التحالف مصفى الدورة لكن بعض القنابل**

**سقطت 50 مترا إلى الجنوب الشرقي من المصفى)).** وحين انتهت العمليات، كانوا أول من نادى باستمرار وتشديد الحصار على العراق، وبتصريح من فخري كريم على إذاعة صوت أمريكا عام 1991. بل وخلال الحصار، بات ظاهرا لكل متابع، أن أي قصف أو عدوان أمريكي على العراق خلال فترة الحصار، غالبا ما يسبقه وبأسبوعين تحديدا نشاط مهموم لمنظمات الحزب في الخارج وبالتعاون مع آل الزعيم الحكيم، بتحرير رسائل تظلم إلى البرلمانات الأوروبية من أسلحة الدمار الشامل العراقية وإمكانية استخدامها وأحيانا يشاركون آل الحكيم بتحديد مواقع افتراضية لها، لتقصفها الطائرات الأمريكية وبريطانية فيما بعد.

أما تقاريرهم السرية إلى مخابرات الدول فآله وحده يعلم محتواها. والزيارات المتبادلة بين منظمة دمشق ومقر الحزب الشيوعي العراقي بقيادة فخري كريم مع الملحق العسكري الأمريكي، كانت تعتبر من النشاطات التي تذكرها صحيفة **(طريق الشعب)** لسان حالهم. ثم خلال الغزو كان ثلة من دونيي الحزب مع القوات الأمريكية بصفة أدلاء ومترجمين. حيث قدموا أنفسهم إلى الأمريكان

على أنهم ((الأكثر التصاقاً بال جماهير الشعبية ويعرفون أمزجتها ويستطيعون التعامل معها)).

وخلال ما كانوا في مجلس الإمعات وتحت قيادة آل الحكيم، كانوا الأشد استخذاً وجهوزية لخدمة المحتل وآل الحكيم معاً. فهم تحديداً من رجح الكفة لقوانين غاية في العداء للشعب العراقي، كقانون الاستثمار وقانون المرأة الذي يجعل مصيرها بيد مراجع التلمود وأصفهان، وقانون إلغاء النقابات. ثم كان رئيسهم ثاني اثنين في لجنة إعادة رسم العلم، فاستنسخا علم إسرائيل. وحמיד أيضاً رئيس لجنة قضية كركوك، وهكذا. ولا ندري كم من الخيانات أتوا سرا، مثلما يعلم الجميع كيف استحوذ جاسم سهراب حلفي على بعض العمارات والأموال خلال عمله. كما لا بد وتابع المعنيون إعلام الحزب الذي يجل صورة الاحتلال ولم ينتقده حتى وحين اتضح للعالمين أن الاحتلال تسبب بمقتل 650000 مواطن. وها هم يوم أمس الأول يرجحون أقرار قانون الفدرلة. ذلك القانون الذي لو أمتنع واحد منهم فقط عن التصويت، لما مر.

وعلى أية حال، فلا يتصور أحد أن هذا القانون أو غيره مما تقره جمعية الإمعات، ذو شأن. فالأقصى منه – الاحتلال، يعيش أيامه الأخيرة ويذوق رموزه الموت كل ساعة. وضرب قاعدة الصقر ومعسكر الرشيد ليلة إقرار الفدرلة شاهد. كما إن العدد المعلن عن قتلى العراق خلال هذا الغزو سيكون قزماً مقابل ما سيسقط حين يحترق دعاة الفدرالية بينهم البين. فلا أفضلية للصدر على إشيقر ولا لأشيقر على الجابري ولا للجابري على أحمد الكلب، الذي بدأ يجمع التحالفات. وإن كان الجابري والصدر يرفضان الآن ويعارضان، فحين يجدان نفسيهما تحت ما يحلم به المتفدرلون من الأمر الواقع، فسيهب كل منهم مطالباً بالعرش لنفسه، ما بالك وقد انتهت قوة ابن الزنيم الحكيم ولم يعد لرئاسته جبهة الخمسات الثلاث من تأثير. بله قد خرج من اللعبة خاسراً، وهو وأخوه الكلب المقبور باقر لم يكونا أصلاً في حساب المحتل سوى مبعثاً للطوفنة وينتهي دورهما.

المهم، أن هذه الفدرلة حالها حال القوانين التي سنها مجلس الإمعات وما بعده، سيكون مصيرها سلة المهملات ولا هي بالشيء في العراق المتحرر قريباً. إنما موقف هؤلاء الخونة – مفيد وحמיד ومهدي، لا بد له من قصاص. والقصاص يجب أن لا يشملهم فقط، بل أتباعهم وذويهم أيضاً. لذا، أوجه ندائي إلى كافة فصائل المقاومة الوطنية العراقية الباسلة، لتنفيذ هذا القصاص وبأشد ما يكون من الألم!

2006 / 10 / 7

## القسم الثاني

### تجربة سياسية وعملية :

### للمقارنة وإستلهام الدروس السياسي

## إنطلاقاً من عيون عربية :

### 1 - ممارسات حزب الإخوان المسلمين في مصر

#### على ضوء المعايير الموضوعية والمقاييس الذاتية

##### - 1 -

الدين الإسلامي الحنيف ، الرسالة العربية العالمية الأساسية ، فكرة شاملة للكون كله ، الحاضر والماضي والمستقبل ، الإنسان المبلغ بمفاهيمه مسؤول عن عمله وعلى ضوئه يخضع للمحاسبة في اليوم الآخر . في تعاليمه البعد الروحي وتسود كيانه الفكري المنظومات المادية . تلك بديهيات فكرية تخص الإيمان الكلي بمنهجه وتختص بالإسلام كمفاهيم شاملة بخصوص الحياتين الدنيوية والأخروية على حد سواء . فضلاً عن أن له معايير تقويمية موضوعية تنبع من المنهجين المستمدين من كتاب الله العزيز الحكيم : القرآن الكريم ، الذي حدد معايير الحكم الشرعي المبني على أساس الرغبات الشعبية الحقيقية ، هذا على المستوي النظري الذي يشكل عماد الفلسفة المثالية : الإيمان والمعرفة ، المقرونة بالضمير الإنساني الذي ينبغي له مراعاة القدرة الإلهية في مختلف جوانب الفرد السلوكية العملية ، كأنه يرى الله غالباً مثلما هو يراه حتماً . وهي فلسفة تفترق كلياً عن الفلسفة الكونية التي تجعل معيارها الوحيد الممارسة العملية لكي تثبت صحة نظريتها وأفكارها على مستوى الفعل الأرضي الوحيد ، من قبيل الفلسفة المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، على سبيل المثال .

يقول الكاتب الإسلامي خالد محمد خالد مؤلف كتاب : من هنا نبدأ ، ومواطنون لا رعايا ، التالي : "لقد تضمن القرآن ميزتين من أعظم مزايا الديمقراطية : أولاهما : أنه جعل من الشورى واجباً حتى على النبي الذي يوحى إليه ، فقال : وشاورهم في الأمر" ، أي ضرورة الاستئناس برأي المجموع الشعبي المجتمعي المشترك الذي يعيش فوق وطن حر ومستقل ومتحرر وواحد ، ومن ثم الالتزام بنتائج التصويتية القائمة على حرية الاختيار من دون قسر أو تزوير مادي أو معنوي ، "وقرنها بالصلاة الفردية أو الجماعية التي تتوجه إلى قبلة دينية واحدة ومحددة هي مكة المكرمة الواقعة في شبه الجزيرة العربية ، حين نعت المؤمنين من عباده الطائعين منظومتهم الفكرية ، بأنهم الذين : "أقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم" أي أن يتحكم الضمير الشخصي للفرد المسلم ومن يعيش بين ظهرانيهم ، بالموقف السياسي المخلص والمطلوب المستمد من الرؤية الإلهية ، على ضوء التحليل السياسي الملموس للموقف السياسي الملموس .

ثانيتها : إنه لم يلزم بطاعة أحكامه واعتناق مبادئه إلا من يقره ، ويختاره ، ويؤمن أو يعتقد به - أي بلغة عصرنا الحديث : من يقترح عليه بالموافقة ، أو يرفضه ، مثلما هو جارٍ في الحالة السياسية المصرية الراهنة التي لم يشكك أحد - بشكل عام - في مصداقيتها

ونزاهتها تقريباً - أما الآخرون الذين لم يؤمنوا به ، فلهم أن يعيشوا وفق عقائدهم ، وتقاليدهم ، والأسلوب الذي يختارونه لحياتهم" ، [1] .

والنصوص القرآنية التي تعدّ بمثابة الدستور الشرعي للمسلمين المعتقدين بوحدانيته ومنهم المؤمنون بكتاب الله العزيز الحكيم ، مبني على مفهوم السنّة المحمدية النبوية الشريفة ، و"المقاييس السلوكية" التي تطفح صفاتها الموضوعية على تصرفات الناس بشكل علني ، ويتجوهز ذلك السلوك في سياق ممارساتهم العملية طوال حياتهم ، وفق دعواتهم التبشيرية وإدعائاتهم النظرية الدينية ، وبالنسبة لجميع المسلمين والمؤمنين الملتزمين بذلك الدين ، وعليه ، فإن الرسول العربي الأمي الصادق الأمين : محمد بن عبد الله ، الموحى له ، (ص) ، يشكل النموذج العملي الحي والدائم ، وكذلك : التّجسّد الصريح والواضح ، الذي يتبدى في السلوك العملي . . . . للإنسان الكامل ، والأسوة الحسنة عند كل مريد ، يقول عزّ من قائل ، "وما آتاكم عن الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا" [سورة الحشر ، الآية رقم سبعة] ، فهو القدوة والمثال في الحياة اليومية ، إذ "ظهرت عبقريته السياسية ومقدرته على التنظيم" منذ تفتح دوره السياسي في المدينة ، مكان هجرته الجديدة ، فقد "سعى لتكوين أمة جديدة ويرى نفسه قائدها ومرشدها" ، كما يرى ذلك المؤرخ الكبير الفقيه الدكتور عبد العزيز الدوري ، [2] ، وسعى لإحلال الرابطة الدينية بين المسلمين محل أية رابطة أخرى ، كرابطة الدم أو العصبية القبلية ، أي كوّن منهم "أمة واحدة" من دون أتباع الديانات الأخرى ، يتشارك أتباعها في مواجهة الآخر : في الحالات السلمية أو الأوضاع الحربية ، ورسم لهم الطريق على ضوء حياة ثقافية تربط الحياة الدنيا بالحياة بـحياة الأخرية .

ويشكل - كذلك - الخلفاء الراشدون الأربعة النور المعرفي والضوء التطبيقي وتراثهم الديني الذي يرشد الناظرين المؤمنين المسلمين ، باعتبارهم الإمتداد الطبيعي لسيرة الرسول - ص - الذي يصعد روحه الشريفة للملأ الأعلى ، إنقطع الوحي الإلهي ، بالإضافة إلى كونهم ضمان بيضاء عفيفة صادقة متوهجة في الحياة - بهذه النسبة أو تلك على ضوء الفروقات العملية - رسمها بشر يفتقرون إلى سمات العصمة الإلهية والممارسات النبوية الدينية الصافية . وكان الإستخلاص الجوهري للكيفية التي وصل فيها أبو بكر للسلطة الذي كونته المذاهب الأربعة والذي سيصير لاحقاً المفهوم النظري لمجموعهم كأصحاب طرق تعبدية ومعيشية ، الذي يعتمد وسيلة الإنتخاب والبيعيتين الخاصة والعامة ، يقول الدكتور المرحوم الدوري :

"كان معنى إنتخاب أبي بكر إنتصار نظام الإنتخاب الحر في اختيار الخليفة على نظام الوراثة بشكل عام" ، [3] ، ولا يختلف تعيين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، [رض] ، كخليفة ثانٍ ، واختيار عثمان بن



عفان ، [رض] ، خليفة ثالث ، وإجماع الأنصار والمهاجرين في المدينة على الخليفة الرابع : علي بن أبي طالب ، (ك) ، عن توفر شرطي البيعة الخاصة والبيعة العامة الحرّين عن المجرى العام لاختيار الخلفية أبي بكر الصديق ، [رض] .

وتلك المعايير والمقاييس كانت الصفحات التحريضية المكتوبة لنشاطات حزب الإخوان المسلمين الفكرية والسياسية ، كما هو واضح من التزاماته الفكرية المعلنة أو إدعاءاته النظرية . وإذا كان الشطط والانحراف . . . بله الخيانة الوطنية والقومية والدينية الواضحة ، قد وسم سلوك وتصرف حزب الإخوان المسلمين في العراق من خلال إصطفافه وراء جماعة "المحافظين الجدد" الأمريكية التي غزت العراق وقتلت غالبية مقاومي جيشه الوطني وقواته المسلحة وقوى شعبه الوطنية وعشرات الألوف من الأبرياء ، ودمرت بناء التحتية التي تراكم نتائج عمل أفراد المجتمع ومؤسساته الرسمية منذ تأسيس دولته الحديثة في العام 1921 ، وفكك الغزاة قواته العسكرية والأمنية والإعلامية ، وطاردوا كوادره ونوابغه وعلمائه ومبدعيه ، وسلطت الجهلة والأमीين والعملاء على شؤونه الوطنية العامة ، وانتهكت المقدسات الإسلامية والمسيحية والأعراض التي تعد الراية العزيزة الشامخة التي يتمسك بها المواطنون العراقيون كلهم .

والتركيبة التنظيمية والفكرية والسياسية للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة لا تخفي ولاءها وتعريضها للحركة الصهيونية وتبعيتها المطلقة للرؤية الإسرائيلية الحرفية تجاه الحاضر العراقي والمستقبل العراقي : وطناً وشعباً ودوراً وتقدماً وتطوراً ، إن لم نقل بصدد كل الحاضر والمستقبل العربي ، فلا يمكن عدّ هذا الحزب : أي الفرع العراقي ، [4] ، هو المعيار الموضوعي لمحاكمة ظاهرة أحزاب الإخوان المسلمين في كل الدول ومختلف الأقطار ، رغم تأكيد الجميع على وحدتهم الفكرية وتكامل نهجهم السياسي ، تجاه مختلف الظواهر السياسية العالمية ، لاسيما الأساسية منها ، وبالرغم من كوني من العراقيين المخلصين لوطنهم .

ولكن حزب الإخوان المسلمين في مصر الذي وصل إلى مقعد السلطة والحكم ورئاسة الجمهورية ، عبر صناديق الاقتراع وترجيح أصوات المنتخبين المصريين لمرشحيه ، بتاريخ 30 / 6 / 2012 ، يُعد القدوة الرشيدة لكل الفروع الإخوانية في العالم ، وبالتالي يمكن أخذه كمعيار موضوعي لنقد هذه الظاهرة السياسية .

وبطبيعة الحال فإنني سأدع جانباً ، وجهات نظر الآخرين من أبناء مصر من غير أبناء التيار الإسلامي السياسي الذي يقوده حزب الإخوان ، بمختلف سماتهم وعلى تنوع صفاتهم ، ممن إعترضوا على مجمل نزاهة الانتخابات للعام 2011 / 2012 ، ليس لأنها تفتقد المبررات

## الموضوعية والشواهد العملية العvisية على الإنكار فقط ، والمعطيات الحسية والنتائج العملية لحكمها ما تزال ماثلة .

وإنما - كذلك - لأننا سنحاكم هذه الظاهرة الفكرية والسياسية على ضوء وثائقها المعلنة بخصوص الصراع في المنطقة العربية الإسلامية وعليها أيضاً ، قبل وصولها للسلطة ، من ناحية أولى ، وبعد تحكمها في مفاصل السلطة الحاكمة ، من الناحية الثانية . فالخلفاء الراشدون الأربعة ، رضي الله عنهم جميعاً ، مارسوا الحكم على ضوء الالتزام الأيديولوجي الإسلامي المطلق بالمعايير الإسلامية الموضوعية التي كان عمادها القرآن الكريم والسنة النبوية ، والمقاييس الذاتية التي شكلت السيرة النبوية . لقد نَوَّرَ الإشعاع الإسلامي الإيمان لهم طريق الممارسة العملية في إدارة أصول الحكم ، وجنبهم عثرات الطريق لتجربة سياسية جديدة ، مثلما كان الضوء الهادي لهم في كل ممارسات مسارهم السياسي . لم يبدلوا الطريق النبوي ولم يستبدلوا النهج القرآني القويم غالباً . وهم الذين كانوا تربوا في المدرسة النبوية المحمدية ، الذين لخص واقعهم الحياتي الإمام علي بن أبي طالب الخليفة الراشدي الرابع ، كرم الله وجهه ، بقوله : "والله ، لقد رأيت أصحاب محمد - ص - فما أرى اليوم شيئاً يشبههم . لقد كانوا يصبحون وبين أعينهم آثار ليل باتوا فيه سجداً لله ، يتلون كتابه ، ويتراوحن بين جباههم وأقدامهم . . . إذا ذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الريح . . . هملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم" : أي أنهم أتقياء بكل ما تحمله كلمة التقوى من معان سامية معطرة بالصدق والاستقامة ، والقول العلوي هذا هو معيار التقويم الموضوعي للخلفاء الراشدين الأربعة على وجه الخصوص ، بالنسبة لأي مسلم يتبع المذاهب الأربعة ويرى تاريخ تلك الفترة انطلاقاً من رؤية كلية قائمة على مفهوم الحضارة العربية الإسلامية ، [5] ، خصوصاً وحزب الإخوان الإسلامي المصري يدعي السير على هدي تلك المعايير الموضوعية والمقاييس الذاتية .

## للبحث صلة . . .

## المراجع والهوامش

[1] - راجع كتابه المعنون خلفاء الرسول - ص - ، إصدار دار المقطم للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى الملونة ، سنة 1424 هجرية - 2003 ميلادية ، ص 14 ، تجدر الإشارة إلى أن طبعة الكتاب الأولى كانت قد صدرت في القاهرة سنة 1390 هجرية - 1970 ميلادية .

[2] - راجع كتابه المعنون النظم الإسلامية الصادر عن بيت الحكمة - جامعة بغداد 1988 ، ص 20، تجدر الإشارة إلى أن طبعة الكتاب الأولى كانت في كانون الثاني عام 1950 .

[3] - المصدر السابق ، 30 .

[4] - راجع كتاب أدلة احتلال العراق ، باقر الصراف ، الصادر عن مكتبة دار جزيرة الورد ، القاهرة - جمهورية مصر العربية ، الطبعة الأولى ، الصادرة عام 2012 .

[5] - علينا ملاحظة أن الرؤية الصفوية الفارسية التي تتخذ من المدرسة الإثنا عشرية الإمامية غطاءً ساتراً لممارساتها الطائفية العنصرية ومعاداتها لغالبية العرب المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، تختلف في التقويم التاريخي لمرحلة الخلفاء الراشدين التاريخية التي أعقبت وفاة الرسول الأعظم - ص - إذ تعد هذه الرؤية الصفوية الفارسية الخلفاء الثلاثة الأوائل خارجين عن نطاق الإسلام ويستحق بناء الدولة العربية الإسلامية من الخلفاء اللعن من قبل الله عز وجل والبشر ... بلة الحرق ، نستخلص ذلك من منطق فتاوى علمائهم الأساسيين في الماضي والحاضر كالسيستاني الذي يؤكد أن من لم يقر بالإمامة كركن من أركان الدين الإسلامي هو كافر مخلد بالنار ، وكذلك من منطق الزيارة المعلنة والمثبتة على قبر المجرم المجوسي أبو لؤلؤة : قاتل الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب - رض - الذي يزار يومياً وبشكل دائم من قبل الفرس الإيرانيين .

يقع قبر هذا القاتل الغادر في مدينة كاشان الإيرانية ، واللوحة المسمّرة على واجهته تصفه باسم "بابا شجاع الدين أبو لؤلؤة" ، كما ثبتت أقوال مغرقة في سفالتها اللغوية ودونيتها العنصرية بحق الخلفاء الراشدين الثلاثة ، من لعن وطعن وتمنيات بالحرق في نار جهنم كونهم ظالمين آل البيت ومغتصبين حقهم المنصوص عليها في السنة بالخلافة التي أعقبت وفاة الرسول ، كما يزعمون ، التي نصها على الشكل الآتي :

**"اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وغصب حقهم وهو الزنديق الأكبر والأحمق الأبتّر ، الكافر المردود ، ثاني إثنين نمرود ، الفاسق الفاجر المشرك المطرود ، عدو الله وعدو الرسول الذي أنكر حق البتول غاصب أرض فدك ، المدفون بقعر الدرك ، رأس أهل الضلالة والشقاوة ، خسر الدنيا والآخرة ، الملقب بكلب وادي تهامة ، المؤيد في عذاب يوم القيامة ، قاطع حق الخلافة أبو بكر بن أبي قحافة لعنه الله .**

**اللهم العن الشقي الأعظم والملحد المشرك المجتذم ، رئيس أهل الظلم ، عدو الله وعدو الولي الملعون بالنص الجلي ، غاصب حق أبي تراب**

باعث إيجاد النار والعذاب مخرب المسجد والمحراب فرعون أمة شافع  
يوم الحساب ، المحروم من الحسنات والثواب مردود الأعمال والآداب ،  
الظالم عند أولي الألباب الكافر في جميع الكتاب المعذب بجميع العقاب  
المخاطب بكلب سقر الكذاب الفاجر المرتد المرتاب المخلد في النار في  
غضب الملك الوهاب عمر بن الخطاب عليه اللعنة والعذاب .

اللهم إعن الأشل الأعرج الأحمق الأعوج الخليفة بغير الحق الفاسق  
الفاجر المنافق الكافر ، كبر ولد الشيطان سارق كلام الله الملك المنان  
دجال آخر الزمان شارب الزقوم لابس القطران إمام أهل النيران ثالث  
قارون وهامان مبطل الآيات وأحكام القرآن الملقب بكلب الأوثان الواصل  
إلى عقاب الرحمان الشيطان بن الشيطان عثمان بن عفان عليه اللعنة  
والنيران " . [عن بعض المواقع الإلكترونية ومصادر أخرى متنوعة] .

في حين أن الإمام علي بن أبي طالب : الخليفة الراشدي الرابع - ك - والإمام الأول عند أتباع المدرسة  
الإمامية الإثنا عشرية : الذي هو معصوم عندهم ، قد ذكر في رسالته الموجهة إلى معاوية بن أبي  
سفيان عشية إندلاع إحدى مراحل حرب صفين تتضمن المعاني والنصوص التالية : "بسم الله الرحمن  
الرحيم : أما بعد ، **فإن بيعتي بالمدينة ، لزمته وأنت بالشام ، لأنه قد بايعني**  
**القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فلم يكن للشاهد أن**  
**يختار ، ولا للغائب أن يرد ... إنما الشورى للمهاجرين والأنصار ،**  
**فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً ، كان ذلك لله رضا . فإن**  
**خرج من أمرهم خارج بطعن ، أو رغبة ، ردّوه إلى ما خرج منه ،**  
**فإن أبي قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين" . . . راجع على سبيل**  
المثال : كتاب خالد محمد خالد حول الخلفاء الراشدين ، مصدر سبق ذكره ، ص 293 . وكذلك كتاب  
"نهج البلاغة" للإمام علي بن أبي طالب ، [ع] ، جمع وتأليف وشرح الأستاذ الشيخ محمد  
عبدة ، الطبعة الجديدة السابعة عشر الصادرة عن دار التعارف للمطبوعات ، بيروت /  
لبنان ، والمؤرخة في العام 1982 م - 1402 هـ ، ص 523 .

للبحث صلة

## إنطلاقاً من عيون عربية

- 2 -

### معايير إخوانية معاصرة

### مستمدة من أقوال قياداته السياسية الراهنة

#### الحلقة الثانية

مكتب الإرشاد لحزب الإخوان المسلمين ، [5] ، هو العقل الجماعي العام للتنظيم ، ولكن ذلك لا يمنع من بروز شخصية طاغية على الشخصيات الأخرى التي يتكون منها ذلك العقل الجماعي في بعض الأقطار الإسلامية ، ويعبر عن آرائها الفكرية ويشرح مواقفها السياسية بشكل رسمي ، في مرحلة تاريخية محددة . . . ينطق باسمها ويشرح مواقفها . ويُعد السيد محمد خيرت الشاطر : الرجل المليونير والمتحكم في رؤوس الأموال الإخوانية ، بعد تمكنه من إزاحة السيد عبد المنعم أبو الفتوح عن مكتب الإرشاد المصري ، هو الشخص الأبرز والأقوى والأطغى من بين كل أعضاء مكتب الإرشاد العام ، وهو الفارس الأبرز على الصعيد الإعلامي في التعبير الرسمي عن وجهة نظر حزب الإخوان الإسلامية والإستراتيجية ، **لذا يمكن عدّه الرمز الأكبر المعبر عن المنهج الفكري الإخواني في هذه المرحلة السياسية تجاه جميع التطورات السياسية المصرية والإقليمية والعالمية** ، بالرغم من تقدير المراقبين والمتابعين لأدوار بعض الإخوان المتنفذين مالياً ممن يعيشون في أمريكا وأوروبا في هندسة العلاقات السياسية مع الأطراف الخارجية الأخرى المؤثرة في شؤون المنطقة والمتحكمة في مفاتيح الصراعات الدولية في المنطقة العربية وعلى المنطقة العربية ، وهو من الصفوة القطبية : نسبة إلى سيد قطب ، في التفكير والتوجه والممارسة ، ومن جماعة الأغنياء المهيمنين والمعروفين بالنسبة للبعض من شريحة البنس ، كما يشخص البعض قيادتها الحالية ، وهذا البعض تتسم مواقفه السياسية والفكرية بالروح النقدية للجماعة الإخوانية .

في مقابلة رسمية منشورة على قناة "الجزيرة" القطرية الفضائية ، ولم يشكك في وقائعها السياسية والفكرية أي مصدر إخواني كان ، مؤثر أو غير مؤثر ، تطرق السيد محمد خيرت الشاطر ، [6] ، عبر الحديث مع الإعلامي الإخواني السيد أحمد منصور حول العلاقات ما بين حزبهم والسلطات الأمريكية ، **نافياً** أية علاقة سياسية لهم بالسياسيين الأمريكيين من أعضاء الإدارة خصوصاً ، والسياسيين الأوروبيين المؤثرين عموماً ، وإن كان ذلك النفي بشكل غير مباشر ، قائلاً : **"نحن نأمل الآن في أن الغرب يغير**

موقفه سواء أميركا أو الدول الأوروبية بصفة عامة التي كانت تدعم النظم المستبدة ، فإذا ما أراد ، وإذا ما أصّر الغرب أو أميركا على الاستمرار في نفس السياسة، فالشعب المصري صاحب الثورة العظيمة موجود وإعادة استئناف الثورة أو استكمالها أو استكمال مسيرتها أمر مفتوح ومتاح في كل وقت" .

وعندما يعاون السيد أحمد منصور السيد الشاطر عبر ترديد نغمة معاداة أميركا للإخوان بالرغم من كل القرائن التي تشير إلى أن العلاقات السياسية بينهما أكثر من السمنة على العسل ، كما يقول المثل العربي المصري ، فالسيد منصور هنا يردد الفرية التي تتداولها الدعاية السياسية الإخوانية عبر قوله : الأمريكيون بالدرجة الأولى يعتبرون الإخوان **خطراً داهماً عليهم وعلى مصالحهم** ، لكن نلاحظ في الفترة الأخيرة أن هناك لقاءات عديدة بينهم وبين الإخوان ، **وقيل [!؟] أن هناك لقاءات سرية وترتيبات سرية وقيل [! !؟] لماذا قيل عنها وادامت علانية؟ [!]** عنها حتى كان في لقاء أمس أيضاً مع بعض أعضاء مكتب الإرشاد مع بعض المجموعات الأميركية ، باختصار شديد ووضوح تام ما طبيعة علاقتكم بالإدارة الأميركية الآن؟ ، يسارع السيد الشاطر إلى نفي أية علاقة سياسية لهم بالأمريكيين ويعتبرها مجرد محاولات لاستطلاع أوضاعهم السياسية ، ولا تدرج بطبيعة الحال في تغذية الجماعة بالمواقف الأميركية السياسية المطلوبة منه ، إذ يقول : "في الحقيقة لا توجد علاقة خاصة مع الإدارة الأميركية، ولكن ما حدث بعد [! ؟] الثورة وحتى الآن أنه تأتينا مجموعات كثيرة جداً من الغرب والشرق وقد استقبلنا ما لا يقل عن 200 وفد أو مجموعة . . . **المجموعات تأتي إلينا ويحاولون التعرف على الإخوان المسلمين وتأثير وجودهم كعامل مؤثر في المشهد السياسي المصري على الحياة السياسية والاقتصادية في الفترة القادمة .**

وعندما يبدي السيد أحمد منصور دهشته من ذلك الجواب السياسي التبيري . . . غير الصحيح إطلاقاً ، والذي ينضح بالمخاتلات المواربة : **شأن التعرف هنا إيه** ، في ظل هناك آلاف الكتب المكتوبة عن الإخوان المسلمين عايزين يتعرفوا عن إيه في الإخوان المسلمين إيه المحور ، المحور المشترك للأسئلة وللتقاش بين كل هؤلاء من الشرق والغرب ، فإن السيد محمد خيرت الشاطر يتذاكى ويقول على الفور : آه، هم ممكن تقسيمهم لمجموعات : المجموعة الاقتصادية اللي تُمشي البنوك الرئيسية في العالم زي James Morgan و Morgan Stanley و Hermes وكثير من البنوك في اليابان وفي الصين وفي غيرها .

ولكن السيد أحمد منصور يواصل دهشته ، كما يبدو ، جراء الاعتقاد أو الإيمان الأيديولوجي عن طهرانية حزب الإخوان المسلمين والمبدئية السياسية التي يلتزمون بها ،

ويقول : دول كلهم جم قعدوا معاكم ؟ ... ولكن محمد خيرت الشاطر يسارع للإجابة على دهشة منصور بالقول التالي : آه ، مجموعات كبيرة منها وفود بالعشرة و ب 12 و 13 يسألون عن تأثير وجود الإخوان المسلمين كعامل مؤثر في المشهد السياسي المصري على ملف الاستثمار في مصر وعن رؤيتنا الاقتصادية وسياستنا الاقتصادية ، في مجموعات أخرى بتركز على الجانب السياسي ، في حين تختفي الإجابة عن السؤال المحدد والعلاقات السياسية الإقليمية ، ويختفي السؤال الجوهرى حول العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فهل ما نسيه السيد منصور عن موضوع العلاقات السياسية مع الولايات المتحدة أم أنه وممثل حزب "الأخوان المسلمين" : لفلما الموضوع الجوهرى من ذلك السؤال ؟ ! .

ولمّا يبدي السيد أحمد منصور دهشته ، مرة أخرى ، من أقوال السيد محمد خيرت الشاطر حول مقولات النهضة ، **كما أقدر ذلك أنا** ، كون القاسم المشترك لرؤية جماعة الإخوان المسلمين القيادية هو توافقهم مع الرؤية السياسية الاقتصادية المتماثلة مع الرؤية السياسية الأمريكية حول التصورات الاقتصادية والدور الأساسي للقطاع الخاص عبر تساؤله الممزوج بالدهشة من خلال قوله : طيب اسمح لي : أنتم تقدمون رؤية اقتصادية واضحة للناس دي ، عندكم أنتم رؤية اقتصادية واضحة ؟ فإن نائب المرشد العام السيد محمد خيرت الشاطر يجيب بالإيجاب ويقول : آه طبعاً الإخوان المسلمون يا أستاذ أحمد باختصار شديد هي رؤية متكاملة لبناء نهضة مصر وتنميتها والوصول بها لمستوى حضاري لانق على أساس المرجعية الإسلامية فأحنا باختصار لو لخصنا الإخوان هي دي كلمة الإخوان هي دي فكرة الإخوان ، ... ،

وعندما يبدي السيد أحمد منصور استغرابه من التدفق اللغوي للشاطر ، من دون أي مضمون سياسي حقيقي ، عبر قوله : دي دعاية تروجون ليها لكن كمشروعات واقعية ، يسارع د . محمد خيرت الشاطر لقطع الطريق على أحمد منصور لإستكمال سؤاله . . . فكرته ، وذلك بالتأكيد على وجهة نظره ووجهة النظر الإستراتيجية لجماعته تلك ، بالرغم من وعوده الزمنية الآجلة بالقول : لا ، هي رؤية متكاملة ، ونحن الآن بصدد [!] وضع مشروعات وعندنا أصلاً ملفات ومشروعات موجودة ، لا تنسى أنه كان من الإخوان مجموعات موجودة في البرلمان لفترات طويلة في الدورات الماضية وكان عندنا مجموعات من الفنيين والمتخصصين في الزراعة والصناعة والصحة والتعليم وفي مجالات مختلفة والإسكان . . .

وبما أنّ الحديث المباشر بين الطرفين في ذلك البرنامج الإعلامي الهام الذي يعدّه السيد أحمد منصور يتناول التصورات المستقبلية للوضع السياسي المصري ، فإن موضوع إدارة جهاز الدولة يغدو مطروحاً بالضرورة فيعترض السيد منصور على السيد الشاطر عبر القول ، ولكن ما تطرحونه شيء آخر وإدارة الدولة شبه منهاره زي مصر ، ولكن الشاطر يؤكد على وجهة نظر حزب الإخوان السياسية ، مكرراً الدعاية السياسية والإعلامية في ذلك اللقاء .

محمد خيرت الشاطر : كل هذه الموضوعات كنا نجهز تصورات لإدارة الدولة نعرضها على الحكومة من خلال البرلمان ولكن لم يكن يسمع لنا رأي ولم تتم الاستجابة لنا في أي شيء ، الآن نحن بصدد تطوير هذه الملفات وهذه الرؤى من خلال مجموعات من المتخصصين من الإخوان ومن غيرهم لأن المجتمع مليء بالكفاءات .

أحمد منصور : الآن أنتم كإخوان، والرؤيا الاقتصادية مصر، {أظن يقصد مفهوم الرؤية} الإخوان وحدهم عاجزين عن إنهم يقومون فيها ، وكذلك أية حكومة قادمة من أية فئة أو تنظيم عاجزة هل أنتم الآن خرجتم من إطار ثوب التنظيم المغلق إلى ثوب الدولة الفضفاض وبدأتم تدخلون غير الإخوان في الأفكار معكم ؟ .

محمد خيرت الشاطر: طبعاً بالتأكيد إحنا الآن مهامنا الإستراتيجية محدديها لنفسنا كجماعة بعد الثورة ، المهمة الإستراتيجية الأولى هي المساهمة في بناء نهضة مصر وطبعاً كلمة المساهمة معناها أننا لا ندعي لأنفسنا أننا قادرون على القيام بهذه المهمة بمفردها، ولسنا وكلاء عن الأمة فيها ولكننا ندعو الأمة بكل طوائفها وتياراتها للمساهمة معنا ونساهم معهم في بناء النهضة ، المهمة الثانية هي إيجاد أكبر قدر ممكن من التحالفات والائتلافات وأطر التنسيق مع الآخرين لأننا نؤمن إيماناً كاملاً .

ويتساءل السيد أحمد منصور : في أي إطار؟ .

يجيب محمد خيرت الشاطر بالقول : إيماناً كاملاً بأن مصر الآن في ظل أزمتها الحالية بعد الثورة والتحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والطائفية والثقافية التي تواجهها لا يستطيع التيار بمفرده لا الجيش لوحده ولا الحكومة بمفردها ولا الإخوان ولا الوفد ولا الأقباط ولا أي فصيل ، ولا حل أمام المصريين إلا التحالف والائتلاف والتنسيق في أطر متعددة ومختلفة بهدف إنقاذ مركب الوطن الذي أوشك مبارك على إغراقها فبدأت الثورة وأزاحت مبارك وما زال أمامنا الجهد الكبير اللي هو بناء نهضتنا في المسارات المختلفة ولا بد من تعاون كل هذه التيارات والفئات ، **وهكذا نرى الوعود السياسية الخيالية ، الحلوة ، المنمقة ، تترى ، ولكن على جميع المراقبين والمتابعين إنتظار تلك الوعود السياسية لتأخذ نصيبها من التطبيق ، لنكتشف على ضوء الواقع السياسي الملموس ، مدى إيمانهم بالعمل الجماعي والتحالف السياسي مع الآخرين ! ..**

يضيف السيد أحمد منصور: طيب أنا حاجي لبعض الحاجات حأناقشك فيها بشكل مفصل لكن الآن إحنا في الجانب الاقتصادي وقلت إنهم بييجوا ويناقشوكم وعندكم رؤيا .

محمد خيرت الشاطر : نعم .

أحمد منصور: ويعود السيد منصور ليستوفي الموضوع الرئيس حقه من خلال تساؤله التالي : في الجوانب السياسية إيه أهم المواضيع؟ .



محمد خيرت الشاطر: ولكن السيد نائب المرشد العام ، يبدو أنه لا يدرك المقصد الذي تنطوي عليه الأسئلة الغربية ، وذلك بتغذية المتحاور : أي قيادة الإخوان المسلمين ، معهم بالمعلومات والمشاريع والأفكار السياسية التي لدى السياسيين الأمريكيين ، بغية توجيههم الوجهة السياسية المطلوبة ، أو قد يدرك الغاية المطلوبة التي يقصدها الأمريكيون ، ولكن المناورة السياسية تغلب على حديثه . ولكنه مع ذلك ، يقول في نطاق إجابته على سؤال السيد منصور التالي : في الجوانب السياسية يركزون على موقفنا من أميركا ومن الغرب على موقفنا من الاتفاقيات الدولية التي عملتها مصر في فترة مبارك .

أحمد منصور: ما موقفكم من أميركا والغرب باختصار شديد ؟ .

محمد خيرت الشاطر: حاقول ، وببسالوا عن قضايا تتعلق بموقفنا من المرأة ، موقفنا من الديمقراطية ، بشكل نظامي سياسي اللي نتصوره، بموقفنا من قضية الأقباط في مصر، كل هذه المسائل وغيرها في الموضوع السياسي والاجتماعي ، كل هذه المجموعات تسأله ونقدر نقول إن إحنا حصرنا ستين ، سبعين سؤال هي مشتركة بين معظم هؤلاء هذه المجموعات ، ويختفي الحديث هنا عن العلاقة مع كيان العدو ! .

إحنا كإخوان مسلمين ننطلق من المرجعية الإسلامية ، المرجعية الإسلامية ليست كما يحاول البعض أن يصورها إنها فرض لبعض الأمور على الناس لأنه الأصل بالإسلام كما يعلم الجميع أنه لا إكراه في الدين ، فمن باب أولى لا إكراه في رؤية الإخوان المسلمين الأصل هو دعوة الناس بالحسنى وتربيتهم وإقناعهم دي نمرة واحد ، نمرة اثنين ودي المهمة ، إن الإسلام نتيجة أنه الرسالة الخاتم اعتمد بدرجة أساسية على مجموعة من المبادئ الكلية على تنظيم حياة الناس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وما إلى ذلك من مجالات الحياة المختلفة فعلى سبيل المثال لا الحصر ، وكما نرى ونقرأ ، أن جواب الشاطر مقطوع الصلة كلياً عن الجواب المطلوب على سؤال محدد ، و"يتهرب" بدلاً من ذلك إلى التطرق لشرح مبادئ نظرية إسلامية متداولة يستطيع أي متفقه من الدرجة العاشرة الإجابة عنها ، وكذلك يواصل التحدث عن تلك المبادئ بالقول :

"الحياة السياسية تعتمد على قاعدة كلية وهي وأمرهم شورى ، وأمرهم شورى يعني كل صور صناعة القرار في أي تجمع بشري يلتزم بالمرجعية الإسلامية هو الشورى اختيار المسؤولين في الهياكل المختلفة على أساس الشورى ، إنما طريقة الاختيار وشكل الاختيار

نعملها برلمانية ولا رئاسية ، يبقى برلمان واحد وإلا اثنين برلمان مركزي وإلا مجموعة برلمانات دي كلها أشكال تخضع للاجتهاد البشري ، عالم السياسة المسلم يجتهد على أساس القاعدة الكلية بتاع أمرهم شورى .

في ضوء كل التجارب الحديثة الموجودة حوله، زي ما سيدنا عمر أخذ نظام الدواوين من الفرس في ذلك الوقت ، وبالتالي المسألة تخضع لاجتهاد بشري في ضوء القاعدة الكلية بشرط الاجتهاد ما يتعارض مع القاعدة الكلية ، طالما في اجتهاد يبقى ممكن الأستاذ أحمد يصل لاجتهاد مخالف لاجتهاد المهندس خيرت ، مين الفيصل ومين اللي يختار هو جمهور الأمة هم الناس، وبالتالي لما نقول الأمة هي المصدر لجزء كبير من السلطة التشريعية فهذا كلام واقعي وصحيح ، وبالتالي نحن لا نتحدث عن دولة دينية بالمفهوم المرتبط بهذا المصطلح في الفكر السياسي الحديث والمرتبط بالخبرة الغربية في مرحلة ما قبل النهضة ده مفهوم غير موافق تماما لمفهومنا ونحن لا نتحدث عنه ، [7] .

**للبحث صلة . . .**

---

## المراجع والهوامش

[5] - مكتب الإرشاد العام العالمي ، وحسب المعلومات المستمدة من جهاز الكمبيوتر ، فإن مكتب الإرشاد العام هو القيادة التنفيذية العليا للإخوان المسلمين، وهو المشرف على سير الدعوة والموجه لسياستها وإدارتها. ويتم اختيار أعضائه عن طريق الاقتراع السري، ومدة العضوية فيه محدّدة بأربع سنوات هجرية . يتألف مكتب الإرشاد العالمي من 13 عضوا عدا (المرشد العام)، ويتم اختيارهم وفق الأسس التالية :

- أ- ثمانية أعضاء ينتخبهم مجلس الشورى من بين أعضائه، من الإقليم الذي يقيم فيه المرشد العام .
- ب- خمسة أعضاء ينتخبهم مجلس الشورى من بين أعضائه، ويراعى في اختيارهم التمثيل الإقليمي.
- ج- يختار المرشد من بين أعضاء مكتب الإرشاد أمينا للسر وأميناً للمالية.
- وإذا صادف فكان أحد المنتخبين لمكتب الإرشاد مراقبا عاما في قطره، فعلى القطر أن يختار مراقبا بدلا منه.

[6] - والبيلوغرافية التي قدمها السيد أحمد منصور ، فضلاً عن موقع الجزيرة وموقع الشاطر الشخصي ، عن السيد النائب محمد خيرت الشاطر تقول الآتي :



## ترشحه لرئاسة الجمهورية

خيرت الشاطر وشعار حملته الرئاسية ، محمد خيرت سعد عبد اللطيف الشاطر وشهرته خيرت الشاطر (ولد في 4 مايو 1950) مهندس مدني ورجل أعمال مصري ، والنائب الأول لمرشد جماعة الإخوان المسلمين . ترشح كمستقل لانتخابات الرئاسة المصرية 2012 وتم استبعاده من الانتخابات ، هو من مواليد في محافظة الدقهلية بمدينة شربين في 4 مايو 1950، عمل بعد تخرجه معيداً ثم مدرساً مساعداً بكلية الهندسة في جامعة المنصورة حتى عام 1981 حين أصدر الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات قراراً بنقله خارج الجامعة مع آخرين ضمن قرارات سبتمبر 1981 ، عمل بالتجارة وإدارة الأعمال وشارك في مجالس وإدارات الشركات والبنوك.

بدأ نشاطه العام الطلابي والسياسي في نهاية تعليمه الثانوي عام 1966 . حيث كان في الصف الثاني الثانوي وانضم لمنظمة الشباب الاشتراكي ، انخرط في العمل الإسلامي العام منذ عام 1967 ، شارك في تأسيس العمل الإسلامي العام في جامعة الإسكندرية منذ مطلع السبعينيات. حيث شارك في إحياء النشاط الإسلامي في الجامعة تحت مسمى "الجمعية الدينية" والتي تغير اسمها فيما بعد ليصبح "الجماعة الإسلامية" ، ارتبط بجماعة الإخوان المسلمين منذ عام 1974 ، تدرج في مستويات متعددة وأنشطة متنوعة في العمل الإسلامي من أهمها مجالات العمل الطلابي والتربوي والإداري ، عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين منذ عام 1995 ، والنائب الثاني للمرشد السابق محمد مهدي عاكف ، والنائب الأول للمرشد الحالي د. محمد بديع ، أقام لفترات مختلفة في اليمن والسعودية والأردن وبريطانيا، وسافر إلى العديد من الدول العربية والأوروبية والآسيوية ، انتخب عضواً بمجلس أمناء الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح يوم الإثنين 24 أكتوبر 2011 ، المرشح الأول لجماعة الإخوان المسلمين لرئاسة الجمهورية 2012، والذي حل محله فيما بعد - نظروف استبعاده - د. محمد مرسى والذي فاز بالمنصب في نهاية المطاف .

والشاطر حاصل على بكالوريوس الهندسة - قسم الهندسة المدنية تخصص الهندسة الإنشائية والخرسانية - كلية الهندسة جامعة الإسكندرية عام 1974 ، كما هو حاصل على ماجستير الهندسة في الري والصرف - كلية الهندسة جامعة المنصورة ، سافر إلى بريطانيا عام 1983 لدراسة الدكتوراه واستمر لفترة فيها ثم تركها للعمل بالتجارة ، كما هو حاصل على ليسانس الآداب - كلية الآداب جامعة عين شمس - قسم الاجتماع ، وكذلك حصل على دبلوم الدراسات الإسلامية - معهد الدراسات

الإسلامية ، حصل أيضاً على دبلوم المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، إضافة إلى حصوله على دبلوم إدارة الأعمال - جامعة عين شمس ، وهو حاصل أيضاً على دبلوم التسويق الدولي - جامعة حلوان.

قام خيرت الشاطر بتأسيس موقع إخوان ويب ، وهو الموقع الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين باللغة الإنجليزية ، حيث باشر الموقع بإجراء حوارات مع المراكز البحثية الغربية أحدثت صدى واسعاً ، كما قام بتقديم رؤى جديدة ومعاصرة عن جماعة الإخوان المسلمين للعقل الغربي . أسس خيرت الشاطر بمقالته لا تخافوا منا التي نشرها له أصدقاؤه البريطانيون في صحيفة الغارديان ، رغبة جماعة الإخوان المسلمين الرسمية في التواصل مع الغرب بمراكزه البحثية ومثقفيه والمهتمين بشؤون الحركة الإسلامية ، وقد جاء هذا المقال بعد الفوز الكبير لمرشحي الإخوان المسلمين في الانتخابات البرلمانية المصرية في عام 2005 ، وبروز مخاوف غربية نشرت في كتابات متعددة حول الصعود المقلق لما يسمى بتيار الإسلام السياسي في الشرق الأوسط ، وقد كان تأسيس موقع إخوان ويب قبيل ذلك مدعاة لجعل خيرت الشاطر نموذجاً حوارياً مع الغرب من قبل جماعة الإخوان المسلمين .

وخلال حياته السياسية تعرض للسجن ست مرات: بإجمالي 12 سنة في السجن . ففي العام 1968م في عهد الرئيس الراحل عبد الناصر لاشتراكه في مظاهرات الطلاب في نوفمبر 1968 حيث سجن أربعة أشهر، وفصل من جامعة الإسكندرية وجُند في القوات المسلحة المصرية في فترة حرب الاستنزاف قبل الموعد المقرر لخدمته العسكرية المقررة قانونياً ، وفي عام 1992م سجن لمدة عام فيما سمي بقضية سلسبيل ، [8] ، وفي العام 1995 حُكم عليه بخمس سنوات في القضية رقم 8 لسنة 1995 جنابات عسكرية، والمعروفة إعلامياً بقضية «مجلس شورى الجماعة»، والتي حُكم عليه فيها بخمس سنوات بتهمة إعادة إحياء جماعة محظورة ، كما سُجن في العام 2001م لمدة عام تقريباً ، وفي 14 ديسمبر 2006 تم توقيف الشاطر ومجموعة من قيادات جماعة الإخوان المسلمين وعلمائها ورجال الأعمال

البارزين بها بلغ عددهم 40 قيادياً، حيث تم عرضهم في بداية الأمر على القضاء المدني الذي برأهم وأمر بإطلاق سراحهم ثلاث مرات في القضية رقم 963 لسنة 2006، فتمت إحالتهم بأمر من الحاكم العسكري رئيس الجمهورية السابق محمد حسني مبارك في 5 فبراير 2007 إلى محاكمة عسكرية استثنائية وسرية منعت عنها الكاميرات ووسائل الإعلام، وبعد ما يزيد عن سبعين جلسة من المحاكمة وفي 15 أبريل 2008 أصدر لواء من سلاح المشاة يدعي عبد الفتاح عبد الله علي أحكاماً مشددة بالسجن ومصادرة الأموال على 25 متهماً منهم 7 خارج البلاد كما قضت ببراءة 15 متهماً، بلغت جملة الأحكام 128 سنة ما بين 10 سنوات لقيادات الخارج حتى 3 سنوات وكان نصيب الشاطر فيها سبع سنوات وهي أقصى عقوبة شهدتها المحاكمات العسكرية للإخوان في

- 1 - في عام 1992 في قضية سلسبيل ، قام النظام بمصادرة الأراضي التي كان خيرت الشاطر وحسن مالك التي كان ينيان إقامة مصنع عليها في مدينة السادس من أكتوبر وهي لا زالت مصادره حتى الآن .
- 2 - وفي عام 2006 تم إحالته للمحاكمة العسكرية ومصادرة جميع ممتلكاته هو وأسرته .

في 1 مارس 2011 وبعد 3 أسابيع من تنحي حسني مبارك بعد ثورة 25 يناير أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة قراراً بالإفراج الصحي عن خيرت الشاطر وحسن مالك بعد قضاء ما يقرب من 4 سنوات ورابع من الحكم عليهما بـ 7 سنوات في القضية 2 لسنة 2007م جنایات عسكرية والمعروفة إعلامياً «بقضية ميلشيات الأزهر» .

بعد ذلك أدرج اسمه بكشوف الناخبين وقد قام بالإدلاء بصوته في الانتخابات البرلمانية 2011 – 2012 .

وفي 12 فبراير 2012 أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة قراراً بالعفو الكلي عن الشاطر ضمن قرار عفو على 112 آخرين استناداً للمادة 74 و75 من قانون العقوبات وقد نص على : «إعفاء المهندس محمد خيرت سعد عبد اللطيف الشاطر من كل العقوبات المحكوم بها عليه ، وسقوط كل العقوبات التبعية، والآثار الجنائية الأخرى المترتبة على الحكم» ، وقد أصبح هذا الحكم سارياً وتم تنفيذه حيث أصدرت مصلحة الأدلة الجنائية بوزارة الداخلية نفاذاً لذلك القرار صحيفة الحالة الجنائية له أثبتت بها مضمون أثر القرار بأنه لا يوجد أحكام مسجلة ضده .

وفي 19 فبراير 2012 تلقت شركة مصر للمقاصة والإيداع المركزي خطاباً من المستشار رئيس محكمة الاستئناف ، ورئيس إدارة الأموال المتحفظ عليها ، يفيد رفع التحفظ عن أموال كل من : خيرت الشاطر وحسن مالك ، بالبورصة ، ويتعين عليه رفع التحفظ على أموال زوجتيهما وأبنائهما القصر .

وفي 8 مارس 2012 قضت المحكمة العسكرية العليا ، ببراءة كل من أسعد الشيحة وأحمد عبد العاطي القياديين بالجماعة من تهمة الانضمام لجماعة تأسست على خلاف أحكام القانون والدستور والذين حكم عليهما بـ 5 سنوات في القضية رقم 2 لسنة 2007م جنایات عسكرية والمعروفة إعلامياً «بقضية ميلشيات الأزهر» .

وفي 15 مارس 2012 أصدرت المحكمة العسكرية العليا حكماً برد اعتباره من العقوبة المحكوم بها عليه في القضية رقم 8 لسنة 1995 جنایات عسكرية، والمعروفة إعلامياً «بقضية مجلس شورى الجماعة»، والتي حُكم عليه فيها بخمس سنوات بتهمة إعادة إحياء جماعة محظورة، وسقوط كل العقوبات التبعية والآثار الجنائية الأخرى والمترتبة على الحكم. ويترتب على رد الاعتبار- حسب

نصوص القانون- محو الحكم القاضي بالإدانة بالنسبة للمستقبل وزوال كل ما يترتب عليه من انعدام الأهلية والحرمان من الحقوق وسائر الآثار الجانبية.

أعلنت جماعة الإخوان المسلمون الدفع بخيرت الشاطر للترشح لانتخابات رئاسة الجمهورية 2012 في 31 مارس 2012 بناءً على ترشيح من حزب الحرية والعدالة وجماعة الإخوان المسلمين . عقب خلافات سياسية بينها وبين المجلس العسكري حول إقالة وزارة الجنزوري وذلك يوم 31 مارس 2012 ، فقدّم استقالته عن منصبه في الجماعة من أجل الترشح للرئاسة. قد جاء هذا القرار مخالفا لما قيل من قبل الجماعة قبل فتح باب الترشح، بأنهم لن يخوضوا سباق الرئاسة. وفي 8 فبراير 2012، نفى الشاطر نيته في الترشح أمام أحمد منصور في برنامج بلا حدود على قناة الجزيرة مباشر مصر .

وفي يوم الخميس 5 إبريل 2012، تقدم خيرت الشاطر بأوراق ترشحه للجنة القضائية العليا المشرفة على انتخابات رئاسة الجمهورية كمرشح عن حزب الحرية والعدالة بتأييد 277 نائبا بمجلسي الشعب والشورى .

وفي مساء يوم السبت 7 إبريل، قام حزب الحرية والعدالة بترشيح محمد مرسى رئيس الحزب كمرشح احتياطي لخيرت الشاطر في حالة تعثر الأخير في خوض الانتخابات بسبب أي ثغرة قانونية .

وفي مساء يوم السبت 14 إبريل، قررت اللجنة العليا للانتخابات الرئاسية، استبعاده من سباق انتخابات 2012، بعد أن تبينت اللجنة أن صدور العفو من المجلس العسكري عن عقوباته التكميلية المتمثلة في حرمانه من مباشرة حقوقه السياسية، لا يكفي ليمارس حق الترشح والانتخاب، بموجب قانون العقوبات، وتأكدت من عدم صدور حكم برد اعتباره من القضاء العسكري في القضية المعروفة إعلامياً بـ"ميليشيات الأزهر" .

وفي يوم الإثنين المصادف تاريخه بـ 16 أبريل 2012 قدم محامو الشاطر تظلم على قرار استبعاده من قائمة المرشحين تظهر صحة موقفه القانوني . وفي إطار نشاطه النضالي تم مصادرة ممتلكاته عدة مرات .

عن مواقع عديدة من بينها : موقع قناة الجزيرة القطرية : [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net) والموقع الرسمي للسيد خيرت : [www.khairatshater.com](http://www.khairatshater.com)

[7] - أجرى السيد أحمد منصور الموظف في قناة "الجزيرة" القطرية ، ذلك اللقاء في إطار البرنامج السياسي المعروف ، المعنون : "بلا حدود" الذي تقدمه القناة أسبوعياً ، وذلك بتاريخ 19 / 10 / 2011 ، ونص المقابلة موجود حتى الآن [أي حتى إعداد هذا الموضوع] على الموقع الإلكتروني لمحطة الجزيرة الفضائية .

[8] - "خيرت الشاطر هو أحد من وضعوا خطة التمكين ، وكان عام 1989 قد أخذ بناء على تصريح من الحاج مصطفى مشهور أسماء جميع أعضاء تنظيم الإخوان المسلمين في مصر، وعناوينهم وبياناتهم واسم الشخص الذي قام بتجنيدهم وموقعه، ووضع هذه الأسماء في جهاز الكمبيوتر الخاص بشركته «سلسبيل» الكائنة في النزهة بمصر الجديدة ، وكان قبل ذلك قد نجح في خطوات تأسيس الشركة، لدرجة أن سوزان مبارك زارت جناح الشركة في معرض الكتاب، وكان خيرت الشاطر وحسن مالك في

استقبالها وكانت الشركة قد رسا عليها تنظيم فعاليات دورة الألعاب الإفريقية التي نظمتها مصر عام 1991 ، إلا أن الأجهزة الأمنية وصل إليها أن خيرت وضع خطة التمكين بأسماء كل الإخوان على جهاز الكمبيوتر الخاص، عبر «سلسبيل» فاقطعت أجهزة الأمن مقر الشركة وتم إحالة الشاطر ومالك وأشرف عبد السميع لنيابة أمن الدولة مع آخرين، وقد استعانت الأجهزة وقتها بخبراء كمبيوتر من الجامعة الأمريكية لفك شفرة جهاز الكمبيوتر للحصول على بيانات الإخوان، **وقدّم بذلك الشاطر أكبر هدية لأمن الدولة، وحدثت حالة غضب شديدة داخل الإخوان وطلبوا التحقيق في الأمر وثاروا على الحاج مصطفى مشهور، لأنه هو الذي صرح للشاطر بالاحتفاظ بالأسماء، وكان المفترض أن يتم التحقيق مع خيرت بعد خروجه ولكن سطوة مشهور منعت ذلك ، والمدعش أن ما حدث هو العكس ، فعقب خروجه بعد 9 أشهر تمت ترقيته ليصبح مسؤول محافظة القاهرة، ثم ليصبح بعد ذلك عضو مكتب الإرشاد ، والشاطر كان مسؤولاً عن التنظيم الخاص بتوجيه من الحاج مصطفى مشهور ولا يزال حتى الآن بالتعاون مع محمود عزت وميليشيات الأزهر كانت أحد المظاهر طبعاً ولكنه كان تسرعاً من الإخوان وقالوا إنها تدريبات رياضية . . . وأي تنظيم هذا الذي يتدرب على القتال؟ ! أعضاء التنظيم يعيشون بيننا الآن من شباب الإخوان وهم مدربون على مواجهة المظاهرات والذين يفعلون ذلك مدربون على العمليات القتالية" . عن كتاب "سر المعبد" للسيد ثروت الخرباوي . الذي يضيف ضمن إجابته على سؤال : ما هي ملامح التنظيم الدولي للإخوان؟ وما هي خريطة معاوني الرئيس في هذا التنظيم ؟ .**

التنظيم الدولي قائم، وهو داعم لجماعة الإخوان من الناحية المادية، بالإضافة إلى أنه كان له دور في إقامة تفاهات ما بين الإخوان وأمريكا، وما زال يقوم بهذا الدور، خاصة أن إخوان أمريكا يقومون بدور «كويس»، أما عن الرئيس ومعاونيه فلا علاقة لهم بالتنظيم الدولي ، فالعلاقة مع خيرت الشاطر، لأنه المسؤول عن هذا الملف.

وبرأيك من هو المسؤول عن ملف العلاقة بين أمريكا والإخوان؟

**- خيرت الشاطر من ناحية، ومحمد مرسى من ناحية أخرى، والرئيس له دور كبير، وعصام الحداد من ناحية ثالثة .**

وهل الأدوار مقسمة بالتساوي بينهم؟ .

- الثلاثة يحبونها .

وما السر في إسناد ملف العلاقات الخارجية لعصام الحداد ؟

- علاقته بالأمريكان، وعلاقته بكثير من الحكومات الأوروبية، وهي علاقة قديمة، وابنه نفسه له دور في هذا الملف من خلال علاقاته القوية، وقد عمل في مؤسسة «كارتير» لما يقرب من أربع سنوات، هم برأيي شخصيات أمريكية، وعصام الحداد كأثـه المندوب السامي الأمريكي .

نعود لمعاوني الرئيس هل هم رجال خيرت الشاطر أو رجال مرسى ؟  
- لا هم مندوبو الجماعة في مؤسسة الرئاسة، وليس شرطاً أن يكونوا رجال خيرت الشاطر، ولكنه «ماسك الخيوط» وحاول «مرسى» أن يخرج عن هذه الخيوط ويستعين بشخصيات من خارج الجماعة، وكان هناك خلاف بينه وبين «الشاطر» لكن تم تدارك الأمر في جلسة الصلح التي حضرها أمير قطر .



## المواقف السياسية الحقيقية للإخوان المسلمين

### منقولة عن لسان محمد خيرت الشاطر ذاته

#### الحلقة الثالثة

هذه وجهة النظر السياسية للسيد محمد خيرت الشاطر ، الشخصية السياسية المتنفذة والأساسية في حزب الإخوان المسلمين المصرية ، وهي الشخصية المحورية المعبرة عن وجهة نظرهم المحددة تجاه القضايا السياسية والفكرية ، ورغم الانتقاد السياسي لبعض القيادات الإخوانية التي تركت صفوف الحزب كالسيد : ثروت الغرباوي وغيره ، والتي اعتزضت بشكل جاد وحاد على الممارسات السياسية للحزب في مرحلة الحكم الحالي لمصر ، وكشفهم لتلك التناقضات الجوهرية ما بين المنظومة الفكرية والدينية التي يبشرون بها ، مع أغلبية الممارسات السياسية العملية ، والتي كشف عن بعضها التلفزيون الخاص بمحطة الفضائية العربية .

على أية حال ، إننا سنشبح النظر عنها ، ونلجأ إلى حياة ومواقف محمد خيرت الشاطر ، لكشف حقيقة المواقف السياسية الفعلية لحزب الإخوان المسلمين تجاه القضايا السياسية العالمية وخصوصاً تجاه المحاور الثلاثة الخاصة بالغرب وأمريكا والحركة الصهيونية والاتفاقات مع الكيان الصهيوني ، التي طالما جعلوها سابقاً - أو في السابق - معياراً سياسياً ونظرياً للوقوف ضد المرحلة الناصرية وشخصية القائد جمال عبد الناصر بالذات ، وذلك بالاعتماد على البعض ممن عايش الحياة النضالية للشاطر ذاته ، ولعب الدور الأساس في التمهيد للاتصال العملي مع منفذي الرؤية السياسية الإمبريالية الأمريكية وحتى مرحلة العولمة الأمريكية ، إذ يقول أحد الكتاب المصريين التالي ، [8] ، "لقد أثارت تصريحات الدكتور سعد الدين إبراهيم مدير مركز «ابن خلدون» في لقاء مع صحيفة «الوطن» المصرية ، حالة جدلية كبيرة ، خاصة فيما يخص علاقة الإخوان بالجيش وكواليس الثورة التي تم الإعلان عنها لأول مرة ، وخلال الجزء الثاني من الحوار يواصل د. سعد الدين إبراهيم كشف المزيد من الأسرار السياسية لحزب الإخوان المسلمين وعلاقتهم السياسية بأمريكا .

وقال : إنَّ الإخوان ينكرون على الآخرين ما يستبيحونه لأنفسهم ، فهم للأسف «بأكثر من وجه» ، مؤكداً أن وثائق ويكيلكس ستفضح كافة تعاملات الإخوان مع أمن الدولة ومندوبي وعملاء أجهزة المخابرات الأجنبية . وإن الميليشيات هي الصندوق الأسود للإخوان ولا

يستبعد أن تكون هي «الطرف الثالث»، موضحاً أن أحد وزراء الداخلية السابقين قال له : إن الإخوان والحمساويين أحرقوا 28 قسماً واقتحموا السجون أثناء ثورة 25 يناير .

**إذاً ، مسح الماضي السياسي للإخوان خلال مرحلتي حكم أنور السادات وحسني مبارك هو الهدف السياسي الآني والمباشر ، سواء لجهة وصولهم إلى البرلمان لشغل ما يقارب مائة مقعد برلماني خلال المراحل الزمنية السابقة ، أو مواقفهم السياسية تجاه العديد من المواقف السياسية الحقيقية التي تعنتي بالشؤون الاجتماعية والوطنية والقومية والإقليمية والعالمية أو حذف المعلومات التي صادرتها الأجهزة الأمنية في القضية المعروفة باسم "قضية سلسبيل" .**

ولكن هل تستطيع قيادة الإخوان المسلمين محو الذاكرة السياسية والتاريخية لعموم الوطنيين العرب ، والمصريين منهم على وجه الخصوص؟ .

**فيما يلي النص الحرفي للمقابلة التي لم ينكرها أحد من القيادات الإخوانية ولم يكذبها السيد محمد خيرت الشاطر في حدود العلم المتاح أمام الجميع في العالم .**

• لماذا توترت علاقتك مع الإخوان إلى حد القطيعة التامة رغم أنك كنت داعماً لهم في فترة حكم مبارك ؟ .

- لأنني أعرف عنهم كل شيء وهم يخافون أن أكشفهم للرأي العام ، وهم لا يريدون أحداً يكشف هذه الأسرار ، على كل حال هذا أمر متوقع وأتعامل مع موقفهم بمبدأ «إتق شر من أحسنت إليه» .

• ربما لا يعرف البعض أنك كنت حلقة الوصل بين الأمريكيين والإخوان منذ عام 2003، فهل تكرر هذا الأمر بعد قيام ثورة 25 يناير ؟ .

- نعم ، اتصلوا من خلالي بالأمريكيين بعد قيام الثورة وطلبوا تحديداً الاتصال بكل من سيناتور جون كيري (الحزب الديمقراطي) وسيناتور جون ماكين (الحزب الجمهوري) فهم يريدون فتح حوار مع التيارين .

• لماذا هم مصممون على التيارين معاً ، ألا يفقدون ذلك أحد التيارين لحساب الآخر؟ هم يملكون وجهة نظر إزاء هذا التوجه وهي محاولة السيطرة على كافة الأطراف ، وقال لي أحد قيادات الإخوان بكل صراحة حينما سألتته ذات السؤال «إحنا عايزين نكون زي إسرائيل» الحزبان الديمقراطي والجمهوري يخطبان ود إسرائيل، والإخوان عندهم أمل

كبير في ذلك والوصول إلى تلك القوة الخارجية، فاندثشت كثيراً من كلامه واستغربت أن تكون إسرائيل بالنسبة للإخوان مثلاً أعلى ، فقال لي : «إن التكتيكات السياسية تستوجب ذلك» .

إذاً ، القدوة عندهم هو كيان الإغتصاب الصهيوني وهو المثل الأعلى لديهم ، [9] . ألا يمثل هذا التوجه ازدواجية بين الإدعاء والممارسة ؟ .

- هو كذلك، بل إنني أذكر واقعة غريبة ربما تبين طبيعة تفكير الإخوان في الأمور ، ففي إحدى المرات اتصل بي خيرت الشاطر وطلب مني التوسط لكي تدخل ابنته الجامعة الأمريكية في القاهرة ، فقلت له مستغرباً : ألا تقول عليها جامعة الشيطان ؟ قال : we go for quality - أي أننا نبحث عن الكيف، فقلت له حتى لو كان ذلك في جامعة الشيطان ؟ فقال لي : «حتى لو كانت جامعة إبليس هادخلها».. وأعتقد أنها كانت رسالة واضحة في أن معتقداتهم لا تتعارض مع المصلحة العامة .

• واجهت الإدارة الأمريكية هجوماً شديداً حول إنفاق أمريكا 1.4 مليار دولار لتأييد الإخوان، هم ينكرون ويقولون إن الجيش هو المستفيد.. أين الحقيقة ؟ .

- هذه الأموال لم تذهب إلى الجيش وهم «يقدرُوا يقولُوا أي حاجة» ، لكن الحقيقة أن 1.4 مليار دولار ذهبت إلى عملية التحول الديمقراطي ، **وتحديداً في تدريب كوادر كثيرة جداً من كل الفئات بما فيهم الإخوان المسلمين، ففي كل تدريب تم لهذه الكوادر كان هناك فصيل من الإخوان المسلمين يحضرون، سواء كان ذلك في مصر أو صربيا أو بلاد أخرى تم فيها عقد هذه التدريبات ، لهذا أستغربهم كثيراً حينما يتهمون حركة 6 أبريل بالعمالة وهم كانوا معهم في ذات التدريبات ، خاصة التي كانت في صربيا وهذا سر كبير لا يعرفه أحد ، فالإخوان ينكرون على الآخرين ما يستبيحونه لأنفسهم ! فهم للأسف «بأكثر من وجه» .**

• 30 شخصية إخوانية سافرت إلى أمريكا قبل إعلان نتيجة انتخابات الرئاسة ، هل لديك أي معلومات عن كواليس هذه اللقاءات ؟ .

- ذهب الوفد الإخواني إلى كل من يهمة الأمر في واشنطن، **سواء كان هذا الشخص في البيت الأبيض ، الخارجية الأمريكية، الكونجرس، البنتاجون (وزارة الدفاع)، مقر المخابرات المركزية الأمريكية CIA، بعض الصحف الأمريكية ذائعة الصيت (واشنطن بوست،**

نيويورك تايمز، هيرالد تريبيون)، بعض المراكز البحثية المتخصصة مثل (فريدوم هاوس وكارنيجي) ، ذهبوا إلى كل هذه الأماكن ، وكانت الرسالة واحدة للجميع وهي أن الإخوان لن يمسوا المصالح الأمريكية بسوء ، بل على العكس نحن منفتحون لتعظيم المصالح المشتركة .

• من كان وراء ترتيب هذه اللقاءات ؟ .

## - خيرت الشاطر، لكنه لم يكن موجوداً .

• ألم يتعرض أي من أعضاء الوفد إلى مواقف محرجة أثناء الزيارة ؟ .

- هذه الزيارة لم يحدث بها شيء، لكن زيارة عصام العريان وعصام الحداد الأخيرتين لأمريكا كان بهما الكثير من الحرج ضد جماعة الإخوان المسلمين، فلقد قامت 3 مظاهرات ضد الإخوان في نيويورك وحدها، ومقاطعة لهم في العديد من الأماكن التي أرادوا زيارتها .

• كنت أول من فتح قنوات الاتصال بين أمريكا والإخوان منذ عام 2009 فمن كان مهندس هذه المفاوضات من جانب الإخوان ؟ .

- خيرت الشاطر وعصام العريان؛ لأن كليهما كان معي في السجن وكانا جزءاً من الحوارات السياسية التي فتحناها مع الأوروبيين منذ بداية عام 2003 في النادي السويسري في إمبابة وحدث ذلك 3 مرات ، أما لقاءاتهم مع الأمريكيين فقد تأخرت قليلاً لأن السفير الأمريكي بالقاهرة لم يستطع الحصول على تفويض من واشنطن للسماح له بمقابلتهم، فقد كانت أحداث 11 سبتمبر ما زالت تؤثر على القرارات الأمريكية، لكنه كان صديقاً للسفير البريطاني، الكندي، الاسترالي الذين يجتمعون بالإخوان، ثم يجلس السفير الأمريكي معهم لمعرفة نتائج هذه الحوارات .

• ما أهم النقاط التي كانت تدور حولها هذه الحوارات المشتركة ؟ .

3 - نقاط أساسية كان يدور الحوار حولها وهى إذا ما وصلتكم إلى الحكم ماذا سيكون موقفكم من كل من «القوى الغربية - أجندة الإخوان الداخلية وتحديداً موقفهم من غير المسلمين وموقفهم من المرأة وحرية الإبداع والثقافة - موقفهم من معاهدة السلام وإسرائيل..» وكان الأوروبيون والأمريكان يردون «بناء على إجاباتكم سيتم تحديد مدى شرعيتكم وقبولنا لها» .

• هذا يعنى أن الإخوان بدؤوا في الترويج لعملية انتقال السلطة إليهم مبكراً ؟ .

- هذا ليس توقيتاً مبكراً في عالم السياسة ، ففي السياسات الخارجية يوجد دائماً فريق متخصص بالتفكير الاستراتيجي لاستطلاع الخطط المستقبلية التي تمتد لثلاثين سنة، والأمريكان يملكون هذه الخطط منذ السبعينات .

• هل صحيح أن خيرت الشاطر كان له كود سرى لدى الإدارة الأمريكية ؟ .

- كل شخص يتعامل مع الإدارة الأمريكية أكيد له كود سرى يتم تعريفه من خلاله لدى صنّاع القرار الأمريكيين .

• تردد أن الشاطر كان يتخذ قرارات فردية في علاقته بالإدارة الأمريكية وهو ما دفع بالدكتور عبد المنعم أبو الفتوح إلى الانشقاق عن الجماعة اعتراضاً على سياسة الشاطر.

- انشقاق أبو الفتوح كان لتعارض المصالح وتصادمها بين الاثنين فطموحاتهما الشخصية كانت متصادمة ، كلاهما كان نجماً صاعداً ولكل منهما شعبية كبرى وأنصار داخل الجماعة وتحديداً من شباب الجماعة، وكان هناك صراع مكتوم بين الاثنين وانتهى الأمر بأن فاز خيرت الشاطر في هذا الصراع .

• من «السر الكبير» في علاقة الإخوان المسلمين بأمريكا الذي تحدث عنه القيادي الإخواني السابق ثروت الخرباوي في كتابه الأخير دون ذكر اسمه صراحة ؟ .

- هناك 3 أو 4 شخصيات مرشحة لهذا اللقب ... لكنى لا أستطيع الإفصاح عن ... قولي أنت الاسم وأنا أجيب بنعم أو لا .

• هل هو الدكتور محمود عزت ؟ .

- (بعد أن صمت برهة) . . . نعم . . . هو الرجل الأخطر داخل الجماعة وهو «السر الكبير» أو «الغز الكبير» في علاقة الإخوان بأمريكا .

• ماذا تعرف عنه شخصياً ؟ .

- لم ألتقه كثيراً، ولكن انطباعاتي عنه أنه رجل صامت صامد لا يتحدث كثيراً ، يأخذ أكثر مما يعطي ، شخص قوى وله هيبة ، معتد بنفسه ، يسأل كثيراً ويجيب أقل مما يسأل ! .

• لماذا يمتلك محمود عزت هذا الثقل لدى الجماعة والأمريكيين معاً ؟ .

- لعدة أسباب منها التمويل، التاريخ الشخصي، كما أن له وزناً كبيراً في الخارج فهو يعيش منذ فترة طويلة في أمريكا واستطاع أن يفتح قنوات اتصال كبيرة ومتشعبة في واشنطن والعديد من الولايات الأمريكية ليس فقط في البيت الأبيض والإدارة الأمريكية ، بل فتح قنوات اتصال متشعبة كذلك في بيوت الخبرة السياسية ومراكز الأبحاث وهو يقوم بنفس الدور الذي يقوم به يوسف ندا في أوروبا .

• جرى الحديث عن علاقة خفية تجمع بين «هوما عابدين - مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون وظلها الثاني» بالسيدة نجلاء مرسى وتنظيم الأخوات المسلمات ؟ .

- هذا الملف تحديداً لا أعرف عنه شيئاً ، لكنني التقيت القيادية الإخوانية الراحلة زينب الغزالي في أحد المطارات منذ 15 عاماً وكانت متجهة إلى أمريكا ، فتعرفت عليها وأثناء الرحلة الطويلة تحدثنا عن العديد من الأمور التي تخص تعذيب الإخوان على يد عبد الناصر ، وكشفت لي عن أنها أسست تنظيماً سرياً للأخوات المسلمات وأن مكتب الإرشاد عارض هذه الفكرة فترة طويلة إلى أن وافق عليها في النهاية على أن يظل التنظيم يعمل في السر خوفاً من أعين الأمن .

• أثار الحديث عن قرب إفراج موقع ويكيليكس عن مجموعة من الوثائق السرية التي تخص الإخوان وعلاقتهم بأمريكا ، لغطاً وخوفاً كبيراً لدى الإخوان ، فما الذي يمكن أن تحويه هذه الوثائق ؟ .

**ستفصح كافة تعاملاتهم مع أجهزة أمن الدولة ومقابلاتهم وعلاقاتهم مع مندوبي وعملاء أجهزة مخابرات بعض الدول الأجنبية، وبعض المسؤولين الأجانب الذين كانوا يزورون مصر ويقابلهم الإخوان في سرية تامة .**

• كيف يمكن أن تصف صورة الإخوان بعد أن وصلوا للحكم على المستويين الشعبي والرسمي في أمريكا ؟ .

- على المستوى الشعبي أعتقد أن واشنطن، فيرجينا، الميرلاند هي الولايات التي يهتم فيها الأمريكيون بالشأن العالمي ومنطقة الشرق الأوسط، ولا يتجاوز مساحة هذه الولايات مجتمعة 600 كيلومتر مربع ويسكنها حوالي 50 مليون أمريكي ، والنخبة الأمريكية ترى أن مستقبل مصر مهم للعلاقات الأمريكية ومعاهدة السلام وتأمين إسرائيل فضلاً عن علاقة أمريكا بالسعودية وباقي دول الخليج ، أما على المستوى الرسمي فهناك الآن نوع من مراجعة القرار لدى المؤسسات الأمريكية البحثية تجاه ما يتعلق بعمل أجهزة الرصد ، خاصة أن حدوث ثورة في تونس كان من المفترض أن يقدم دليلاً واضحاً في إمكانية انتقال الثورة إلى مصر ، ولقد كنت في البيت الأبيض في ذلك الوقت، بل كنت قريباً جداً من دائرة صنع القرار في واشنطن أثناء ثورة 25 يناير، وهناك مدرستان إحداهما تشير إلى ضرورة التعامل مع الحكومة الموجودة على الأرض (مدرسة الواقعية في السياسة الأمريكية) سواء كانت من الإخوان المسلمين أو أي تيار إسلام سياسي ، المدرسة الثانية تقول إن هذه القوى ليست معادية لأمريكا بالضرورة لكنها تريد خدمة مصالح نفسها ، وبالتالي عندها قابلية للحوار بشكل كبير (نظرة براجماتية) فيمكن التعامل معها وفقاً لذلك .

• كيف ترى مستقبل العلاقات المصرية الأمريكية ؟ .

- العلاقات المصرية الأمريكية ستسير بنسبة 80% كما كانت أيام حكم مبارك ، بمعنى أن هناك ثوابت ومصالح مشتركة لن تتغير في حكم الإخوان ، فعلم السياسة يقول إنه ليس هناك أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون ، لكن هناك مصالح قائمة ، والطرفان الأمريكي والمصري حريصان على ذلك ، ووفقاً لهذا ستستمر العلاقة بهذه النسبة المرتفعة في التوافق .

• ألم يكن من المنطقي أن يحدث تغيير في هذه العلاقة بعد وصول الإخوان إلى الحكم خاصة عقب قيام ثورة 25 يناير ؟ .

- لا ليس من المنطقي ، لأن رؤوس الحكم هي فقط من تغيرت في مصر وفي أمريكا ، لكن المؤسسات نفسها ومنهجها لم يختلف ، فاستمرارية المؤسسات لا تعتمد على الرؤوس الكبيرة بل على منظومة متواصلة ... فمن الأخطاء الشائعة لدى المصريين والعرب الاعتقاد بأنه بمجرد تغير الرأس ستتغير المنظومة ككل ! ولكن هذا أمر خطأ ، والدليل ما

نحن فيه الآن ، هل تغير شيء في مصر بعد تولى مرسى الحكم ؟ لا أبداً . . . فنحن مجتمع نهري! ينزع إلى الاستقرار في كل شيء . الثورة قامت من أجل تغيير كبير، لكن المحصلة النهائية لن تكون أكثر من 20% فقط مما قامت لأجله الثورة .

• أليس هذا تحليلاً تشاؤمياً ؟ .

- عندما ندرس أي شيء في الدنيا علينا أن نبدأ بثلاثة أشياء : العائلة ، الأصدقاء ، الجيران . . . هل تغير شيء كبير في حياة هذه الدوائر الثلاث بعد قيام الثورة ؟ إنها في النهاية تغيرات لن تزيد عن 20% من إجمالي حياتهم عما قبل الثورة .

• أشيع كثيراً عن وجود علاقة تربط بعض قادة الإخوان المسلمين بالتنظيم الماسوني ؟

- هناك علاقة تنظيمية المعنى ولكنها ليست عقائدية بين الإخوان والماسونية ، وعندي شهادة خاصة من الأستاذ جمال البنا الشقيق الأصغر لحسن البنا ، فقد سألته مرة لماذا لم تنضم إلى الإخوان المسلمين ، فقال لي لأنهم تنظيم «لينيني ماسوني»؛ **لينيني من حيث صلابة التنظيم وماسوني من حيث السرية** ، وأنا أحب أن أعمل في النور .

• شائعات أخرى تحدثت عن وجود قاعدة أمريكية في مصر.. فهل لديك معلومة مؤكدة حيال هذا الأمر؟ ..

- نعم ، هناك قاعدة جوية أمريكية في منطقة اسمها «بني ياس» في البحر الأحمر وهي موجودة من قبل أن يتولى الرئيس محمد مرسى الحكم ، واستمرت مع الإخوان ، والكل ينفي وجودها بما في ذلك المتحدث باسم القوات المسلحة ، ولكني أقول لهم كيف عرفت اسمها ومعلومات عنها إن لم تكن حقيقة ؟ كيف لي أن أعرف منطقة اسمها «بني ياس» في البحر الأحمر ؟ وقالوا إنها مجرد مكان يتم تقديم التسهيلات به لطائرات الدول الصديقة . . . وفي النهاية القاعدة هي مكان لتقديم تسهيلات بغض النظر عن طبيعة هذه التسهيلات أو مدتها .

• هل حاولت أمريكا بشكل سرى التفاوض مع الإخوان في هذه المرحلة من أجل إنشاء قواعد أمريكية أخرى ؟ .

- لا لم يحدث ، وأعتقد أن أمريكا لا تحتاج إلى أكثر من قاعدة في مصر ، فهم لديهم حاملات طائرات في الخليج الهندي وكذلك الأسطول السادس في البحر المتوسط والسابع في المحيط الهندي .

• كنت وسيطاً بين الجهاديين والمجلس العسكري إثر تفجيرات سيناء ، فمن طلب منك هذه الوساطة ؟ .



- قادة التنظيم الجهادي ، وذلك حدث بعد تفجيرات سيناء ، حيث طلب منى صراحة التوسط لدى المجلس العسكري للجلوس معه ، ونقلت هذا لأحد أعضاء المجلس العسكري وبالفعل تم ترتيب • هل يمكن التصريح بأسماء هؤلاء الجهاديين ولماذا طلبوا منك أنت تحديداً هذه الوساطة ؟ .

- أبرزهم الشيخ نبيل نعيم ، وطلبوا منى هذا الطلب تحديداً لأن العديد منهم كانوا معي في السجن . لقاء يجمعهم بأعضاء من المخابرات العسكرية وعند هذا الحد توقف دوري .

• هل تعتقد أن حلم الإمارة الإسلامية الذي يروج له الإخوان قابل للتحقيق ؟ .

- الإخوان المسلمون يسعون إلى ذلك ، لكنهم حتماً سيفشلون تماماً وفشلهم راجع إلى أسباب كثيرة ، أولها عدم واقعية الهدف ، فكيف يمكن أن تتحول مصر إلى دولة إسلامية عاصمتها القدس وأن تمتد جغرافية أرض المسلمين من إندونيسيا إلى موريتانيا . . . هذا نسميه البحث عن الفردوس المفقود! هذا خيال أجيال متتالية من المسلمين منذ نهاية الخلافة الرشيدة الأولى، والحياة في المجتمع الفاضل وفقاً للشريعة الإسلامية . . . مع إن تاريخ الخلافة الإسلامية لم يكن فاضلاً كما يتصور البعض ، فوفقاً لكتب السيرة والتراث فإن الخلافة الإسلامية لم تعيش هذه الفترة الفاضلة إلا في عهد عمر بن الخطاب وعمر عبد العزيز طوال الأربعة عشر قرناً منذ فجر الإسلام فقط .

• يظل الحديث عن ميليشيات الإخوان محفوفاً بعلامات الاستفهام، لدرجة أن البعض قال إنها قد تكون الطرف الثالث أو «اللهو الخفي» في الأحداث الدامية التي عاشتها مصر ؟ .

- الميليشيات هي الصندوق الأسود للإخوان، ولا أستبعد أن تكون هي الطرف الثالث ، خاصة أن تاريخهم يقول ذلك ، فهم التنظيم السياسي الوحيد الذي لجأ إلى القوة المسلحة، لا الوفديون ولا الشيوعيون ولا أي فصيل فعل ذلك خلال 100 سنة الأخيرة .

• هل تملك وثائق تدلل على ما تقول ؟ .

- لا أملك وثائق لكن هناك العديد من الشواهد بدءاً من حرق الأقسام في بداية الثورة وصولاً إلى أحداث الاتحادية ، وأحد وزراء الداخلية السابقين كشف لي عن أن الإخوان المسلمين بالتعاون مع حماساويين من غزة هم من حرقوا 28 قسماً واقتحموا السجون أيام ثورة 25 يناير، وهم أنفسهم لا ينكرون أنهم يملكون أفراداً مسلحين .

• هل كشف لك أين يتم تدريب هذه الميليشيات المسلحة ؟ .

- في صحراء الإسكندرية والقاهرة والصحراء ما بين الإسكندرية ومطروح .

• هل هذه الميليشيات هي من تقوم كذلك بتأمين مقرات حزب الحرية والعدالة وبيوت الكوادر؟ .

- نعم هم من يقومون بتأمين هذه المقرات .

**{ عن جريدة الوطن 29 / 12 / 2012 }**

**للبحث صلة ...**

---

## المراجع والهوامش

[8] - كما نقل نص حديثه موقع شبكة البصرة بتاريخ الجمعة 29 صفر 1434 / 11 كانون الثاني 2013 .

[9] - إنهم يضربون بالموقف الفكري المبدئي للرسول محمد بن عبد الله ، [ص] ، عرض الحائط ، من الوثائق الفكرية التي تحاول نسف الأساس العقائدي للقرآن الكريم ، وذلك عندما رأى وثيقة فكرية دينية يهودية بيد الشخصية الإسلامية الهامة عمر بن الخطاب الذي "إمتاز عن كثير من الأصحاب القائل بسعة الأفق وجودة الرأي وإستقلال الفكر" والتعبير عن موقفه بجرأة لا تمارى ، سواء يتعلق هذا الرأي بالدعوة الإسلامية أو موقفه الشخصي عبر ما يسميه العصر الحديث بالنقد الذاتي - كما تقول المصادر التاريخية ، "عن عمر بن الخطاب قال : إنطلقت فإنتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثم جئت به في أدم ، فقال لي رسول الله (ص) ما هذا في يدك يا عمر ؟ فقلت : يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد علماً إلى علمنا ، فغضب رسول الله (ص) حتى إحمرت وجنتاه" ، ثم خاطبه : "أفي شك أنت يا بن الخطاب ؟ ألم آت بها بيضاء نقية ؟ حتى لو كان أخي موسى حياً لم يسعه إلا إتباعي" ثم نوذي بالصلاة الجامعة" ، ومارس الخليفة الراشدي الثاني ذلك الموقف والسلوك المحمدي مع أحد الأتباع عندما نسخ كتاب دانيال وأمره بعدم قراءته وإعطائه إلى غيره ومحوه" .

## منهج التحدي السياسي للغرب والرؤية السياسية الناصرية

هي مقياس المحاكمة لسنوات العقود الماضية، وكذلك هي

معيار الرؤية السياسية تجاه التطورات الموضوعية

### الحلقة الرابعة

الرئيس الفقيد جمال عبد الناصر ، الرئيس المصري العربي الأسبق ، غدا ظاهرة موضوعية في الحياة السياسية العربية ، الحديثة والمعاصرة ، شأنه شأن الظاهرة المحمدية في التاريخ الثقافي العربي ، مع الفارق النوعي من حيث التكليف الديني الإلهي ، بالنسبة لشخصية الرسول الأكرم : محمد بن عبد الله - ص - . والتكوين الفكري السياسي الإستراتيجي للوطن العربي في العالم الحديث والمعاصر الذي ترك بصماته التاريخية المؤثرة عليه الرئيس جمال عبد الناصر .

فلن تجد أية كتابة تاريخية / سياسية تتناول الوطن العربي : شؤونته المختلفة وشجونه المتراكبة ، من موقع المحبة والولاء أو الكره والضغينة ، المقطوع الصلة عن ظاهرتي الجغرافية والتاريخ والموقف السياسي الملموس المتصل مع الوضع السياسي الملموس أو المجرد ، أو من حيث الموقف السياسي المتواصل معهما ، إلا وكان الحديث المباشر أو غير المباشر يتطرق إليهما ويشير إلى معالم ممارساتهما .

وبالنسبة للرئيس : **النهج والرمز** ، جمال عبد الناصر والتاريخ الحديث والمعاصر يعدّ مجترح طريق الخلاص للشعب العربي من ربقة الاحتلال والتحرر من الإستعمار البريطاني الفرنسي ، وتحقيق الإستقلال السياسي والاقتصادي ، وخوض الصراع ضد الرؤية السياسية الأمريكية والمخططات الصهيونية الإسرائيلية ، لمن يتمتعون بحس نقدي قومي عربي مخلص ، من ناحية ، أو السبب السياسي لوجودهما المؤثر في الوطن العربي ، لمن يتولون النظرة السياسية الحاقدة على الأمة العربية .

**لماذا كان ذلك الإتجاه السياسي حتمياً ومفروضاً على الجميع ؟ لأنّ الرؤية السياسية الغربية بقدر ما يتعلق بالوطن العربي والعالم الإسلامي قد حددت برنامجها السياسي ورسمت هدفها السياسي الأساسي ، منذ الحروب الصليبية واجتماعات مؤتمر باترمان في لندن في بدايات القرن العشرين ، [10] .**

وهو ما يزال مستمراً رغم تبدل بعض الوسائل العملية واختلاف التكتيكات التي تخدم تلك الأهداف الإستراتيجية السياسية الغربية ، وهذه الرؤية السياسية الغربية هي التي كانت تحدد سقف المواقف السياسية العربية ، وكان المجموع السياسي العربي المتنقذ أحياء في دائرة الفعل بقدر ما هم واعون لمعاني الذاكرة التاريخية ومستوعبون لدروسها التاريخية الغنية ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر الذي يمثل القومية العربية الحديثة والذي ثار على النظرة القومية التقليدية ، يدرك أهمية الرؤية الإستراتيجية في رسم تصورات أفق تطورات الآفاق السياسية للوطن العربي ومحيطه الجغرافي ، مثلما يعرف عميقاً الرؤية الإستراتيجية السياسية الغربية .

**بتكثيف فكري شديد وتحديد سياسي واضح ، أنّ الواقع التاريخي القومي العربي في نسخته الناصرية ، وهي المظهر السياسي الأبرز خلال السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، مفروض على الجميع المتابع للشأن العربي : المناصر أو المناويء ، الصديق أو العدو ، على حدٍ سواء ، وليس النظرة المطلوبة أو المستأنس بها فقط ، خاصة بعد الدروس التاريخية التي أفرزتها التجربة السياسية العربية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وسيادة الحركة القومية التقليدية على شؤون وشجون ومصائر الوضع السياسي العربي برمته ، [11] .**

لو تطرقنا إلى التطورات السياسية العربية التي شهدنا تفاصيلها في المرحلة الأخيرة ، وخصوصاً على مستوى الساحة المصرية ، لتعرفنا على عدة ظواهر سياسية ملموسة ، التي قاد ممارساتها حزب الإخوان المسلمين ، والتي من بينها تكريم السيد محمد مرسي : رئيس الجمهورية المصرية المنتخب ، الرئيس الراحل أنور السادات الذي إغتاله إسلاميون متطرفون متشددون ، **والرمز السياسي الأبرز لمعاهدة معسكر داوود الخيانية بالنسبة لمعاييرهم السياسية والفكرية والدينية السابقة ، وما جرّته من وبال مأساوي وفادح على الوضع السياسي العربي برمته ، من ناحية ، وما فرضته الرئاسة المصرية من تعليمات إدارية مستجدة على مكان مهيب ومقدس عند كل المخلصين العرب وأغلب المسلمين الواعين سياسياً ، في مرحلة محمد مرسي الشخصية الإخوانية على مرقد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، من ناحية أخرى .**

إذ وردت المعلومات التالية بصدد هذه القضية على لسان أحد أنجال الرئيس الفقيه ، وهو المهندس عبد الحكيم جمال عبد الناصر على الشكل التالي : "اتصلت رئاسة الجمهورية بمندوبيها في الضريح منذ عشرة أيام لإخباره ، أنه من اليوم فإنّ الضريح لن يكون له أي صلة برياسة الجمهورية ، وأنه مسؤولة وزارة الدفاع فقط ، وإن على عامل النظافة الموجود بالضريح عدم الذهاب إلى الضريح وأن الرئاسة ستسحب أي أشياء لها بالضريح ، وبالفعل تم اليوم إرسال لجنة من رئاسة الجمهورية وأخذت المكتب الموجود

بمدخل الضريح والكراسي الملحقة به. وقد تم إستبداله بمكتب خاص به فوراً ومش عايزين حاجة منهم" ، [12] .

يبدو أن الضغط النفسي عند الرئيس السيد محمد مرسي ، وربما النصائح الإخوانية أيضاً [التي قد تكون مفروضة عليهم] ، كانت وراء هذا الإجراء غير المبرر في الوقت الذي تتراكم فيه المشكلات السياسية الملحة ، وربما يغفل البعض حقيقة الغل المستديم لدى قادة الإخوان على الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً ودوراً سياسياً ، فلقد سبق لهم أن طالبوا الرئيس السيد أنور السادات وكذلك إشتراطوا عليه ، كما ذكر ذلك الأستاذ محمد حسنين هيكل في أحد كتبه : خريف الغضب، أن الإخوان المسلمين ناشدوه : "بسحب الحرس الجمهوري من على ضريح جمال عبد الناصر لكي يستمر التعاون معه" ، واليوم يتواصلون مع رؤيتهم السياسية الحاقدة تلك .

في الحقيقة إنَّ الرئيس محمد مرسي يتعامل مع هذه القضية بالذات بإعتباره رئيساً لحزب الإخوان وليس رئيساً لجمهورية مصر التي بلغت في عهد الرئيس الفقيد جمال عبدالناصر أوج دورها السياسي، المادي والمعنوي، ليس على الصعيد الوطني المصري فحسب، بل على الصعيد العربي والإقليمي والعالم ثالثي، والعالمي أيضاً .

ووفقاً لرؤية الأستاذ حسنين كروم الوطني المصري والقومي العربي والمثقف البارز ، التي سطرها في صحيفة "القدس العربي" الصادرة بتاريخ 19 / 12 / 2012 ، إنَّ مرسي يحب أن يتخيل نفسه في مكان خالد الذكر (أي الرئيس جمال عبد الناصر) والذي يجده في كل مكان يذهب إليه ، في دول أفريقيا وآسيا ، وفي مؤتمرات عدم الإنحياز في طهران وفي إجتماعاته مع قادة دول أفريقيا ، ثم شعبيته الكاسحة داخل مصر حتى الآن ، والتي غطت كل مَنْ خلفوه ، وهو منهم" ، لذا إرتأى توجيه نيران رئاسته عليه من أجل محو الذاكرة السياسية المفروضة عند جميع المصريين والعرب .

حسناً فعلت رئاسة الجمهورية المصرية المنتخبة التي يقودها السيد محمد مرسي ، التي مارست دورها السياسي بشكل سري وملتبس وغامض ، فالظلام والظلمة والأزمات البنيوية والتشرذم ، من الناحية الأولى ، والنور التنويري والوحدة الوطنية الراسخة والتطور الداخلي المتواصل ، من الناحية الثانية ، لا يجتمعان في مكان واحد ، والشروق الناصري المتعدد الجوانب يختلف في الجوهر والتفاصيل والمرامي ، من الجهة الأولى ، مع الغروب الساداتي الذي كبّل مصر بالاتفاقيات السياسية المذلة ، من الجهة الثانية ، والصعود القومي التحرري الفياض بالنشاط والاندفاع الثوري العربي والعالم ثالثي ، أولاً ، يتناقض والهبوط الفظيع والتقهقر المروع الذي شمل الوطن العربي برمته بما فيها الواقع المصري ، وعلى كل الصُّعد ، ثانياً .

وفي أية حال إنَّ الحقد السياسي والغِل التاريخي غير المقدسين لا يمكنهما رسم أية معالم سياسية للمستقبل المصري أو العربي المطلوبين . . . المستقبل المشرق والوضاء . سواء

أكان هذا الحقد والغل كان ناجماً عن أسباب حقيقية أو عن غيرها ، **ولكنه مناقض لها بالتأكيد** . والمؤسف في أن هذا الإجراء السياسي أنه جاء يتسحب في الظلام حاملاً شبهة التعتيم والتواري والسرية الذي يثقل كاهل راسمي خطواته السياسية ، وربما أضناه ثقل وطأة الضمير الكالح والأسود كثمن مطلوب أمريكياً وإسرائيلياً لتقديمه للأطراف المعنية على طبقٍ من المراتر كلها .

**والغريب إنَّ هذا الإجراء الحقود والتصرف الموتر الذي لا تخطيء الرؤية السياسية النقدية صاحبة أهدافه السياسية البينة . . . العين المصرية والعربية النقدية المتبصرة المدققة في تطورات الأمور السياسية الموضوعية ، يأتي في ظلّ وعي فكري وسياسي متجدد يتجسّد ، مثلما يتبلور ، في الزيارات المتوالية لشباب مصري ، وعربي ، للمرقد بغية قراءة الفاتحة على روح قائد عربي مسلم مخلص وإستلهام ذكرى مساره ونهجه وصدقه وإخلاصه وتواضعه ، [13] ، فقد كرّس حياته وكيانه الشخصي لوطنه المصري ولأُمته العربية ولكل حركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث أو ما يُعرف بحركة عدم الانحياز ، ويشكل كل تلك الممارسات وذلك المسار تعبير الجماهير الأبرز عن حنينهم المتكاثف للمخلص التاريخي المخلص : رمزاً أو حزباً ، برنامجاً أو فكراً ، طليعة أو طبقة ذات أسلوب إنتاج تقدمي ومتقدم .**

## **في ضرورات تجديد الوعي التاريخي**

الوعي السياسي التاريخي يعد إحدى المقدمات الضرورية لنهوض أي شعب وأية أمة ، لاشتقاق دورها السياسي المأمول ، وتنفيذ خطواته العملية الضرورية والمطلوبة ، ولعل ذلك الوعي السياسي الشاخص والراهن يتجلّى بقدوم عشرات الوفود والأشخاص لكي يؤموا ضريح القائد الفقيد ، وتشكل تلك الفعاليات العنوان الأبرز للزيارات الشعبية التي رصد حركتها وعفويتها الكاتب العربي الناصري البارز السيد عبد الحليم قنديل عبر قوله المنشور يوم 20 / 1 / 2013 ، [14] ، "عبر عامين من تاريخ بدء الثورة المصرية الأخيرة، لفت نظر المراقبين ذلك الإقبال الهائل على زيارة ضريح جمال عبد الناصر في منطقة 'كوبري القبة' بالقاهرة ، وهو إقبال عفوي تماماً، لا تنظمه أي جهة أو جماعة أو حزب ناصري، ويمتاز بكثرة غالبية من الشباب الذين ولدوا بعد سنوات طويلة **مضت على رحيل القائد العظيم** ، وتبدو الظاهرة مطردة ، وتصل إلى ذروتها في تواريخ ميلاد عبد الناصر ووفاته وذكرى ثورة 1952 ، وهو ما راجت معه عملية شعبية عفوية تماماً، تعيد طبع صور عبد الناصر ، وترفعها مع علم مصر في مظاهرات الثورة

**المتصلة** ، وعلى خيام الاعتصامات في ميدان التحرير وأمام قصر الرئاسة ، وقبلها، كانت صور عبد الناصر هي الأكثر شيوعاً في مظاهرات الثمانية عشر يوماً التي خلعت مبارك من الحكم ، ولم تظهر وقتها صور لزعيم مصري تاريخي آخر ، **فوق أن أغنيات ميادين الثورة كانت كلها تنتسب إلى عصر عبد الناصر ، وبدأت كأنها تنتسب للحظة الثورة الأخيرة** ، أو أنها كتبت لها بالذات ، ومن نوع أغنية عبد الحليم حافظ الشهيرة 'كلنا كده عايزين صورة' ، والتي هيطلع م الميدان - عمره ما هيبان في الصورة!.

تنطوي الظاهرة على مفارقة لأول وهلة، **فقد اتصلت الحملة الرسمية لتشويه جمال عبد الناصر على مدى أربعة عقود ، ومنذ أن أطلقها السادات عقب حرب 1973 ، وبدأت الحملة المنظمة جاذبة لأطراف من داخل مصر وخارجها ، فقد شارك فيها الراعي الأمريكي لانقلاب السادات فمبارك على خط عبد الناصر ، ومولتها مليارات البترو - دولار ، وعملت في خدمتها قوى وعناصر اليمين الديني واليمين الليبرالي ، وبدأ كأن الكل اجتمعوا على تحطيم صورة عبد الناصر ، ومحوه تماماً من التاريخ المصري والعربي** ، ثم فاجأتهم قوافل صور عبد الناصر في ميادين الغضب ، **تماماً كما فاجأتهم الثورة المصرية الأخيرة** ، والتي تتوالى موجاتها العفوية في عناد وإصرار ، وتكتسح في طريقها كل قوى الثورة المضادة ، سواء التي انتسبت إلى إدارة مبارك مباشرة كمجلس طنطاوي وعنان ، أو التي بدت بعيدة عن إدارة مبارك ، لكنها تحمل ذات الجينات الكارهة لمعنى الثورة الحقيقي ، **وتدعي انتساباً زائفاً للثورة كقيادة جماعة الإخوان ، وتلعب دور 'حصان طروادة' ، وتخون الثورة باسم الثورة** ، وتمتلى حقداً وغلاً ضد جمال عبد الناصر ، وضد ثورة 1952 التي أعادت سيرتها في ثورة 2011 ، **وبذات الأحلام والمطامح في 'العيش والحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية' .!**

وأقرب تفسير لحالة الحنين المتنامي إلى عبد الناصر يبدو ظاهراً جداً، فالثورة المصرية الأخيرة ولدت بلا قيادة مطابقة ، واستدعاء صورة عبد الناصر تعبير رمزي عن الحاجة إلى قيادة ، ولا يوجد في التاريخ المصري الحديث اسم أكثر جدارة من معنى عبد الناصر ، فهو يلخص رحلة كفاح وطني طويلة ، تدافعت على طريقها أسماء وعلامات كأحمد عرابي ومصطفى كامل وسعد زغلول ومصطفى النحاس ، ووجدت تتويجها في ظاهرة عبد الناصر الاستثنائية الفذة ، **والتي كانت خلاصة تطور الوطنية المصرية في ارتباطها الشرطي بالقومية العربية ، وأحدثت قطيعة مع عصور الذل والهوان ، وأزالت صور الاستعمار البريطاني - الفرنسي القديم عن مشرق الأمة**



**ومغربها** ، وفي خلال عشر سنوات فقط على قيام ثورة 1952 ، ثم حولت مصر إلى قلعة حقيقية للنهضة في العالم المعاصر خلال العشر سنوات التالية .

فقد كانت مصر رأساً برأس مع كوريا الجنوبية في معدلات التقدم والتصنيع والاختراق التكنولوجي ، وبعد أربعين سنة من الانقلاب على تجربة عبد الناصر ، **خرجت مصر**

**من سباق العصر بالجملة ، ونزلت من حائق إلى الفالق ، وصارت رأساً**

**برأس - أو قل ذيلاً بذيل - مع بوركينافاسو على مؤشر الفساد الدولي، فوق أن مصر**

عادت إلى القيد الاستعماري من جديد ، واستبدلت الاستعمار الأمريكي الراهن بالاستعمار البريطاني القديم ، وهو الواقع المرير الذي لا يزال قائماً حتى بعد الثورة المصرية الأخيرة ، وتكرسه جماعة الإخوان بعد زوال حكم جماعة مبارك ، وتعمل كوكيل محلي للاستعمار والهيمنة الأمريكية .

وهو ما يفسر الحنين الشعبي المتزايد إلى جمال عبد الناصر ، وهو - في جوهره - حنين إلى نصر الثورة الأخيرة المغدورة ، وميل إلى فهم محنة الثورة بغياب قيادة من طراز جمال عبد الناصر وبالطبع ، فنحن لا نشترى الثورات من السوبر ماركت ، فالثورة التي تناسبنا حدثت وتحدث ، ومتأثرة بأحوال مجتمعاتنا .

وقد ولدت الثورة الأخيرة هكذا ، وبطاقة دفع شعبي تلقائي من آبار الغضب المخزون ، وكان دور المبادرين مفهوماً ، فقد رفعوا الغطاء عن آبار الغضب ، ودون أن تتوافر قيادة مطابقة لفيض غضب تدفق إلى الشارع بملايين الناس ، وهذه سمة ظاهرة في الثورات العربية الحالية ، أقول أنها سمة وليست عيباً بالضرورة ، صحيح أنها تجعل رحلة الثورة أطول وأصعب ، ولا تجعل قطوفها دانية عند طرف الإصبع ، وتجعل احتيال قوى الثورة المضادة على الثورة يبدو أسهل ، ولكن إلى حين .

**فالفجوة متسعة بين طبع طلائع الثورة العفوية وأحوال المجتمع المنهك ، والبروفات الانتخابية الأولى تعكس حال المجتمع المنهك ، وهو ما قد يصيب الثوريين بإحباط مفهوم الدواعي ، لكن هذا الإحباط ذاته ، يعود فيلعب دوره كقوة دفع ثوري بامتياز ، وهكذا تتكرر موجات الثورة ، أي استدعاء الميادين لمدد متجدد من آبار الغضب ، ومع كل دورة يتغير وعي المجتمع المنهك، ويصبح أكثر استعداداً لتقبل فكرة الثورة ، وهو ما يجري مع دورات انتخابات واستفتاءات تالية للتجربة الأولى ، وهكذا إلى أن نصل إلى تقارب فتطابق بين إرادة الثوريين والوعي المضاف لحال المجتمع المنهك ، وقتها تتكون قيادة من نوع مختلف ، قيادة تجتمع أطرافها على كلمة الثورة ، وتحظى بدعم طوعي غلاب من المجتمع المنهك الممزق .**

وعلى طريقة 'إيزيس' في الأسطورة المصرية القديمة ، والتي راحت تجمع أشلاء زوجها وحبيبها 'أوزوريس'، وتصنع منها جسداً واحداً متحداً، تعيد إليه الحياة ، وتحمل منه لتلد 'حورس' رمز مصر الجديدة ، وتلك سيرة تختلف عن سيرة وتكون قيادة جمال عبد

الناصر ، لكنها تحمل ذات المعنى والمغزى الكامن في ظاهرة الاستدعاء الشعوري لجمال عبد الناصر ، والتسابق إلى زيارة ضريحه" .

**فهل يمكن إختصار أو إختزال تلك الظاهرة السياسية المضينة بكمشة من الإجراءات التنظيمية المريبة والأقوال الناعية لعقد الستينات الذي وفرت ظروفها كمنجز تاريخي لعائلة محمد مرسى الناحية المادية والثقافية ، كي يصير مرسياً الرئيس ؟ ! .**

بإختصار شديد ، إنَّ الرئيس الفقيد جمال عبد الناصر هو التكتيف القيادي الأبرز لنهج سياسي وثورى متصادم مع العدو الأجنبي الإستعماري والإمبريالي ورؤيته السياسية العالمية ، القائد الفذ العالمى والإقليمي والعربي والمحلي ، والباني الأبرز لنهضة مصر الحديثة .

وإذا كان كيان الإغتصاب الصهيوني هو العدو الأبرز والراهن وهو النقيض الأساسى للحركة القومية العربية الحديثة ، يُعد التجلي الأبرز للعدوان على الأمة العربية ، باعتبارها المعطي التاريخي المشترك للوطن العربي الذي أخضعه الإستعمار البريطانى الفرنسى للتجزئة السياسية ووسم حركة تطوره ، بالأساس ، بالتخلف السياسى ، وأنشأ مخالبا للكيان فى نسيج جسمه الحي ، فكيف كانت نظرة الإخوان للمكون الإجتماعى الذى ساعد على لملمة أشعائه المتناقضة البريطانىون فى فلسطين من أجل توفير الشروط السياسية لتنفيذ مفردات مشروع وعد بلفور منذ العام 1917 ، بتهجير اليهود واليهود الصهاينة من كل أصقاع العالم ، والعمل حثيثاً على تأسيس الكيان ؟ .

لنقرأ ما جاء من إفتراء جلي بهذا الصدد على لسان الشخص المتنفذ فى حزب الإخوان المسلمين ، ونائب رئيس ما يُسمى بحزب العدالة والتنمية الذراع السياسى للإخوان المسلمين وهو السيد عصام العريان الذى يقول : "إنَّ جمال عبد الناصر مسؤول عن ضرورة تهجير اليهود المصريين إلى إسرائيل" ، بل "طردهم" ، قبل أن يقترح عودتهم إلى مصر بإعتباره حقاً لهم ، وما ينطوي عليه ذلك بحقوقهم بالتعويضات المالية المزعومة .

فضلاً عن كونه تصريح يجرّد من خلاله الطبيعة العنصرية للمشروع الصهيونى الذى صنعه الغرب لأهداف سياسية إستراتيجية تتعلق بالوطن العربى ومصر وقناة السويس بالذات ، إحدى الجواهر الأساسىة فى التاج البريطانى الإستعماري منها على وجه التحديد فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ، وأنَّ عمليات تهجير اليهود قد تمت من العراق ومصر خصوصاً على خلفية التفجيرات الصهيونية الإرهابية فى كل من البلدين والتي طالت المؤسسات اليهودية والممتلكات الخاصة لهم وأماكن تجمعاتهم ، يقول موقع " الإخوان كاذبون" التالى : كما ذكرت ذلك وكالات الأنباء ذلك ، لقد تم تفجير أغلب المرافق اليهودية فى البلدين ، وفى 23 سبتمبر 1948 تم نسف محلات عدس وبنزاويون بمصر ، فى العام فى أغسطس 1948 تم نسف شركة الإعلانات الشرقىة ، ونسف سينما ميامى بمناسبة عيد جلوس فاروق على العرش ، وفى 6 مايو 1946، تم النسف و

التفجيرات الأخرى ، منها سينما مترو.. وسينما الكوزمو.. وسينما ميتربول 6 مايو 1947 ، بالإضافة إلى بعض المؤسسات اليهودية المهمة" .

وفي نطاق ذلك أيضاً ، تقول الشخصية المؤسسة لكيان الإغتناب الصهيوني ديفيد بنغوريون لما أسماه بدولة إسرائيل بأننا وبما ما معناه : "لم نكن نحلم أن يهاجر يهود مصر إلى إسرائيل لولا التفجيرات التي حدثت لمحلاتهم ومنشأتهم ومصالحهم وأماكن تواجدهم ، خصوصاً بعد رفضهم الهجرة كأشخاص وأسر وترحيل أموالهم إلى إسرائيل التي لعبت دوراً مساعداً في قيام ونجاح إقتصاد إسرائيل" ، وهي عمليات كان بعضها قد نفذ قبل قيام الكيان الصهيوني ، أي في أواسط وأواخر الأربعينات من القرن الماضي ، وكذلك إقترنت العمليات العسكرية الصهيونية التي نفذت غداة الثورة بالمسعى الصهيوني الإسرائيلي لتخريب العلاقات السياسية المصرية الناشئة مع كل من أمريكا وبريطانيا والتي تعرف بفضيحة بنحاس لافون ، [15] .

أما لماذا إتهام الفقيه الرئيس جمال عبد الناصر من قبل السيد عصام العريان : القيادي في حزب الإخوان المسلمين وهو يعرف جيداً التاريخ المصري ، كما أفترض ، وهي إتهامات مزورة وإفتراءات بحتة ، وتفضح القائل بها قبل أن تنتقص من الشخصية العربية البارزة الفقيه الرئيس جمال عبد الناصر ، فتكمن أسبابه أساساً في رغبة حركة الإخوان المسلمين بتقديم الرشاوى السياسية والإعلامية للولايات المتحدة وكيان الإغتناب الصهيوني في المرحلة السياسية الراهنة ، وليس لجهله بالتاريخ وحوادثه ، كما يذهب إلى ذلك الصحفي الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي نطق به في لقائه مع الإعلامية التلفزيونية السيدة لميس الحديدي .

الذي جاء فيه على الوجه التالي : "لميس : ما رأيك في الحديث عن اليهود وعودتهم لمصر ؟ برضه ده حديث للخارج ولآ للداخل ؟ . هيكل : أنا بأ تصور أن الكلام عن اليهود هو صدمة الأمر الواقع أيضاً وليس للداخل أو الخارج وما فيش حاجة اسمها تعويضات لليهود على الإطلاق وده معناه إن من يتحدثون عن هذه القضايا لا يعرفون عنها شيئاً ولا نعلم عنها أو ندرسها ونفسي الناس اللي بيتكلموا عن الموضوع ده يجيبوا الوثائق لعملية لافون واللى شارك فيها يهود مصريين وأحب أقولك **لا يوجد ما يسمى**

**تعويضات** اليهود ، الجالية اليهودية كانوا 60 ألف واحد سنة 47 وكل الأغنياء فيهم حملوا جنسيات مختلفة انجليزية وسويسرية وفرنسية وبلجيكيين بينهم 12 عائلة اقتصادية كبيرة مثل بنزاويون وصيدناوى ومزراحي وغيرهم والأثرياء من اليهود المصريين حصلوا على جنسيات أخرى ، وذلك للحصول على الامتيازات الأجنبية قبل الثورة . ولما جه التأميم دخلت املاك اليهود فى التعويضات الفرنسية الانجليزية السويسرية البلجيكية وبعض اليهود رحلوا بعد حرب فلسطين والبعض بعد حريق القاهرة 52 ولما قامت الثورة كانوا بيستخدموا في شبكات وتنظيمات ضد مصر . لميس : الحديث عن اليهود هل هو غزل إخواني لواشنطن أو تل أبيب ؟ . هيكل : هي "صيحة من لا يعرف" ، أنا بأوصفه كده انه جزء من حالة عدم المعرفة" ، [16] .

لم يكن العريان في حالة سديمية أو جزءاً من حالة الضياع وعدم المعرفة ، فهو القائد الأساسي المفكر في حزب الإخوان المسلمين ، وأحد أبرز راسمي ومنفذي سياسته ، الأمر الذي يجعل من رأي الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل جانباً للصواب ، يتبدى ذلك من خلال رؤيته السياسية الشاملة لآفاق الصراع في المنطقة العربية ، التي جاء فيها - وفقاً لتصريحه الرسمي في صحيفة الحياة اللندنية الذي نص فيه على القول التالي : "إن الإخوان إن وصلوا للحكم سيعترفون بإسرائيل وستتزمون باتفاقيات السلام معها . قال العريان نفس الكلام الذي كان مطلوباً منه والذي تلقى التعليمات بشأنه من الخطاب المجهول الذي وصل للإخوان من شخصية إخوانية مجهولة تعمل في الخفاء مع الإدارة الأمريكية ؛ ولأن هذا التصريح نُشِرَت الحياة في عيد الفطر المبارك لم ينتبه له أحد إلا أن عصام سلطان نائب رئيس حزب الوسط كشف عنه ونشره وهاجم العريان بسببه" ، [17] .

هل كان الرأي السياسي الواضح والتصريح للدكتور عصام العريان مجرد نبت شيطاني له خارج عن السياق العام للرؤية السياسية لحزب الإخوان المسلمين ، أم كان جزءاً من خطة سياسية أشمل وحلقة أساسية في منظومة متكاملة يحرص القادة الأساسيون لحزب الإخوان والتنظيم القطبي على تعميمها رويداً رويداً لدى أنصارهم ومحازبيهم وأتباعهم ، تقول رسالة "اللهو الخفي" المرسلة إلى خيرت الشاطر من واشنطن التالي : "

Dear B

السلام عليكم ورحمة الله .

تحياتي وأشواقي لجميع الأخوة ، وبعد .

كانت الجهود التي بذلها دكتور برونلي أثراً طيباً في تقريب وجهات النظر إلى حد كبير إلا أنه ما زالت بعض الاختلافات في وجهات النظر ، وقد ظهر لي أن مستر إيرلي متعنتاً إلا أنني أوضحت للإصدقاء الآتي :

- 1 - لن نغير خريطة المنطقة السياسية .
  - 2 - نتعهد بالحفاظ على كل المعاهدات والاتفاقيات (أبدى الأصدقاء سعادتهم بتصريحات المرشد عن إسرائيل وقالوا عنه (He is a respectable man) : ) .
  - 3 - نقبل وجود إسرائيل في المنطقة ( وقالوا أنه ينبغي ألا ننظر إلى إسرائيل كما تنظر الحكومة إلينا فلا هي محظورة ولا نحن محظورون) .
  - 4 - أوضحت لهم إصرارنا على أن تقوم الإدارة الأمريكية بدعم التحول الديمقراطي بالمنطقة وقد ظهر لهم من نتائج المرحلة الأولى أننا أصحاب الرصيد الجماهيري .
- وقد أوضح الأصدقاء :

- 1 - سعادتهم بجرأتنا في تناول قضية الحوار مع أمريكا وأنَّ التناول كان واقعياً إلا أنهم أبدوا استيائهم من مسألة أن الحوار ينبغي أن يتم عبر وزارة الخارجية المصرية ، وقالوا : إننا ينبغي أن نتخلص من هذه النغمة .

- 2 - أوصوا بطرح مسألة الحوار مع أمريكا على أوسع نطاق حتى تصبح أمراً واقعياً ، وقتها لن يبحث الناس عن شرعية الحوار ولكنهم سيبحثون عن نتائج الحوار .
  - 3 - يجب أن يقدم الإخوان الحزب وأن يكون هذا في خلال عام ، وسيمارس الأصدقاء ضغوطاً على الحكومة للموافقة عليه .
  - 4 - تدعيم الحوار مع الحزب الوطني والتنسيق معه في القضايا الكلية ولا مانع من الاختلاف في الفرعيات .
  - 5 - ضرورة الحفاظ على الكيان الحاكم وعدم خلخلته دستورياً أو شعبياً وعدم المساعدة في أي تجمع يسعى إلى إحداث خلخلة في النظام .
- وينتظر الأصدقاء سفر د . العريان إلى بيروت في النصف الأول من ديسمبر لإكمال الحوار وإن لم يتم سيحضر إليكم صحفي أمريكي وسيقدم نفسه تحت اسم "جون تروتر" بوكالة " S . O . M " مطلوب أن يجلس مع الشاطر وعزت .
- حامل الخطاب الأخ حسان وهو من السودان .
- أرجو عدم الثقة بأي شخص من CATR والسلام عليكم ورحمة الله .

أخوكم

H . a

[18]

للبحث صلة ...

---

## المراجع والهوامش

[10] - راجع كتاب العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية ، تأليف الدكتور المهندس أحمد سوسة ، الطبعة السابعة الصادرة عن العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق / سوريا ، دون تاريخ . في الفصل الثامن والمعنون فلسطين في الخطط الإستعمارية - مقررات مؤتمر كامبل بانرمان لسنة 1905 أو مؤتمر لندن ، القسم الخامس ، الذي يبتديء من الصفحة 725 وحتى الصفحة 731 ، يورد العالم الكبير المرحوم الدكتور أحمد سوسة نص البرنامج السياسي لأوروبا الغربية تجاه الوطن العربي ، ونص تقرير المؤتمر و"المؤلف من مشاهير المؤرخين وكبار علماء الاجتماع والجغرافية والاقتصاد والتاريخ والنفط والزراعة والاستعمار في دول الاتحاد الأوروبي ، التي عازمت على "تشكيل جبهة إستعمارية موحدة من الدول ذات المصالح المتوافقة في العالم آنذاك ، وهي : بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وأسبانيا ، والعديد من المفكرين الإستراتيجيين ، مثلما حضره البروفيسور جيمس جيمس مؤلف كتاب البحوث التاريخية المشهورة وزوال الإمبراطورية الرومانية ، ولوي مادلين الأستاذ في السوربون ومؤلف كتاب نشوء وزوال إمبراطورية نابليون ، وليستر الأستاذ في جامعة لندن ، ولتسنخ ، وسميث ، ودرننج ، وزهروف وغيرهم ، من مشاهير العلماء والأساتذة ، ص 737 - 728 ، وأكد العلماء المؤتمرون على حقيقة كون الشعب العربي الواحد والأمة الواحدة غير النص التالي الذي أمكن الإطلاع عليه - كما يرد ذلك في الكتاب الضخم المؤلف من 1014 صفحة ، وعلى الصفحة 730 - "إنَّ الخطر ضد الإستعمار في آسيا وأفريقيا ضئيل ، ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط ، وهذا البحر هو همزة الوصل بين الغرب والشرق ، وحوضه مهد الأديان والحضارات ، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوحه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط ، وهذا فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية ، فماذا تكون النتيجة لو نقلت إلى هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانات الثورة الصناعية الأوروبية ، وانتشر التعليم فيها وارتفعت الثقافة ؟! إذا حدث ما سلف فستحل الضربة لقاصمة حتماً بالاستعمار الغربي" ، ومن ثم يقترح برنامجاً للحفاظ على التخلف وتمزيق المنطقة وإقامة حاجز بشري يفصل المشرق العربي عن المغرب العربي ، قوي وغريب . . . قوة صديقة للإستعمار وعدة لسكان المنطقة" ، ص 731 . فالوعي عند المستعمرين نشأ على أساس معلومات ملموسة ، إذن فالعروبة والكفاح من أجل التكتيل والوحدة العربية لها علاقة بالمستقبل كضرورة سياسية ، إذ هي تصور لمشروع سياسي عربي تستطيع من خلاله جماهير أمتنا العربية مواجهة الرؤية السياسية الغربية ومشاريعها للهيمنة على المنطقة ، قبل أي اعتبار آخر .

[11] - لمراجعة تاريخية للحقبة الناصرية التي نقلت مصر من الواقع المتدهور إلى الواقع المتقدم ، بالوقائع والأرقام والمعلومات التوثيقية ، لا إعتماذا على التخيلات المتعسفة والتصورات الأيديولوجية ، يرجى مراجعة كتاب الصحفي اللامع والمؤلف القدير الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون لمصر لا لعبد الناصر الذي أصدرته دار الشروق المصرية ، فبين جنباته مسح شامل ومكثف لوقائع المنجزات المصرية في ظل نظام الرئيس جمال عبد

الناصر . راجع الكتاب في إصدار جديد لمناسبة خاصة ، الطبعة الأولى - 2003 ، القاهرة - مصر .

[12] - كما نقله موقع البصرة يوم الأحد 15 ربيع الأول 1434 / 27 كانون الثاني 2013 .

[13] - وعلى سبيل المثال ، فإنّ المعلومات التالية تدلّ على التالي : بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر تواضع الرئيس وأمانته وصدقه ، إذ قامت الأجهزة الرسمية بحصر أمواله ، وممتلكاته كما قامت بالبحث عن أموال باسمه في الخارج فلم تجد شيئاً وسجلت الحقائق التالية :

## تفاصيل ثروة وممتلكات رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر حسين سلطان :

- مرتبه الشهري 500 جنيه.

- بدل التمثيل 125 جنيه.

- الإجمالي 625 جنيه .

- الصافي الذي يتقاضاه 395 جنيها و60 قرشا و7 مليم .

**ثروته يوم وفاته في 28 سبتمبر 1970 كانت كالآتي :**

- 3718.273 جنيه مصري في حسابه رقم 99 64226 بنك مصر.

- 200 سهم شركة كيما .

- سند واحد بنك عقاري .

- 600 جنيه شهادات استثمار .

- 10 أسهم في بنك الإتحاد التجاري .

- 100 سهم في الشركة القومية للأسمنت .

- 30 سندات تأمين .

- 100 جنيه قرض إنتاج .

- 18.70 جنيه أسهم في شركة النصر لصناعة أقلام الرصاص .

- شهادات استثمار بمبلغ 600 جنيه في شركة الحديد والصلب .

**أغلب قيمة هذه الأسهم رمزية .**

- وثيقة تأمين على الحياة - قوات مسلحة - 1500 جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة - الشرق للتأمين - 1000 جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة - مصر للتأمين - 1000 جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة - الأهلية للتأمين - 2500 جنيه.

- وثيقة تأمين على الحياة - القاهرة للتأمين - 2500 جنيه.

- سيارة أوستين - التي كان يمتلكها قبل الثورة .

**أما ممتلكاته الشخصية فقد قامت رئاسة الجمهورية بحصرها بعد**

**الوفاة في سجلات رسمية وكانت كما يلي :**

- ثمانية أزواج أهدية.
- ثلاث ماكينات كاميرا للتصوير.
- آلة عرض سينما.
- عشرة بدل ومجموعة كرافات.

- وتضمن التسجيل أن عبد الناصر استبدل من معاشه الشهري مبلغ 35 جنيهاً (بما يعادل 3500 جنيهاً) لتجهيز زيجات ابنتيه، وكان في جيبه يوم رحيله يوم 28 سبتمبر 1970 مبلغ 84 جنيهاً وترك الدنيا وأسرته لا تملك مسكناً خاصاً وليس لزوجته دخل خاص غير معاشها من زوجها الراحل ..

**هذه هي كل ثروة الرجل الذي قاد الثورة وحكم مصر 18 عام . المصدر المواقع الإلكترونية . وللتذكير فقط ، إنَّ إحدى البدلات التي تخص الرئيس السابق قد جرى تطريزها بحروف تحمل اسمه ومكونة من خيوط نوعية بالغة الثمن وصلت إلى 16 ألف دولار .**

ومما له دلالة على تواضعه التجربة التالية : عشية رحيله الأبدى حضر الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمر القمة العربي ، وخصص لكل وفد رئاسي طابقاً ، و"قال الرئيس أنه جائع وسأل : هيكل . . . أتظن أن الطعام هنا في الهيلتون مختلف عن الطعام الذي أكله في البيت ؟ قلت : المسألة تتوقف . . ما الذي ستطلبه قال أنه يريد بعض السندويشات وأرسل في استدعاء سفرجي عاد بنوع "سندويشات" الجبن الأبيض نفسه الموجود في بيت عبد الناصر وكان التفسير لذلك أن دواعي الأمن استدعت إحلال طهارة الرؤساء الخصوصيين محل طهارة فندق هيلتون وعمال مطبخه وقلت لعبد الناصر أن هذا ليس نوع الطلب الذي يجب أن يُطلب في فندق كالهيلتون فقال وماذا يطلب الناس في الهيلتون عادة ؟ فقلت عادة في منتصف النهار لا يطلبون سندويشات جبن ربما طلبوا كانبيه ، قطع صغيرة من الخبز المستطيل بالسالمون المدخن وأضفت ضاحكاً ومداعباً وربما بعض المارتيني .

فقال : المارتيني ، ألا يخشون أن يكون ذلك سبباً في دخولهم النار في الآخرة ؟ وقلت أنهم يعتقدون في أن الله غفور رحيم وإنَّ المهم هو تصرفات الإنسان وسكت عبد الناصر لحظة ثم سأل فجأة سؤالاً غريباً عدت إلى تذكره كثيراً في ما بعد : هل أنت مؤمن ؟ فقلت أجل ، وبالقطة أنا مؤمن فسأل : إذن قل لي . . ماذا بعد الموت ؟ . راجع كتاب الطريق إلى رمضان ، محمد حسنين هيكل ، دار النهار بيروت ، دون ذكر للتاريخ ، أو ذكر لعدد الطبعة ، ص 111 - 112 .

- وبالنسبة للمعلومات حول ثروته ، نقلاً عن موقع القومي العربي المؤرخ في يوم [14] .  
الأحد 20 / 1 / 2003 .

[15] - يتصور الدكتور عصام العريان أن الدعاية السياسية قادرة على تغييب الذاكرة السياسية التاريخية للمصريين المحفوظة في بطون الكتب السياسية الصهيونية قبل الكتب التاريخية المصرية والعربية ، والتي جاء فيها : "إنَّ بنحاس لافون هو رجل نحيف ، فطن



ومنتبه الذهن ، وشعره شاب قبل الأوان ، كان وزيراً للزراعة قبل تكليفه بحقيبة وزارة الدفاع المحطة الأكثر حساسية ودقة في الكيان الإسرائيلي ، وجرّت مشادات عنيفة كانت متوقعة حول تكليف لافون بهذا المنصب في حكومة موشية شاريت ، لأنّ الرجلين كانا مختلفي الرأي حول المسلك السياسي تجاه جيرانهم العرب ، أما شاريت الذي تربى في قرية عربية فقد كان يفكر بإمكانية الوصول إلى الصلح عن طريق المفاوضات ، بينما لافون الذي كان مقر إلى بن غوريون ، فكان يفكر بأنّ الأمن يتوقف على قدرة الدولة بأنّ أي هجوم على الكيان الإسرائيلي سيكلف غالياً جداً أكثر كلفة مما كان في البدء . وفي عام 1954 ، اضطر (لافون) إلى مجابهة مسألة عاجلة دعت له لطلب مساعدة بنيامين جيفلي رئيس مصلحة المخابرات العسكرية الإسرائيلية ، وملخص هذه المسألة هو أنّ بريطانيا ومصر إتفقتا على خطة انسحاب القوات الانكليزية من مصر ، فكيف يمكن لإسرائيل أن تعرقل ذلك ؟ غير أنه بالنسبة للافون ، فإنّ انسحاب القوات البريطانية من منطقة القتال سيزيل مصداً رئيساً بين المصريين والكيان الإسرائيلي ، لأنّ المواقع العسكرية ستسلم إلى الجيش المصري ، والأسوأ من ذلك أنّ مصر قد تطالب بالمساعدة العسكرية من أمريكا ، ولذلك يضيف لافون يجب التصرف بسرعة ، عندئذٍ عرض (جيفلي) القيام بعملية سرية تتلخص باستخدام الوحدة المغروسة في قلب قطاع مصري منذ أربع سنوات ، إنها الوحدة 131 ، التي أنشئت بعد أن عين لها شاب فتي يدعى (إبراهيم دار) كمعتمد نشيط ، كلفته بتجنيد اليهود المصريين وإعدادهم ليكونوا جاهزين للقيام بمهمة خلف خطوط العدو . ثم يضيف قائلاً : أعطيت الأوامر إلى (دار) بالذهاب إلى مصر لتنظيم خيرة شباب اليهود فيها ، ثم نعمل على مجيئهم إلى إسرائيل لتدريبهم وسنعيدهم إلى مصر ، بعد أن ينفذوا مهمته في الزمن المناسب ، وهذه المهمة لا تخيف (إبراهيم دار) الذي كان يعمل سابقاً في الوحدة البحرية (بالمخ) التي سبق لها أن هربت إلى الكيان الإسرائيلي مهاجرين يهود عبر الحصار البريطاني ، لأنّ مظهره الغربي ، وإتقانه اللغة العربية تسهل له تنفيذ المهمة ، فسافر إلى مصر في نيسان عام 1950 ، تحت الاسم المستعار (جون دارلنغ) لانتقاء متطوعين من بين الشباب الصهيوني في القاهرة والإسكندرية ، ويقول مارسيل نينو الشاب اليهودي المصري الرياضي بعد لقائه مع (دار) كان لي من العمر عشرون سنة ، كنت بسيطاً مثالياً ومعجباً بالكيان الإسرائيلي ، وكان بالنسبة لنا كل ما نقوم به إسرائيل وكأنه من فعل الآلهة ، وكنت على استعداد بأن أقوم بكل عمل لمساعدة إسرائيل ، وعلى أثر ذلك أصبح نينو (أمين الوحدة) ، وقد نجح (دار) بتجنيد إثني عشر من الشبان اليهود ، وعلمهم أسرار العمل ، وفي هذا المجال يقول (روبرت داسا) متذكراً ما تم من حبّ وتحريض في هذه المرحلة الأساسية : لقد استأجرنا كوخاً على شاطئ الإسكندرية ، ونفذنا تجارب بواسطة غلب الفيم (سائل التعقيم) لمعرفة مقدار الوقت الذي يستدعيه الخليط المتفجر لينطلق ناراً ، وبأقصى السرعة تمكنت الوحدة من إيجاد الطريقة لصناعة القنابل المحرقة مع الوسائل الواقية ، وقد استخدمت ضمن توقيت بحيث لا يشتعل الأسيد إلا بعد تمزق العصاره ، ثم يضيف (دار) : عندما علمت أفراد الوحدة على استخدام آلة الاشتعال والوقاية والأسيد ، جربنا ذلك خلال مرات عديدة في غرفة الحمام ، ولكن كنا بحاجة إلى المياه للتنظيف ، فأرسل (داسا) فيما بعد فتاة للتنظيف بواسطة سطول المياه التي عندما شاهدت كمية الواقيات التي يمكن استخدامها قالت لداسا : (آه يا لك من رجل) . بعد أن اقترح (جيفلي) استخدام الوحدة 131 ، التقى كل من لافون وجيفلي ، وحول ذلك

يقول جيفلي : تمّ الاجتماع في بيت لافون وسط (تل أبيب) ، وتحدثنا عن انسحاب البريطانيين من مصر ، وعندها قال لافون : **ما أرغبه هو تنشيط وتفعيل وحدتنا في مصر . وخلال نقاشنا وضعنا خطة للضرب بالسهم ، قد تكون عرقلة سينتج عنها هذفان ، في بادئ الأمر إذا استخدمنا السهم الأمريكية سنتمكن من تعطيل العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، ثم إذا استخدمنا هذه السهم ضد بريطانيا ستؤجل انسحابها وتشيع عدم الاستقرار** ، وكل ما يخافه الإسرائيليون سيتلاشى أو يعرقل تنفيذه ، ونتيجة لقاء لافون - جيفلي لم يبق سوى إطلاق الإشارة لحث فريق التخريب . لقد تلقينا برقية مكتوبة بالحبر السري ، كما يقول (روبرت داسا) الذي أعلمنا عن وصول معتمد في نهاية حزيران ، وفي ذلك الوقت ، رئيس خليتنا : في أي وقت ترغبون أن نبدأ ؟ فأجاب : غداً ، غير أننا لم نفهم سبب هذه العجالة " ، وهناك تفاصيل العمليات التخريبية الإرهابية التي تمت مذكورة بشكل تفصيلي خلال الصفحات التالية ، [عن كتاب إسرائيل والعرب : حرب الخمسين عاماً ، تأليف أهرون بريغمان ، جيهان الطهري ، ترجمة سالم سليمان العيسى ، إصدار دار الأوانل ، الطبعة الثانية 2004 ، دمشق / سوريا ، ص 55 ، 56 ، 57 " .

[16] - بالاعتماد على جهاز الإنترنت ، إذ أن المقطع المستشهد به ، هو جزء من مقابلة تلفزيونية مطولة .

[17] - راجع كتاب الأستاذ ثروت الخرباوي المعنون بسر المعبد : الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين ، الطبعة العاشرة ، إصدار دار نهضة مصر للنشر ، القاهرة / جمهورية مصر العربية ، ص 140 .

[18] - المصدر السابق ، ص 138 - 139 . تجدر الإشارة إلى صورة طبق الأصل ومكتوبة بخط اليد ، قد نُشرت على الصفحات 242 ، 243 ، 244 ، 245 . من الكتاب ذاته .

## إنطلاقاً من عيون عربية

### - 5 -

## المهمة الأساسية لقيادة وكوادر حزب الإخوان المسلمين

## على ضوء الظروف الموضوعية للتطورات المصرية

### الحلقة الخامسة والأخيرة

غداة إنتفاضة 1919 المعروفة بثورة سعد زغلول الشعبية العارمة ضد الإستعمار البريطاني التي إنطلقت تحت شعار "الاستقلال التام أو الموت الزؤام" ، والذي قادها حزب الوفد المصري المفوض من قبل الجماهير الشعبية الواسعة ، بقيادة رئيس الوزراء ، الوطني البارز ، خلال تلك المرحلة التاريخية وهو السيد سعد زغلول ، للتفاوض مع المستعمرين البريطانيين ، تجلت الوحدة الشعبية الوطنية المصرية بشكل باهر .

وكان واضحاً أنَّ شعار الثورة ومكوناته الاجتماعية تتألف ، أساساً ، من "وحدة الهلال والصليب" في كناية عن وحدة كل المسلمين وأغلبية الأقباط المسيحيين . لقد أخذ المستعمرون البريطانيون بالواقع السياسي الجديد على حين غرة ، والمتمثل بالوحدة الوطنية الصلبة ، وبأدت مخططاتهم الكولونيالية المباشرة بالفشل ، وهي مخططات قائمة على أساس سياسي جوهره تكتيك : "فرق تسد" ، فقبلوا طأطأة طموحاتهم السياسية مؤقتاً ، بانتظار نضوج الظروف السياسية الموضوعية لتفتت الوحدة الوطنية العظيمة للشعب المصري . ولم تنقض قرابة العقد من السنوات حتى وادت الظروف السياسية المناسبة لإستثمار قيام حركة الإخوان المسلمين بتلك المهمة الحيوية في بدء إحداث الإنقسام العمودي بين قوى الشعب المصري .

بغض النظر عما تردد عن التمويل الأجنبي البريطاني للتنظيم الإخواني أو شركة قناة السويس ، المرتكز الأساس الإستراتيجي للوجود البريطاني / الفرنسي في مصر ، بذريعة ما قاله المرشد المؤسس حسن البنا : "هذا ماننا لا مال الخواجات ، والقناة قناتنا ، والبحر بحرنا ، والأرض أرضنا ، وهؤلاء غاصبون في غفلة من الزمن" ، وبالتجاهل المتعمد عما أورده الكاتب الكبير عباس محمود العقاد حول أرومة أسرة القائد المؤسس ومجئ عميدها الأسبق إلى مصر من المغرب ، [ 19 ] ،

وتجاوزاً لما ذكره الشيخ محمد الغزالي عن الإخوان وقيادتهم ، وأستشهد بتلك الأقوال منسوبة للقيادي الإخواني ثروت الخرباوي في حديثه المتلفز لفضائية العربية ، وتأكيدات الكاتب القيادي في حركة الإخوان المسلمين المستقل السيد ثروت الخرباوي حول علاقات حركة الإخوان بالمنظمات الماسونية مستدلاً على ذلك باستخدامهما للألفاظ المشتركة والتشابه بالتعبيرات التنظيمية ، وغيرهم الكثير ، حول شبهات النشأة التاريخية للتنظيم والشكوك والظنون التي تحوم حول شخصية المؤسس ، والتسهيلات البريطانية التي واجهها المؤتمر الأول لحزب الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية . . . بغض النظر عن كل ذلك ، فإن ما أفرزه الواقع هو قيام منظمات سياسية وإجتماعية قائمة على أساس الاعتقاد الأيديولوجي المرتبط بالماضي البعيد وهو الدين الإسلامي .

ويتبدى ذلك جلياً فيما نسب للمؤسس حسن البنا تعريفه لاحقاً لحركة الإخوان المسلمين بـ : "إنها دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية وثقافية وشركة اقتصادية وفكرة إجتماعية" ، وواضح أنها تجمع لعدة مفاهيم إنتظمت ممارسات وظواهر المراحل التاريخية المختلفة لتطورات الدين الإسلامي بمختلف مذاهبه ومدارسه الفكرية المتنوعة ، وخصوصاً في العصر العباسي ، أي عدم مواجهة الموقف السياسي لما هو ملموس والذي يتجلى بالواقع السياسي الملموس القائم آنذاك الذي كان الواقع الإستعماري الأوربي قد كلل ثقله على مصر وسادت ظلاماته على المجتمع المصري ، فضلاً عن كونها : كأفكار ومفاهيم وتحليلات "تسحق كل ما في العقل من قدرة على الفهم والإدراك" ، [20] ، والإستشراف المستقبلي والتبصر بالاحتمالات المتوقعة ، و"تحول بين العقل وبين العلم والتطور ، وبنفس الوقت تقف في وجه أي وحدة وطنية حقيقية قد تشكل خطراً على" ، [21] ، الوجود الأجنبي الإستعماري ، على الرغم من مزاعم الإخوان القائلة غداة التأسيس ، إن "الإسلام دين ودولة ، مصحف وسيف ، مسجد ومدرسة ، قانون وآداب ، عدالة وإخاء ، دنيا وآخرة" ، وهو ما يفترض الجهاد في سبيل الله والعمل على تحرير الوطن من القوى الأوربية المستعمرة للبلد ، والسالبة لحرية الوطن في مرحلة الزعم بفرضيات "حق تقرير المصير" وفق الدعايات الإستعمارية الأوربية ، والمتعسفة بحق الشعب في الحرية والعدالة ، والمستغلة لخبراته المختلفة وعلى جميع الصعد ، وروحية المؤمنين الحقيقية الصادقة مع نفسها .

لقد عمل هذا التنظيم على تكريس ذلك الإنقسام السياسي العمودي في المجتمع المصري وترسيخ بناءه في مختلف المجالات ، في مرحلة كان فيه من المفروض فيها ترصين الوحدة الوطنية وتمتينها في مواجهة العدو الإستعماري الخارجي : الأوربيين "الصليبيين" لا تظهيره والتنظير لوجوده ، إذ أقدم حزب الإخوان المسلمون على إتباع خطين تنظيميين متوازيين هما : تأسيس منظمات خاصة بالمسلمين المصريين من دون الالتفات للتكوين الإجتماعي المصري المؤثر بحكم الوعي السياسي المتقدم عند

القسم الثاني من المجتمع المصري وتعدد الخيارات السياسية لدى المجموع الوطني المصري ، والذي كان يتكون من الأقباط المسيحيين والعرب المسلمين الذين اتحدوا في مواجهة المستعمرين البريطانيين في العام 1919 ، كما قلنا سالفاً ، والثاني العمل على إقامة منظمات ثورية مدربة ومسلحة ، من دون تحديد لسقف مهماتها السياسية ، أو كانت تتسم بالغموض على أقل تقدير .

لقد أنشأ حزب الإخوان المسلمين منظمات خاصة بالمرأة والشبان ، بالإضافة للحركة المسماة بالإخوان المسلمين ، وغيرهم من فئات الشعب المصري . وكانت مختلف التنظيمات قائمة على أساس طائفي وليس مرتبطة بالولاء الوطني الاجتماعي العام . وبذلك وضعوا البلاد المصرية على سكة الانقسام العمودي بين المكونات الاجتماعية المصرية ، والذي نرى آثاره اليوم ليس في التكوين الاجتماعي المصري الكلي فقط ، بل أيضاً في تكوين الصفوف المصرية من التيار الإسلامي السياسي . وما استتبع ذلك من إنقسامات سياسية ومذهبية متواصلة ، إذ من المعروف للمتابعين ، إن الإخوان المسلمين قد جعلوا من خط مناهضة ما أسموه بالتبشيرية الصليبية خطهم السياسي الرئيس في المؤتمر الأول الذي انعقد في العام 1933 ، وهو خط أدى إلى بث الروح الطائفية في المجتمع المصري ، حتى وصلنا إلى ما بتنا نسمعه اليوم يتردد على ألسنة البعض المتأسلم المتشدد قوله إن مصر بلد إسلامي ومن لا يعجبه العيش معنا فليرحل ، أي الوصول إلى مرحلة رسم مقدمات الحروب التفتيتية الداخلية بسبب قوام التكوين الاجتماعي القبطي الذي يبلغ أكثر العشرة ملايين مواطن مصري فيهم البعض المعارض لرؤية الأغلبية القبطية ، خصوصاً من المتطرفين المرتبطين بالخارج ، بمن فيهم الأعداد الموتورة الغفيرة ، وربما كانوا مستعدين لتنفيذ أجندة أجنبية معادية للوطن المصري والمجتمع المصري .

وفي المنتصف الثاني من ثلاثينيات القرن الماضي ، وتأثراً بالوضع العالمي خصوصاً التجربة العنصرية الألمانية والإيطالية ، فقد أنشأ المرشد المؤسس حسن البنا ، جهازاً سرياً وصدامياً مسلحاً خاصاً أطلق عليه اسم "كتائب أنصار الله" ، ليتحول اسمه لاحقاً الجهاز الخاص ، وكان نسغ تعليماته المطلقة والتزامه الفكري الشامل يركز على ثلاثة مقومات ، ليس من بينها الإيمان بالقدرة الإلهية ، وإنما : العمل من أجل التنظيم الحديدي اللينيني بلغة السيد جمال البنا ، الشقيق الأصغر للقائد المؤسس ، والطاعة المطلقة للقائد المرشد ، والصمت بهدف الحفاظ على أسرار التنظيم وخطواته العملية ، وكان هذا التشكيل التنظيمي بمثابة "تنظيم الصفوة ، والاختيار الدقيق للكادر السياسي للجماعة والبذور الأولية لفكرة قيام الجهاز السري والذي جرى تأسيسه في العام 1940" ، [22] ، وتأسيا بالتقاليد الماسونية التي رأينا صوراً توثيقية منها من على شاشة قناة "الجزيرة" القطرية عندما عرضت مشهداً تمثيلاً لشاب ماسوني غارق في الظلام التام عبر وضع عصبة من القماش على عينيه ، قبل أن يؤخذ بيده وبالتالي يؤدي قسم الإخلاص لقيادة التنظيم ، فقد حاكى التنظيم ذلك الأسلوب في أداء قسم الولاء والإخلاص لقيادة المرشد عند حزب الإخوان المسلمين ، وفي ذلك يذكر الكاتب الصحفي اللاحق السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه المغنون : خريف الغضب ، "كان الجاهزون للانضمام إلى الجهاز الخاص في الإخوان المسلمين ، يؤخذون لكي يحلفوا يمين الطاعة للمرشد العام داخل

غرف مظلمة ، وعلى مصحف ومسدس ، وبعدها يصبحون على استعداد لتنفيذ أي أمر مهما كان دون مسائلة أو تردد".

**ولعل بناء التنظيم على شاكلة ذلك الجهاز السري من جديد ، وعلى أساس خطة التمكين في عهد مهدي عاكف / السيد خيرت الشاطر كان محاولة متكررة لإستنساخ هذه التجربة الخطيرة التي أودت بصاحب فكرتها إغتيالاً وهو المرشد ومؤسس حركة الإخوان المسلمين السيد حسن البنا .**

والتكوين التنظيمي للجهاز السري المسلح لتنظيم حركة الإخوان المسلمين أدي دوره المنشود في الإغتيالات السياسية لبعض الرموز السياسية في الدولة المصرية والتصفية الجسدية للخصوم ، فالعمل والطاعة والصمت ، والتدريبات على العمل العنيف والمسلح ، لا بد من أن يؤدي بالضرورة إلى دغدغة مشاعر التفكير بالوصول إلى سدة الحكم لتطبيق الرؤية السياسية المبنية على الأسس الدينية الإسلامية في المجتمع ويغذي ظاهرة الميل الموضوعي للعنف عند الفرد إذا ما تم شحنه بالفكر الموتور بالانتقام ، رغم أن الحلقة المركزية إبان تلك الفترة الزمنية هي العمل من أجل إنجاز مهام التحرر الوطني والإستقلال السياسي ونيل الحرية وتحقيق الديمقراطية وبناء السيادة ، عن المستعمرين الأوروبيين والبريطانيين منهم على وجه الخصوص ، وهذه الأهداف السياسية الحيوية هي المهمة الأساسية لجميع الوطنيين الذين كانوا يرفعون شعارات سياسية ويمارسون أعمال تتمحور حول التحرر والحرية والتضامن العربي الإسلامي والتقدم والإستقلال ، ولكن حركة الإخوان المسلمين رأت في تصفية الخصوم هي المهمة العملية : الآنية والمباشرة ، فكانت عمليات تدريب الجهاز السري تستهدف تصليب الإرادة الهجومية عند الأفراد المنضوين تحت لواء التنظيم ، من ناحية ، وعززوا علاقاتهم التحالفية مع القصر الملكي على حساب علاقاتهم مع القوى الوطنية التحررية ، من ناحية ثانية ، ونسجوا علاقات أمنية مع البريطانيين بشخص العديد من ضباط الإستخبارات البريطانية في مصر والسفارة البريطانية في القاهرة ، [23] .

وفي ذلك يقول حسن البنا عن المهمة القتالية التي تنتظر حركة الإخوان المسلمين من ناحية الرؤية الفكرية والسياسية ، التعبيرات التالية : "في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة وفكرياً بالعلم والثقافة وجسماً بالتدريب والرياضة في هذا الوقت طالبتوني بأن أخوض بكم لج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل عنيد جبار وإني فاعل إنشاء الله" ، [24] .

ولذلك كانت هذه الفرضيات التنظيمية تشكل المقدمات النظرية عند الإخوان المسلمين من حيث التصميم والإعداد والتخطيط لما يسمى بالجهاد الإسلامي وترسخت على مبادئ

فكرية صلبة ومتوترة لا بد لها من النزوع الانفجاري عند الأتباع ، لاسيما بعد توفير الإمكانيات المالية الضخمة ، من ناحية أولى ، خاصة وإن مصر بما لها من موقع جغرافي تتمتع به بالنسبة للوطن العربي وثقل تاريخي وحضاري فرعوني وإسلامي ، ووزن سكاني ونهضة فكرية مؤثرة من خلال الكتاب ووسائل الإعلام والسينما والمسرح والبحوث الأدبية ، والروح الوسطية للإسلام المعتدل وتناغمه مع التوجهات الوطنية لعموم الأقباط المسيحيين ، وأتباع الديانتين السماويتين كانا يحثان على إستخدام المنطق والتحليل في ترشيد الرؤية الدينية الشرقية . . . بتكثيف شديد كانت مصر تُعد الحلقة الأهم للوطن العربي والعالم الإسلامي ، من ناحية ثانية .

لذا كانت باكورة أعمال حركة الإخوان المسلمين إغتيال رئيس الوزراء المصري أحمد ماهر ومن ثم الإقدام على إغتيال السيد النقراشي باشا ، كذلك غيرهما . وعندما تأجج الصراع بين حزب الوفد الذي كان يقوده الشخصية الوطنية المرحوم النحاس باشا ضد مناوئيه من البريطانيين والقصر ، إختار الإخوان الوقوف إلى صف الملك والسعديين رافعين شعارات "الله مع الملك" ، و"نهبك بيعتنا وولاءنا على كتاب الله وسنة نبينا" ، مثمنا ساندوا بقوة رئيس الوزراء المصري إسماعيل صدقي الذي وقع إتفاقية صدقي - بيفن مع البريطانيين المستعمرين لمصر ، التي واجه فيها حراكاً شعبياً هائلاً رافضاً لتلك الإتفاقية وشاجباً لمضامينها السياسية .

ولكنهم ، مع ذلك ، تصدوا للجماهير المصرية في القاهرة وبورسعيد وغيرهما . ولم تقتصر مواقفهم على المسائل السياسية فقط ، فقد وقف مؤسسه من المرأة موقفاً حازماً في ضرورة تقفيصها بالرؤى التقليدية الرجعية ، ورأى في المرأة المسلمة أنها ليست في "حاجة إلى التبحر باللغات المختلفة ، وليست المرأة في حاجة إلى الدراسات الفنية الخاصة ، وليست بحاجة إلى التبحر في دراسة الحقوق والقوانين" .

لقد شكلت ثورة 23 يوليو عام 1952 ، تدشيناً جديداً في التطور المصري والعربي إسم بالنزعة التحررية والتقدم العلمي وإتباع سياسة متميزة بالإخلاص الوطني والقومي ومناهضة القوى الإستعمارية على المستويين الداخلي والخارجي ، ومنذ تجذر مواقفها السياسية ضد البريطانيين والأمريكيين الذين وقفوا مع الكيان الصهيوني ورفضوا تمويل مشروع السد العالي المهم بالنسبة لنهوض مصر الإقتصادي ، وإنصراف قيادتها لتوطيد البناء الداخلي تحت لواء شعاراتها الستة : التي جعلت من مواجهة مستحقات وطنية وقومية من بين أولى أولوياتها ، العدالة في توزيع الثروات وإنصاف الفلاحين في عملية إصلاح زراعي شاملة وتوفير فرص العمل والثورة الثقافية عن ما تقدم وتوفير الفرص للتقدم المعرفي والعلمي وإضطراد الدراسة المجانية ، والتخلص من النفوذ والهيمنة الأجنبية والتقدم في ميادين القوة وخصوصاً في التسليح للجيش ، التي رفعها قادة ثورة يوليو عام 1952 .

واجهت الثورة العربية في مصر العداء السياسي من أطراف خارجية وداخلية متنوعة ، وكانت حركة الإخوان المسلمين هي الحلقة المركزية في ذلك العمل المعادي على المستوى الداخلي ، في نطاق سلسلة العداوات السياسية الأكثر شراسة في مناهضة الثورة المصرية واستهداف قائدها الرئيس جمال عبد الناصر ، وتصاعدت هذه السياسة العدوانية لأسباب تتعلق بالظروف السياسية الموضوعية كوجود إسرائيل ومشاريعها السياسية ودور حلف بغداد والإنفتاح على المعسكر الشرقي ، ولم يكن من بين الأسباب الأساسية لتلك العداوة : الدكتاتورية السياسية للنظام الحاكم الجديد ، وحل الأحزاب المصرية ، وإلغاء دستور 1923 وغير ذلك من تبريرات سياسية ، مما يروجه البعض ، [25] ،

ولكن في شهر نيسان من العام ذاته جرى تقديم مجموعة من قيادات الإخوان المسلمين للمحاكمة مثلما أقدمت السلطات المصرية على منع سعيد رمضان و 5 قياداتها على منعهم من السفر بسبب عزمهم على تحريض أفرعهم في السودان وسوريا والأردن والعراق ضد مصر .

وفي شهر تشرين الأول 1954 جاءت محاولة حركة الإخوان لإغتيال الرئيس جمال عبد الناصر من قبل أحد أعضاء الإخوان ، وتبين عندها أو بعدها أن هناك لقاءات أمنية بريطانية مع بعض قيادات الإخوان والتنسيق لتنفيذ عملية الإغتيال من دون ظهور أي أثر لدور المخابرات البريطانية حسب طلب إيدن ، وسيطول بنا الرصد لو حاولنا متابعة موقف حركة الإخوان المسلمين من ثورة 23 يوليو 1952، ولكن لابد من التطرق السريع لأحداث منتصف العقد الستيني من القرن الماضي والأسباب التي أدت إلى محاكمة سيد قطب ومن ثم إعدامه ، وهو ما كفانا مؤونة الحديث عن هذا التطور السياسي الكاتب الناصري السيد سامي شرف والموجود نصه على موقع منتدى الفكر القومي العربي ، [26] ،

اليوم وصلت حركة الإخوان إلى موقع السلطة المصرية ، وأصبحت قيادتها تتمتع برئاسة الدولة المصرية ، ولاحظ الجميع مدى إنقلابها على وعودها السياسية المقدمة لمجموع الأحزاب السياسية ، وبات الكذب المعلن والصريح إحدى السمات الملازمة لتصرفاتها السياسية ، فضلاً عن التحليل السياسي لواقعها الاجتماعي : الفكري والطبقي المتسم بالمحافظة والالتزام بالطروحات الفكرية والسياسية المفرطة على الصعيدين الوطني المصري والقومي العربي ، [27] ،

لقد تطورت الأزمة السياسية المصرية حتى إستحالت إلى الأزمة السياسية العامة ، وطالت جميع مظاهر الحياة فيها ، للدرجة التي غدا معها أي حل ترقيعي بالوضع السياسي القائم آنذاك ، أي قبيل ثورة 25 يناير هو العبث السياسي ذاته ، ولذلك تم رفع شعار سياسي واضح المرامي جلي الأهداف السياسية المبتغاة من قبل الجماهير المصرية والذي يستأهل نزيف دماء الثوار الزكية : "الشعب يريد إسقاط النظام" وليس إستبداله أو ترقيعه ، وتحقق الإنجاز كخطوة أولى ، ولكن ما آلت إليه التطورات السياسية كانت منافية لمبدأ "سقوط النظام" ، إذ جرى تبديل سيادة "فئة تنزياً" البدلات الأوربية من غير لحى ، بفئة تنزياً ذات الماركات من البدلات + وجوه عبوسة موسومة على جبهاتها علامات سود ، أما مفهوم الديمقراطية السياسية وهي اللافتة العريضة التي جمعت أغلب طبقات وفئات



وشرائح قوى الشعب المكافحة والتي نزلت للميادين تطالب بالتغيير فقد إفتقدتها الثورة الراهنة التي يقود سلطتها حزب الإخوان المسلمون في هذه الأيام .

وبات حلم النظام السياسي الوطني الديمقراطي الذي يفتح الآفاق الموضوعية لقيام حياة سياسية منشودة هو أصعب منالاً من السابق ، وغدا الفرد المصري أسير نظرة مرسومة ليس للحاضر فقط ، بل لما بعد الحياة : أي التحدث عن مصيره في اليوم الآخر ، **وهو من إختصاص الله وحده** ، ولكن البعض أصبح يقرر مصير الفرد بإسمه ، وصار الشيوخ والدعاة منزّين يوجهون إتهاماتهم السياسية والأخلاقية لمن شأؤوا وكيف ما شأؤوا ، من دون محاسبة أو تساؤل أو حتى رقابة ، وأغلبهم مبتديء في العلوم السياسية وكانوا يعيشون في الحجرات المظلمات لدروس وضع منظوماتها الفقهية رجال ينتمون لزمان غاب وولى ، في حين إنّ إشكاليات مادية ومعيشية وفكرية وسياسية تولدت في الزمن المعاصر ، وغاب عن الجميع القول المأثور : "نشؤوا أبناءكم على غير عاداتكم ، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم" ، [28] .

إن المعضلة السياسية القائمة تكمن في غياب برنامج سياسي واضح وملموس يشكل المعيار الموضوعي للقياس والمحكمة ، تنفذه أيادي حرة مختارة بشكل ديمقراطي ونزيه ، ولس إستحواذ مجموعة سياسية ضيقة على حساب المجموع السياسي الوطني العريض ممن شاركت قواعدها بهذه النسبة أو تلك بالثورة الشعبية والتغيير السياسي ، وصيرورة رمزه السياسي رمزاً وطنياً عاماً لكل المصريين ، يلبي رغبات الشعب الحيوية .

بعبارة أوضح فإن طموح الجماهير المصرية العريضة التي شاركت بفعالية في ثورة 25 يناير هو تشييد صرح الجمهورية المصرية الحديثة التي تتطلبها المرحلة التاريخية العالمية المعاصرة ، وفي مقدمتها المساواة بين أفراد الشعب على كل الصعد ، في الاقتصاد والإجتماع والسياسة والقانون والمؤسسات الدستورية وشغل المناصب الوظيفية المختلفة سواء بسواء . فضلاً عن التواصل مع الأمة العربية والعالم الإسلامي على ضوء النزعات التحررية والتطور المتناغم في سبيل الذات المصرية والعربية ، ومن أجل مصلحتهما السياسية الإستراتيجية ، لا من المنظومات الفكرية والسياسية لمنطلقات الهيمنة السياسية الأمريكية المتعولمة التي تتشابك مع الرؤية الصهيونية ومصالح الإحتكارات المتعددة الجنسية . . . وليس التعاون غير المباشر مع كل قطر وغيرها وربما الأتراك معهم فقط .

إن الوحدة الوطنية الصلبة التي تتطلبها الظروف السياسية الموضوعية توجب المشاركة الفعالة من قبل المجموع الوطني المصري ليس في تنفيذ المهام الوطنية العامة فحسب ، وإنما المشاركة الفعلية والمساهمة الفعالة في صياغة القرار السياسي الوطني أيضاً ، ليس بحكم أنّ الثورة الشعبية والتغيير السياسي قد نجحا بهمة الشباب والقوى الإجتماعية الهائلة ، وإنما كذلك لمنع الإمتدادات الأجنبية التي تحاول إرجاع التطور المصري إلى قمقم التبعية والأسر الفكري الطائفي والمتخلف بالنسبة لروحية العصر .

إنَّ ما تحتاجه مصر اليوم هو قيام مشروع سياسي وطني مصري جذري يستطيع النهوض بدورها العربي والإقليمي ، ولهذا المشروع السياسي القدرة على مواجهة تحديات العصر وإفشال المخططات السياسية التي تقوم بها بعض القوى الخليجية المتخلفة لإعادة إنتاج سياسات نظام مبارك ، الذي لم يكن بمقدوره حتى الدفاع الوطني عن السياسة المصرية ، ولكن أين هكذا توجه سياسي في ظل السياسة المريية لحزب الإخوان المسلمين وقائد السلطة السياسية ، ومراهنته على الأمريكيين في توطيد بنائهم السلطوي .

إنَّ توفير منصات هذا التوجه السياسي الوطني يتطلب ، ما بين ما يتطلب ، تقديم ضمانات فكرية وسياسية وقانونية لتمتع المجموع الوطني المخلص بالحريات السياسية الوطنية الديمقراطية ، التي تشترط ضرورات حق المعتقدات الفكرية الحرة من دون إستخدام معايير النهي والتهديد والقمع بأي شكل كان ، وحق التعبير السياسي عن هذه المعتقدات بالطرق السياسية السلمية والمشروعة ، بما فيها حرية التجمعات وإقامة الندوات وتسيير المظاهرات والشروع بالإعتصامات والوصول بها للإضرابات المطلوبة ، وكل ذلك يتطلب جعله جزءاً من برنامج سياسي يجاهد من أجل تكريس حق الإعلام في الحريات الإنتقادية والوصول إلى مصادر المعلومات ونشرها في الصحف الحرة من أجل توعية الجماهير الشعبية العريضة بكل مفردات الواقع السياسي ، التي تنتظمها المنظمات الإجتماعية الخاصة بالمجتمع المدني والنقابات المهنية المستقلة وقيام الأحزاب السياسية من دون اللجوء للسرية وسيرورة الروح التآمرية على تفكير قياداتها أو إرتباطها بالجهات الأجنبية ، وكل هذه السياسات الملموسة ما تزال مفقودة حتى اللحظة التاريخية الراهنة .

ولعل الفقرات البرنامجية التالية التي تشكل القاسم المشترك لرؤية القوى الوطنية الحرة في جبهة الإنقاذ الوطني ملانمة تماماً للإنتقال بالوضع السياسي المصري إلى مرحلة أرقى وإنجاز متطلبات التنمية الإقتصادية والاجتماعية للقطاعات الشعبية والتي تتمثل ب : "ضمان نزاهة وديمقراطية وشفافية الإنتخابات بدءاً من موقع رئيس الجمهورية ومروراً بالبرلمان والمجالس المحلية وإتحادات الطلاب ووصولاً إلى عمدة القرية ، مع تأمين حق المصريين في الخارج في التصويت . {وكذلك} إصدار قانون محاسبة رئيس الجمهورية والوزراء أثناء الخدمة ، وتقليص الإنفاق الرئاسي والحكومي على أن تكون بنود هذا الإنفاق معلنة ومفصلة في الموازنة العامة . {وضرورة} إعادة هيكلة الأجهزة الأمنية ودورها في المجتمع وضمان رقابة قضائية تمنع تدخلها في الحياة السياسية وتركيز دورها على حماية حفظ الأمن وخدمة المواطن وتعقب الجريمة وإحترام حقوق الإنسان . {لذا فالواجب} مراجعة قانون الحكم المحلي لتفعيل نظام اللامركزية في محافظات مصر وتفعيل دور المجالس المحلية المنتخبة في الرقابة الشعبية وتقديم الخدمات المحلية . الكبرى إقتصاديا واحتلت المركز الثامن كأقوى إقتصاد عالمي في خلال 8 سنوات هي مدة حكم رئيسها المنتخب ديمقراطيا لدورتين" .

## المراجع والهوامش

[19] - نشرت جريدة "صوت الأمة" المقالة التالية للسيد الأستاذ عباس محمود العقاد كان قد كتبه قبل أن يصبح المرشد شخصاً مقدساً ورمزاً أسطورياً لا يجوز التعامل النقدي معه تقترب روحيته القيادية من مقولات تجعله بمصاف الآلهة لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ونظراً لأهمية الوضع السياسي الراهن وللوضع السامق الذي يتمتع به من الناحية الأدبية والسياسية ، وللقامة الفكرية العالية لصاحب العبقريات السيد العقاد ندرج هذا المقال مع المقدمة التي كتبها الأستاذ عبد الحليم قنديل في العدد المذكور رقمه وتاريخه في آخر الإستهاد :

### هل حسن البنا من أصول يهودية ؟

هذا مقال قديم لكاتب مصر العبقري الأشهر عباس محمود العقاد صاحب أروع وأشمل سلسلة في الكتابات الإسلامية ، كان العقاد يطلق على جماعة الإخوان المسلمين صفة «خوان المسلمين» ، وفيما يلي مقال آخر للعقاد نشر في جريدة «الأساس» صباح 2 يناير 1949 ، وكان عنوانه "الفتنة الاسرائيلية" .

"الفتنة التي ابتليت بها مصر على يد العصابة التي كانت تسمى نفسها بالإخوان المسلمين" هي اقرب الفتن في نظامها إلى دعوات الاسرائيليين والمجوس ، وهذه المشابهة في التنظيم هي التي توحى إلى الذهن ان يسأل لمصلحة مَنْ تثار الفتن في مصر وهي تحارب الصهيونيين ؟ ! ، السؤال والجواب كلاهما موضع نظر صحيح ، ويزداد تأملنا في موضع النظر هذا عندما نرجع إلى الرجل الذي أنشأ تلك الجماعة فنسأل مَنْ هو جده ؟ .

ان احداً في مصر لا يعرف من هو جده ؟ على التحديد ، وكل ما يقال عنه إنه من المغرب وأن والده كان "ساعاتي" ، والمعروف أن اليهود في المغرب كثيرون ، وأن صناعة الساعات من صناعاتهم المألوفة ، واننا هنا في مصر لا نكاد نعرف «ساعاتي» كان يعمل بهذه الصناعة قبل جيل واحد من غير اليهود .

ويضيف العقاد : ونظرة الى ملامح الرجل تعيد النظر طويلاً في هذا الموضوع ، ونظرة الى أعماله وأعمال جماعته تغني عن النظر إلى ملامحه وتدعو إلى العجب من الاتفاق في هذه الخطة بين الحركات الاسرائيلية الهدامة وأعمال هذه الجماعة ، ويكفي من ذلك كله أن نسجل حقائق لا شك فيها وهي اننا أمام رجل مجهول الاصل مهيب النشأة ، يثير الفتنة في بلد اسلامي والبلد مشغولة بحرب الصهيونيين ويجد الرجل في حركته على النهج الذي اتبعه دخلاء اليهود والمجوس لهدم الدولة الاسلامية من داخلها بظاهرة من ظواهر الدين ،

وليس مما يحجب الشبهة قليلاً أو كثيراً أن هناك من اعضاء جماعته يحاربون في ميدان فلسطين ، فليس من المفروض ان الاتباع جميعاً يطلعون على حقائق النيات ، ويكفي

لمقابلة تلك الشبهة ان نذكر ان مشاركة اولئك فى الطلائع الفلسطينية يفيد فى كسب الثقة ، وفى الحصول على السلاح والتدريب على استخدامه وفى امور اخرى قد تؤجل الى يوم الوقت المعلوم هنا او هناك ، فاغلب الظن اننا امام فتنة اسرائيلية فى نهجها واسلوبها ، ان لم تكن فتنة اسرائيلية اصيلة فى صميم بنيتها .

ويضيف العقاد قائلاً : امة مصرية مشغولة بفتنة هنا وجريمة هناك وحريق يشعل فى هذه المدرسة ومؤامرات فى الخفاء وتقوم هذه العناصر المفسدة بالتحريض والتهييج وتزودها بالذخيرة والسلاح ، أهذه هى محاربة الصهيونية والغيرة على الاسلام ؟ إن يهود الارض لو جمعوا جموعهم ورصدوا أموالهم وأحكموا تدبيرهم لينصروا قضيتهم ، فى تدبير أنفع لهم من هذا التدبير لما استطاعوا ، وإلا فكيف يكون التدبير الذى ينفع الصهيونية فى مصر فى هذا الموقف الحرج ؟ .

ان العقول اذا ران عليها الغباء كانت كتلك العقول التى وصفها القرآن لاصحاب الهاوية الذين لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها «اولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون» ، هؤلاء الغافلون يمكن ان يقال لهم إنها هى الفرصة السانحة للانقلاب أولئك هم الغافلون ، فرصة لمن ؟ ، فرصة للصهيونية نعم ، اما فرصة لمصر، فمتى وقع فى التاريخ انقلاب ودفاع فى وقت واحد ، ما استطاع أناس ان يوطدوا انقلاباً ويهيئوا أسباب الدفاع فى أسبوع واحد او شهر واحد أو سنة واحدة ، أبت الرعوس الأدمية أن تنفتح لضلالة لمثل هذه الضلالة لو كان الامر امر عبث ومجون وإنما هى مطالع خبيثة تتطلع وغرور صبياني يهاجم وشر كمين فى الخفاء يستثار " .

## نشر بالعدد 630 من جريدة "صوت الأمة" بتاريخ 7 / 1 / 2013 .

[20] - راجع كتاب الإخوان المسلمين نشأة مشبوهة - وتاريخ أسود : أربعة أجزاء ، الجزء الثالث ، دون ذكر لاسم المؤلف ، دمشق / سوريا ، 1985 ، ص 15 .

[19] - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

[21] لقد تمت الاستفادة من كتاب الإخوان المسلمون : نشأة مشبوهة - وتاريخ أسود . مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص 17 .

[22] - فى العديد من المواقع الإلكترونية والدراسات المختلفة التى بحثت علاقة حركة الإخوان بالمستعمرين البريطانيين ، تورد المعلومات المتواترة التالية : "مارك كيتس صحفى بريطاني شهير . . . توضع مؤلفاته السياسية فى خانة "أفضل المبيعات" ، أما كتابه "العلاقات السرية - التحالف البريطانى مع الإسلام السلفى" فقد وضع فى خانة "أخطر الكتابات" ، فكل كلمة فيه تسندها وثيقة رسمية ، وإن كانت هناك وثائق غير مسموح بها فذلك حماية لشخصيات قيادية تنتمى لجماعة الإخوان المسلمين لا تزال تلعب دوراً مؤثراً على المسرح السياسى. [ . . ] .

أما أول اتصال بين الإخوان والإنجليز فكان فى عام 1941 ، وهو العام الذى ألقى فيه القبض على حسن البنا، مؤسس الجماعة، ولكن مع إطلاق سراحه سعت بريطانيا للاتصال

بجماعته ، وحسب بعض المصادر فإن بريطانيا عرضت على الإخوان تمويلاً مالياً مقابل تأييد لبريطانيا منهم ، لكن ليس هناك ما يثبت أو ينفي أنهم قبضوا التمويل فعلاً ، على أنه لوحظ هدوء نسبي في نشاط الإخوان المضاد لبريطانيا بعد العرض بقليل ، ومن ثم فإن من المرجح أن العرض البريطاني حظي بقبول .

وبحلول عام 1942 أصبح من المؤكد أن بريطانيا تمول الجماعة، ففي 8 مايو عقد مسؤولو السفارة البريطانية اجتماعاً مع رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت أمين عثمان باشا وناقشا العلاقة مع الإخوان واتفقا على عدة نقاط منها تقديم مساعدات مالية لهم من حزب "الوفد" على أن تتولى الحكومة بشكل سري التمويل الذي تأخذه من السفارة البريطانية ، كما وافقت الحكومة على دس مخبرين في الجماعة ومعرفة أسرارها ونقلها إلى السفارة البريطانية ، يضاف إلى ذلك خلق شقاق بين حسن البنا وأحمد شكري ، زعمي الجماعة ، دون اللجوء إلى ممارسات عنيفة ضد الجماعة ، لقد تبنت بريطانيا سياسة "القتل الرحيم" .

ونوقش في الاجتماع أيضاً دور جماعة الإخوان في التصدي للحركات الوطنية المصرية المعادية للاستعمار ، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا تتعاون مع الإخوان على الرغم من إدراكها خطورتهم . [ . . . ] .

[23] - راجع كتاب : الإخوان المسلمون : نشأة مشبوهة - وتاريخ أسود ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص 27 .

[24] - تقول المعلومات التاريخية أن "ضغط أمريكا و بريطانيا على جمال عبد الناصر للدخول في حلف بغداد ورفض تمويل السد العالي هو الذي أدى بمصر للإقتراب من الاتحاد السوفيتي ، مثلما مهد للعدوان الثلاثي على مصر ، بسبب بحث الرئيس جمال عبد الناصر عن الأموال التي يستطيع معها تنفيذ مشروع السد العالي ، وكان تأميم قناة السويس هي الحلقة المركزية والمنعطف التاريخي لنهاية النفوذ الاستعماري البريطاني في العالم ، لذا قرر إيدن رئيس الحكومة البريطانية ، وكذلك عزم جهاز المخابرات البريطاني أي أم 6 في العام 1954 على القيام في ذلك الوقت السيد جورج يونج بمحاولة لاغتيال عبد الناصر وقام مدير الجهاز وذلك بإرسال "أمر" عبارة عن تليجراف عاجل إلى آلان دالاس مدير وكالة المخابرات المركزية بمحطتها بلندن جيمس ايجلبيرجر وطالب فيه بقتل صراحة بالتعاون لاغتيال عبد الناصر مستخدماً عبارة تصفية وقال إيدن في ذلك الوقت لا أريد سماع كلام فارغ عن عزل ناصر أريد قتله هل تفهمون .

ومنذ بداية 1954 بدأت الاضطرابات تجتاح القاهرة والتوتر الشديد يسود العلاقة بين الرئيس ناصر ، من جهة ، والإخوان المسلمين ومحمد نجيب ، من جهة أخرى ، ولم تكن أصابع المخابرات البريطانية والإسرائيلية بعيدة عن ذلك . وأجرت المخابرات الأمريكية والبريطانية جميع التحريات حول الإخوان التي كانت ربما على علم بها لإجراء الاتصالات بقياداتهم . ومنذ تلك اللحظة الزمنية جرى استخدام الإخوان المسلمين مثلما جرى إعداد فرق الاغتيالات ، ولم يكن الرئيس جمال عبد الناصر يتصور أن قادة حركة الإخوان

المسلمين سيصل بهم الحال للأقدام على إغتياله بالتنسيق مع أجهزة مخابرات عالمية وأجنبية لأنه كان مشغولاً بمعالجة مشكلة محمد نجيب طوال الربع الأول من عام 1954 .

[25] - ومؤامرة 1965 لم تكن عملية داخلية خطط لها وحاول تنفيذها تنظيم الإخوان المسلمين المحلى بل إن التحقيقات والمحاكمات العلنية قد أثبتت أنها كانت عملية دولية، فالتخطيط والتمويل والتسليح وأسلوب التنفيذ كان أجنيا ومدرسا منذ سنوات سابقة .  
لقد كانت وراءها أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية وجهاز المخابرات البريطانية وكان الاتصال عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف في شركة النقل والهندسة وعضو الجماعة والمستر إيفانز المستشار الشرقي في السفارة البريطانية في القاهرة في شهر مايو 1953 وشارك فيها كل من منير دلة وصالح أبو رقيق ثم مع حسن الهضيبي وبالرغم من اعتراض مجلس الثورة على هذه الاتصالات، إلا أنهم استمروا فيها وجميع هذه اللقاءات مسجلة ووثائقها في أرشيف سكرتارية المعلومات والمباحث العامة.. وكذلك مخابرات ألمانيا الغربية وتوابع لهذه الأجهزة وللأسف الشديد من بعض الدول العربية .  
ولعل تصريحات الأمير نايف وزير داخلية السعودية الذى قال فيه: «إن مشكلاتنا كلها جاءت من الإخوان المسلمين، فقد تحملنا منهم الكثير، ولسنا وحدنا من تحمل منهم، ولكنهم سبب المشاكل في عالمنا العربى وربما الإسلامى» ، وكان دور هذه الأجهزة تهيئة أماكن اللقاء بين إخوان الداخل وإخوان الخارج حيث يتم تبادل المعلومات والاتفاق على وسائل وأماكن وتواريخ تهريب الأسلحة والمتفجرات والتمويل، ولدى الأجهزة المعنية سجلات وتقارير ووثائق وتسجيلات هائلة تحوى كل المعلومات، كما أن جهاز المباحث العامة كان مخترقاً لهذه اللقاءات والاتصالات .

ومن أسباب المؤامرة أيضاً الجانب الاقتصادى وضرب التنمية في مصر بالذات لأنها مرض معد سيصيب الأمة العربية وبالتالي العالم الثالث، ولابد من استنزاف شعوب هذه الأمم حتى لا تضار مصالح الشمال الغربى ، ولذلك فالحروب المحدودة لابد أن تستمر، وإذا لم تفلح فليكن البديل هو الغزو من الداخل وهذا ما حدث سنة 1965 بعد تجارب نفذت في بلدان أخرى في إفريقيا وآسيا، فلماذا لا تنفذ في مصر التى فشلت محاولات ضربها عسكرياً .  
ولو قمنا بحصر شامل لمخطط مؤامرة 1965 لكانت الحصيلة هي :

1 - خطط تفصيلية بخرائط وكروكيات لجميع الاهداف الاستراتيجية في مصر من الإسكندرية لأسوان .

2 - جماعات أغلبهم من شباب الجامعات خاصة من الكليات العملية وبالذات كليتى العلوم والهندسة، مسلحة ومزودة بأدوات نفس المصانع والكبارى والطرق الرئيسية - بما فيها الطريق الذى يسلكه جمال عبدالناصر من منشية البكرى حتى القصر الجمهورى بالقبة عن طريق بالوعات المجارى... الخ - والمصانع الكبرى سواء في القاهرة أو الإسكندرية والمحلة الكبرى ونجع حمادى أو حلوان والقناطر الخيرية محطات الكهرباء ومحطات محولات السد العالى.. شىء رهيب! كل هذا ثابت سواء في التحقيقات أو في المحاكمات العلنية التى تمت وكله موثق ومثبت .

3 - خطة اغتياالات كاملة للقياديين والسياسيين وضباط القوات المسلحة وضباط الشرطة وأساتذة جامعات والمثقفين والأدباء والفنانين والاعلاميين سواء من الصحفيين أو الإذاعة والتلفزيون رجالاً ونساءً، وكانت الخطة مبنية على أساس الاقتناع بفكرة واحدة **هي**

**تكفير** جمال عبدالناصر ومن ثم استباحة اغتياله هو ومن حوله ومن يؤيدونه .

4 - وأضاف السيد سامي شرف إلى أقواله تلك القول التالي :  
" أنصح بقراءة ما كتبه كبار رجال المخابرات المركزية الأمريكية من أمثال «آلان جيران» و«كلود جوليان» و«كيرميت روزفلت» و«خلاصته حسب نص ما كتبوه هو أن جماعة الإخوان المسلمين هم سلاح ممتاز تستخدمه بعض الدول الغربية التي رأت منذ سنة 1940 ويمكن قبلها أنهم هم الحاجز المتين ضد النفوذ الشيوعي والتغلغل السوفيتي، وقال كلود جوليان صراحة ما نصه: « في سنة 1965 وبالتواطؤ مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية نظمت جماعة الإخوان المسلمين المحافظة جداً، مؤامرة واسعة للإطاحة بالنظام الناصري، إلا أن المسؤولين الرئيسيين عنها اعتقلوا» .

[26] - ويقول احد الكتاب المصريين المرموقين من ذوي الاختصاص وأصحاب المنهج الماركسي : إن تنظيم حركة الإخوان المسلمين "قائم على مبدأ "طاعة المرشد" دون وجود الديمقراطية أو مجال للنقاش ، وعندما ننظر لقيادة الجماعة كلها وليس للمرشد فحسب ، سنجد أن العديد من أعضائها أثرياء جداً ، ومليونيرات بالتمويل الخليجي بصفة أساسية ، بمن فيهم أولئك الذين يرسمون لأنفسهم صورة رجال الدين في الأزهر وغيره . هذه القيادة واعية تماماً برجعتها الاجتماعية والسياسية ، وكراهيتها للديمقراطية . . . وهي التي أدخلت "الوهابية" إلى مصر التي تم ترويجها بشكل واسع بعد حرب 1973 بفضل التمويل الخليجي حتى أصبحت العنصر الساند في تأويل الإسلام في مصر .

استلهم الإخوان المسلمون فكرهم من فلسفة "محمد رشيد رضا" الذي يمثل "الوهابية" في التأويل المتجمد ، والمتخلف الأقصى للإسلام ، وهو الذي أدخل "الوهابية" مصر ، قبل حتى ما يمتلك الخليج الأموال الطائلة ، لينفقها على الترويج لهذا الفكر . [ . . . ] ، ولعبت دائماً قيادة الإخوان المسلمين دوراً مضاداً للثوري في مصر ، وفي ضرب الحركة الثورية في مصر منذ العشرينات ، فساندت ديكتاتورية "صدقي باشا" ضد الوفد ، ثم اتخذت خلال الحرب العالمية الثانية موقفاً يميل للفاشيست الألمان ضد الإنكليز . وخرجت في 21 فبراير 1946 ، إبان إنتفاضة العمال والطلبة ، من الجبهة الوطنية الممثلة في اللجنة الوطنية العليا للطلبة والعمال ، لينضموا إلى "صدقي" في هذه الفترة ، وفي اللحظة الثورية التي نعيشها هذه المرة أيضاً ، دخل الإخوان متأخراً في المظاهرات الشعبية . من هنا أصبحوا مرشحين للتحالف مع شخوص النظام السابق ، ويتخلون - كالعادة - عن الطبقات الشعبية المصرية" ، راجع كتاب الدكتور الباحث والكاآب السيد سمير أمين المعنون ثورة مصر وعلاقتها بالأزمة العالمية ، إصدار دار العين للنشر ، الطبعة الأولى ، عام 1432 هـ - 2011 ، ص 27 ، 28 ، 29 .

[27] - كنموذج دال على دور الفرد في المجتمع المرتبط بالأفعال وليس الأقوال والإدعاءات ، ما يأتي من معلومات :

## ''ماذا قدّم جمال عبد الناصر للإسلام ؟

وصلني على بريدي هذا المقال الذي لا اعرف مصدره والذي اعتقد انه فلاح الأردن ، ولكن لفت انتباهي فيه تذكيره لنا بأشياء دقيقة فعلها هذا البطل العربي ولكنها سقطت في بئر النسيان والتيه الذي نعانيه ، لذلك فقد أردت أن أعيد نشره .

هذا ما كتبه الصحفي المصري السيد أمين في موقعه الإلكتروني ، قبل أيام معدودة ، ونظراً لأهمية الموضوع الذي يتعلق ليس بالماضي السياسي للأمة فقط ، بل بالمستقبل السياسي لمصر ولعموم المنطقة العربية والوضع السياسي العالمي ، والذي ننقله عنه نصاً ، الأمر الذي دعانا لإنشاء المقدمة المذكورة سالفاً .

''الخليفة الراشد أبو بكر الصديق هو أول من بدأ جمع القرآن الكريم في مصحف وذلك بعد إلحاح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد مقتل معظم حفظة القرآن في حروب الردة ، والخليفة الراشد عثمان بن عفان هو صاحب أول مصحف تم جمع وترتيب سور القرآن الكريم به، والرئيس جمال عبد الناصر هو أول رئيس مسلم في التاريخ يتم في عهده جمع القرآن الكريم مسموعاً (مرتلاً و مجوداً) في ملايين الشرائط و الأسطوانات بأصوات القراء المصريين .

لنلقي نظرة أكثر شمولاً على أوضاع الدين الإسلامي في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ...

- في عهد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر تم زيادة عدد المساجد في مصر من أحد عشر ألف مسجد قبل الثورة إلى واحد وعشرين ألف مسجد عام 1970 ، أي أنه في فترة حكم 18 سنة للرئيس جمال عبد الناصر تم بناء عدد (عشرة آلاف مسجد) وهو ما يعادل عدد المساجد التي بنيت في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى عهد عبد الناصر .

- في عهد عبد الناصر تم جعل مادة التربية الدينية (مادة إجبارية) يتوقف عليها النجاح أو الرسوب كباقي المواد لأول مرة في تاريخ مصر بينما كانت اختيارية في النظام الملكي .

- في عهد عبد الناصر تم تطوير الأزهر الشريف وتحويله لجامعة عصرية تدرس فيها العلوم الطبيعية بجانب العلوم الدينية.

- أنشأ عبد الناصر مدينة البعوث الإسلامية التي كان وما زال يدرس فيها عشرات الآلاف من الطلاب المسلمين على مساحة ثلاثين فدناً تضم طلاباً قادمين من سبعين دولة إسلامية يتعلمون في الأزهر مجاناً ويقيمون في مصر إقامة كاملة مجاناً أيضاً ، وقد زودت الدولة المصرية بأوامر من الرئيس عبد الناصر المدينة بكل الإمكانات الحديثة وقفز عدد الطلاب المسلمين في الأزهر من خارج مصر إلى عشرات الأضعاف بسبب اهتمام عبد الناصر بالأزهر الذي قام بتطويره وتحويله إلى جامعة حديثة عملاقة تدرس فيها العلوم الطبيعية مع العلوم الدينية.

- أنشأ عبد الناصر منظمة المؤتمر الإسلامي التي جمعت كل الشعوب الإسلامية .

- في عهد عبد الناصر تم ترجمة القرآن الكريم إلى كل لغات العالم .

- في عهد عبد الناصر تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التي تذيع القرآن على مدار اليوم .

- في عهد عبد الناصر تم تسجيل القرآن كاملاً على أسطوانات و شرائط للمرة الأولى في التاريخ وتم توزيع القرآن مسجلاً في كل أنحاء العالم .



- في عهد عبد الناصر تم تنظيم مسابقات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية ، !  
والعالم العربي ، والعالم الإسلامي ، وكان الرئيس عبد الناصر يوزع بنفسه الجوائز على حفظة القرآن .

- في عهد عبد الناصر تم وضع موسوعة جمال عبد الناصر للفقهاء الإسلاميين والتي ضمت كل علوم وفقه الدين الحنيف في عشرات المجلدات وتم توزيعها في العالم كله .

- في عهد عبد الناصر تم بناء آلاف المعاهد الأزهرية والدينية في مصر وتم افتتاح فروع لجامعة الأزهر في العديد من الدول الإسلامية .

- ساند جمال عبد الناصر كل الدول العربية والإسلامية في كفاحها ضد الاستعمار .

- كان الرئيس جمال عبد الناصر أكثر حاكم عربي ومسلم حريص على الإسلام ونشر روح الدين الحنيف في العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس .

- سجلت بعثات نشر الإسلام في أفريقيا وآسيا في عهد الرئيس جمال عبد الناصر أعلى نسب دخول في الدين الإسلامي في التاريخ ، حيث بلغ عدد الذين اختاروا الإسلام ديناً بفضل بعثات الأزهر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر 7 أشخاص من كل 10 أشخاص وهي نسب غير مسبوقه وغير ملحوقه في التاريخ حسب إحصائيات مجلس الكنائس العالمي .

- في عهد عبد الناصر صدر قانون بتحريم القمار ومنعه ، كما أصدر عبد الناصر قرارات بإغلاق كل المحافل الماسونية ونوادي الروتاري والمحافل البهائية، كما تم إلغاء تراخيص العمل الممنوحة للنسوة العاملات بالدعارة التي كانت مقننة في العهد الملكي وتدفع العاهرات عنها ضرائب للحكومة مقابل الحصول على رخصة العمل والكشف الطبي .

- في عهد عبد الناصر وصلت الفتاة لأول مرة إلى التعليم الديني كما تم افتتاح معاهد أزهرية للفتيات، وأقيمت مسابقات عديدة في كل المدن لتحفيظ القرآن الكريم، وطُبعت ملايين النسخ من القرآن الكريم ، وأهديت إلى البلاد الإسلامية وأوفدت البعثات للتعريف بالإسلام في كل أفريقيا و آسيا ، كما تمت طباعة كل كتب التراث الإسلامية في مطابع الدولة طبعا شعبية لتكون في متناول الجميع، فيما تم تسجيل المصحف المراتل لأول مرة بأصوات كبار المقرئين وتم توزيعه على أوسع نطاق في كل أنحاء العالم .

- كان جمال عبد الناصر دائم الحرص على أداء فريضة الصلاة يوميا كما كان حريصاً أيضاً على أداء فريضة صلاة الجمعة مع المواطنين في المساجد .

- توفي الرئيس جمال عبد الناصر يوم الاثنين 28 سبتمبر 1970 والذي يوافق هجرية يوم 27 رجب 1390، صعدت روح الرئيس جمال عبد الناصر الطاهرة إلى بارئها في ذكرى يوم الإسراء ! . والمعراج ، وهو يوم فضله الديني عظيم ومعروف للكافة .

- هذه بعض أعمال الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في خدمة الإسلام .

- الإسلام ليس هو حسن البناء ولا سيد قطب ولا الإخوان المسلمين ولا كل الجماعات المتأسلمة .

## المصادر :

- . عبد الناصر والإخوان المسلمين : عبد الله إمام .
- . الدين والدولة والثورة : رفعت سيد أحمد .
- . النبي والفرعون : جيل كيبل .
- المؤامرة ومعركة المصير : سعد جمعة تقرير مجلس الكنائس العالمي لعام 1974
- . تقرير الحالة الدينية في مصر عام 1982 .
- . (الإسلام في عهد جمال عبد الناصر : عمرو صابح)

إنتهى الموضوع

## 2 - حول كتاب الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين : أحد قادتها يكشف المسار التاريخي الملتوي والنهج التضليلي المخاتل

### الموقف السياسي القويم يقتضي الصدق مع الذات ومع التاريخ والجغرافية

#### - 1 -

من الكتب التي تترجم الحياة الشخصية - وتؤرخ كذلك - للفرد الذي قد يكون فاعلاً في ظاهرة اجتماعية أو سياسية ما ، والتي تشكل - كذلك - المقطع الحياتي للفرد من الناحية التنظيمية الزاخر بنبض المعاناة الفعلية ، جرّاء صدقها في الحياة العملية الفعلية ، وانغمارها الكلي - عن إثثار واحتساب - في الممارسة العملية بتلك الظاهرة ، واستعدادها اللا محدود للمضي في دروب التضحية المختلفة المستويات على شفرة مبادئها الفكرية ومبادراتها السياسية ، وهي متوترة الإحساس المتيقن ومشبوبة العاطفة النزاعة للإقدام ، ومتقدة المشاعر الحماسية الفياضة كذلك ، حتى منزع قوسها الأخير ، ولكن هذا الفرد يقصد الطريق الخطأ - خصوصاً في بعض الحالات - في مسيرته المتعرجة اللولبية المتصاعدة كلها ، في حين أنه كان ينوي السير نحو مواقع افتراضية قد تشكل مدخلاً لإرتياد الطريق الصحيح .

بادئ ذي بدء ، لابد من إبداء ملاحظة عابرة ولكنها تحاول التمييز بين واقع أجزاء الوطن العربي ، الحياة السياسية للفرد العراقي تختلف عن صنوها المصري كون الأولى يجد فيها المناضل السياسي السجن والتعذيب والقضاء تحت وطأة سياط الجلادين من بين كل أولويات العمل السياسي الكفاحي المتوقعة ، لكن الفرد الوطني المصري تشمله منظومات قانونية تؤكد آدميته وهو في كل مسار حياته الكفاحية ، ولعل ما يرويه هذا الكتاب عن كيفية التعامل مع المعتقلين السياسيين هو التجلي البارز على تلك التجربة السياسية العملية ، التي تبرهن على تمايز الحالتين السياسيتين : المصرية والعراقية ، خصوصاً من حيث النضوج التوثيقي والفكري والتجريبي .

والكتاب الذي يلخص تلك الترجمة ويكثف دروسها التجريبية ، الذي نتعرض له هنا بالعرض الموسع يأتي في سياق محاولة جادة لاستعراض مضامينه بمستوياته المختلفة ، وكذلك المتفاوتة الدروس ، ولكنها غير الملتبسة ، والمؤلف من قبل السيد ثروت الخرباوي ، هو من هذا القبيل ، كما أعتقد .

إن الكاتب هنا يقدم على تسجيل تجربته العملية بأمانة وبشكل طوعي وحر بعد ضياع أجمل سنوات عمره إنطلاقاً من اعتقاد فحواه أن "الكتابة فريضة" لذا هو يبادر إلى تسطير وقائع "فكرته وتجربته" ويؤرخ لحياته السياسية ، ويحاول عبرها "استخلاص المعاني" التي تنطوي عليها معاناته التنظيمية والمعتدية ، التي يقترب فيها - في بعض الأحيان - من إلباس الحق السياسي بالباطل السياسي ومراوغة الحق الفكري المقدس للباطل السياسي في مرحلة تاريخية ملموسة على الصعيد العالمي والإقليمي والعربي ، جراء الولاء الفكري المسبق والتعصب التنظيمي جراء نومه وممارسته في الحُجَر المظلمات . ولكنه في النهاية يقترب "من الأفكار السرية للجماعة" بعد دنوه من "منطقة الحياد" عشية خروجه من التنظيم السياسي للإخوان المسلمين الذي قفصه حد الخنق "التنظيم القطبي الذي سيطر على مقادير الجماعة وجعل من أفكار سيد قطب دستوراً فكرياً للإخوان" ولكنه - أي المؤلف - يستدرك الدروس التاريخية سريعاً ويكشف عن الحقيقة التي اكتشفها في رحلة ممارساته الصادقة ، والحقيقة العينية التي يتوصل إليها في نهاية رحلته الشخصية / التنظيمية هي التالية :

**"عندما عرفت الحقيقة أدركت أن الأمر كان أخطر من ذلك بكثير" .**

[وكل الجمل المصنوفة بين مزدوجات وردت على الصفحات 207 - 210 من الكتاب] .  
النثر الأدبي العالي ولكنه الرقيق والعميق ، والصادق حد الشفافية الذي يتم عرضه في توجهاته نحو بؤرة ساطعة تتلمح حول موضوع مركز بصدد الفكرة الأساسية ، والإنقطاعات الفكرية اللامحة والذكية في آن واحد ومُشترك ، والوعي العميق بدروس التجربة الذاتية المرهفة الصادقة والمستقيمة والذي أعطى كل مجهوده للتنظيم ، بما تنطوي عليها من خصائص جدلية وحوارية ، ولكنها الحادة كنصل السيف المرهف ، كلها مؤشرات على جدية تناول الموضوع الشائك والمباحث بشكل تفصيلي في هذا الكتاب الهام ، وعمق التداول في معانيه وسعة التشاور مع الأخ السابق له في التجربة والصديق القريب من المؤلف .

وتشعب التساؤلات المتفحصة والمتدبرة مع الآخرين وما لديهم من تصورات ، بغية التأكد المعرفي الذاتي حد التوصل إلى عين اليقين من المسار التاريخي لحركة حزبية استطاعت ببريقها اللامع حد العشو ، أن تخطف الباب الأعضاء والأنصار والمريدين المخلصين المتسلحين بالإيثار المفعم بالأمل ، حتى لو كان ذلك وهماً وهواماً وهياماً ، وتجعل من دقائق حياتهم وثواني إرادتهم وتوثب نزوعهم الفكري والسياسي المتعدد الوجوه ، عملاً يومياً متدفقاً بالمنجز الفعلي والعمل الغائي ، مقروناً بالعاطفة المتفجرة الفياضة ، والإخلاص الإنساني المجرد من أية نوازع ذاتية مصلحة

بحته ، بالقدر الذي يـرجو فيها الثواب من الله في الدنيا والآخرة ، والذي لا تنضب . كما يعتقد - مفاعيله الحركية الإيجابية حتماً .

وبقدر ما كان فعل الصدق والصبر والإيمان والعمل الصالح عند ذلك الفرد متماهيات متماوجات بالدفق والحمية والإرادة الصادقة ، بقدر ما ستكون ردود الفعل البشرية الواعية التي قوامها الصدق والصراحة والجرأة والإقدام ، الذي حاول المؤلف من خلالها تمزيق حُجُب التضليل وتقطيع خيوط الشَرَك الذي تخبط فيها ذلك الفرد الذي أبحر نحو ضفاف "الجنة الموعودة" المنفذة خطوطها المعمارية على الأرض ، كما قدر وبشكل مسبق واعتقد مخلصاً ، ليجد نفسه واقعاً وواقفاً في مستنقع "الخبث والخبائث" : حمام الإخوان المسلمين ، كما يقول المرشد الأعلى للحركة السيد المستشار مأمون الهضيبي في حوارهِ الخشن مع المؤلف ، [ص 20 من كتاب الخرباوي] .

أظن أن السبب الكامن وراء ذلك التوهان المضني ، والوقوع في مطبات الدوران العبثي الذي إنتظمته الروح اللا أدريّة والعقل الذي يتجاهل الحقائق المرئية - إن لم أقلّ الملموسة - والذي ربما إستمر طوال العقدين من العمر الزمني له وهو يلهث في معترك التنظيم ، أو أكثر . . . هو يتجاهل "المكان" الجغرافي والاجتماعي كمفهوم سياسي عيني بحكم التزامه الحزبي ، ويتجاوز "الزمان" الدهري كمقياس موضوعي محايد يستطيع البشر عبر الممارسة الواعية في تجنب مخاطره خصوصاً إذا كانت قواه متخلخلة ونسبة قوتها متضعضة ، في بعديهما المحلي والعالمي ، والتدثر بدلاً من الالتزام بشروطهما الموضوعية ، بالتمسك في مفاهيم "المطلق" الميتافيزيقي ، في طلاق نهائي مع التماهي بعناصر الأفكار السياسية "النسبية" التي يفرزها الواقع التنظيمية .

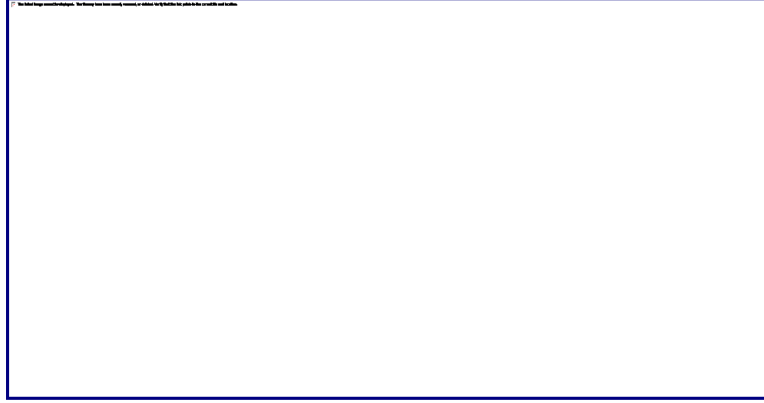
والإستخلاصات الفكرية الجزئية الهائلة التي لا يعرف أحد المتابعين ، ما هو وأين طرفيها خصوصاً المستمدة من الأفواه الدراخة التي لا تمرر أسنتها - قبل النطق والكلام - على عقولها المغروسة في رؤوسها : تلك العقول المتفكرة المتدبرة المتبصرة في الواقع السياسي والاجتماعي القائم ، حتى وإن ادّعت غير ذلك معوضة عن ملكة التفكير بلبس جبة العلم الفضفاضة ولف عمامة التفقه البليد ، بشكل تبريري وتعسفي ، فضلاً عن ضرورة الإنطلاق من فضائل الإخلاص الوطني والقومي والأممي الحقيقي

مصر القطر العربي الكبير هي موقع التجربة الوطنية الثرة تشكل المكان في التاريخ الحديث والمعاصر ، التي عمادها تجربة الثالث والعشرين من تموز ، والنصف الثاني من القرن العشرين هو الزمان : زمان حركات التحرر الوطني وسيرورة مفاهيم الحياد الإيجابي ووثائق مؤتمر باندونغ الفكرية والسياسية ، البعد العالمي يتجسد في القوة الأمريكية المركزية في منظومة التطورات القادمة واحتلالها القطب الرئيس في مركز الأحداث التي ستشهدا المنطقة العربية لاحقاً ، رغم ما يقال عن الصراع بين المعسكرين العالميين : الشرقي بقيادة الاتحاد السوفييتي والغربي بقيادة أمريكا وانعكاسات هذا الصراع الإستراتيجي على بلدان القارات الثلاث .

السياسية الكونية الأمريكية المنفلتة من كل الشرائع الدولية التي تعد المصالح السياسية للشعوب كلها ، تشكل عناصر سياستها هي الأطفى والأقوى والأغنى

والأوعى ، ومنبع المنطلقات لإستراتيجية السياسية بخصوص المنطقة العربية ولأسباب تاريخية مفصلية . . . وهي المصلحة الحيوية لكيان الإغتصاب الصهيوني فيما بعد حرب الإستنزاف وحرب أكتوبر ، أو وفق التعبير السياسي لأحد الكتاب الإستراتيجيين "في منطقتنا ، فإن القوة الأمريكية طليقة والقوة السوفيتية مقيدة ، أي أن - وإن كان مرهقاً - قد مالت كفته لصالح بما يعطي لإسرائيل حرية في الحركة ليس لها حدود" ، [محمد حسنين هيكل ، مبارك وزمانه ، ص 183] . من جهة . والرئيس جمال عبد الناصر هو الرائد على المستوى المصري والعربي والعالم الثالثي ، وخطه السياسي الممارس على الأرض هو التكتيف الفكري والسياسي المعبر عن الطبيعة التاريخية للمرحلة والرمز القومي العربي المعبر عن النهج السياسي لحركة التحرر العربية المصرية المتصادمة مع الإرادة السياسية الدولية العالمية الباحثة عن مصالحها الإستراتيجية . من جهة أخرى ذلك هو التاريخ الإجتماعي والسياسي العيني لرحلة المعاناة ، الإستراتيجية والتكتيكية ، التي قطعها شوط التقدم والتحديث والنهوض المصري بين العام 1952 - 1970 ، والتي عاصرها المؤلف الخرباوي ، لقد عملت القيادة السياسية الناصرية في سبيل الذات الوطنية المصرية والعربية القومية ، وفق الإمكانيات الإقتصادية والإجتماعية المتوفرة ، والممكنات الموضوعية والذاتية الإقليمية والعالمية ، ودون تناول هذا المعيار السياسي الموضوعي الأساسي بالتفحص المدجج بالتفاصيل ، التدقيق بالوقائع ، والتفكير الجاد المستغرق بالمسار التاريخي للتجربة ، وضرورة وعيها سياسياً عميقين ، فإن إستحضار كل المعايير الأخرى تبدو نافلة . لا شك في ذلك .

يتبع



### بين مفهوم المسلم ومفهوم الإسلام

إختيار الاسم المعبر عن المضمون لأية حركة أصيلة حق معروف لقادتها المؤسسين ، ومعتَرَف به أيضاً ، هذا هو دأب كل الحركات السياسية التي شهدت ولاداتها المنطقة العربية على الأقل ، فإسم الحزب الشيوعي يعبر عن تطلع الطبقة العاملة وامتلاكها لأسلوب الإنتاج وآليات التغيير الجذري المفترضة وفق المعايير الفلسفية للمادية الديالكتيكية والتاريخية . وحزب البعث العربي الاشتراكي الذي وُلِد في أربعينيات القرن الماضي كان يجسد مفهومه لنهوض الأمة العربية وتطورها الوحدوي لذا كانت شعاراته الوحدة والحرية والاشتراكية . وقريب منه كانت تسمية حركة القوميين العرب التي وضعت نصب عينيها تحرير فلسطين ومستقبل الوطن . العربي الفكري والنظري .

### هذا على المستوى المفاهيمي والنظري وبغض النظر عن الممارسة العملية والنتائج السياسية

لا تختلف حركة الإخوان المسلمين عن التوجهات الفكرية والسياسية الخاصة بها ناحية إختيار الاسم ، سوى مراعتها على البعد الإلهي باعتباره ملهم الفرد أو المكون الإجتماعي على كل الصعد ، لذا كان تعريفها بعد عقد على تأسيسها شاملاً مفاهيم دينية ومذهبية إسلامية وأبعاد إنسانية عدّة ، كونها : "دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، ومنظمة سياسية وجماعة رياضية ، ورابطة علمية ثقافية ، وشركة إقتصادية ، وفكرة إجتماعية" ، وتلك المعايير التي حملها التعريف المذكور هي دغدغة واعية لعواطف ومصالح كل الفئات الإجتماعية المكونة للشعب المصري ، فلكل فرد من أفراد هذه الفئات الإجتماعية المتراكبة في الواقع الإجتماعي المصري له نصيب فضفاض من الغنيمة الخاصة بهذا التعريف ، وهو حق لكل

فرد أن يجتني قسماً من نتائج الطموح الشخصي والفردى له ، سواء في الدنيا أو الآخرة ، . . حتى لو كان خياره التنظيمي يقتضي التضحية الشخصية

ولكن هذه الحركة لم تكتف بهذا الاسم والمفهوم المعبر عنه ، وإنما تجاوزته لكي تحتكر تالياً "مفهوم الإسلام" كله : كدين وتوجه وغاية إلهية وبشرية ، والفرق بينهما كمفهوم : المسلمين والإسلام ، بين وواضح وصريح ، إذ لا ينبغي "أن يختلط الإسلام في الأذهان بالمسلم فثمة مسافة بينهما" ، [ص 148 من الكتاب] ، والمعيار الذي كان يتحدث عن الشيخ حسن البنا كونه "كان فكرة ، كان إسلاماً ، كان رجلاً قرآنياً ، حتى أن الإخوان يطلقون عليه صاحب دعوة" ، [ص 149 من الكتاب] ، هو من قبيل الخطأ المعياري ، فلا يجوز البتة "خفض الإسلام ليتساوى مع رأس شيخهم { . . } ورغم حبنا للمصطفى عليه الصلاة والسلام فإننا لا نستطيع أن نقول : إنه الإسلام ، نعم كان ، ص ، قرآنًا يمشي على الأرض ، وكان خلقته القرآن ، ومع ذلك لم يقل أحدٌ عن الرسول ، ص ، أنه كان هو الإسلام ، ولكنه كان كما يقول عن نفسه : "إنما أنا بشرٌ فما حدثكم به من عند الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي ، فإنما أنا بشرٌ أصيب وأخطيء ، وليؤكد بشريته قال : إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة . الرسول إذن رجل من بني آدم وإن غلّت مرتبته على بقية البشر ، ولكن الإسلام عقيدة ولا يوجد في الإسلام مرتبة أخرى تجعل من المسلم إسلاماً أو [تجعله قرآنًا" ، [ص 149 - 150 من الكتاب]

والرسول الكريم - ص - هو الأسوة الحسنة والمعيار الرئيس بالنسبة لكل المسلمين ، إن لم يكن المعيار الفكري الأوحدهم كلهم ، إذ "لم يبعث الرسول ، ص ، بالإسلام ليبشر به الناس كـ"مشروع" هذه مصطلحات تحط من قداسة الإسلام لترفع قدر الناس ، لذلك يجب أن تعصف الحركة التي تسمى نفسها إسلامية ذهنها ، وتجدد مصطلحاتها لأن تجديد المصطلحات سيقود حتماً إلى تغيير الأفكار ، فلا يعقل أن تظل الحركة المسماة إسلامية أسيرة لاجتهادات ومصطلحات ما اجتهد فيه الآباء ، إنهم يفعلون مثل من قال : "وجدنا آباءنا لها عابدين" . [ص 170 من كتاب السيد الخرباوي] . والقرآن الكريم والحديث الشريف ذاتهما تناولا مفهوم : مسلم ، مسلمة ، مسلمون ، ولم يتداول مفهوم الإسلام أو الإسلامية ، [راجع الصفحتين 168 - 169 من الكتاب]

إذاً ، لم تكن حركة الإخوان المسلمين هي الحركة الممثلة للإسلام ، ولم تبق مجرد "دعوة وحكمة ووسطية وفهم واعتدال" ، [ص 23 من الكتاب] ، بل أصبحت في جوهرها الفعلي "جماعة إلغاء العقول" ، [ص 59 من الكتاب] ، وسادها "مرض الاستعلاء على الآخرين والتباهي بالكثرة وذم كل من خارج الجماعة وكأنهم ليسوا مسلمين" ، [ص 63 من الكتاب] ، لقد غدت "جماعة دعوية



ضلّت طريقها إلى السياسة ، زعمت أنها تريد أن تصلح السياسة بالدين . [فأفسدت دينها بالسياسة" ، [ص 92 من الكتاب

بل أصبحت جزءاً من حالة وعي فكري محددة وعامة تتجسد من قبل بعض قياديينها الحاليين على أنها هي الإسلام ذاته ، فكل من يعادون حركة الإخوان المسلمين "إنما يعادون الله ورسوله" ، كما قال السيد مصطفى مشهور ، وفق ما ورد ذكره على لسانه [ص 113 من الكتاب] ، وتناقلت أقانيم المطلقات التقويمية للآخرين رويداً رويداً حتى غدا الجميع باستثناء المنضويين تحت لواء حركة الإخوان المسلمين عبارة عن مكون اجتماعي صلد لا يأتيه الاختلاف الذي هو سنة الحياة الكونية من بين يديه ، وكما يورد : كتاب السيد الخرباوي على ص 307

- "خصوم الإخوان يكرهون الإسلام" - 1
- "المختلفون مع الإخوان لا يقبلون الحل الإسلامي 2
- "ينقمون عليهم أن آمنوا بالله العزيز الحميد 3
- "السلام عليكم هي تحية الإسلام" فلا يجوز إلقاؤها على المسيحيين 4

- "الليبراليون وأصحاب المناهج الأرضية أعداء الله 5

- "لا يجوز الترحم على أموات أهل الكتاب والمشركين والكفار 6

- "لا تحب المسيحيين لأن المرء يحشر مع من يحب 7

ويستشهد السيد الخرباوي بأحد الرموز الكبيرة والقديمة في حركة الإخوان المسلمين بغية بعث الطمأنينة على ما في قلبه وعقله ، كما يبدو - قبل أي معيار آخر ، ويستهدف إقامة الحجة ، كما اعتقد - على موقفه السياسي الجديد ، من جهة ، والبرهنة على صحة خياره الذي رسم مصيره الشخصي والتنظيمي : السياسي المستقل ، من جهة أخرى . وهذا الرمز السياسي السابق للإخوان أي السيد محمد محمود المحرزي ، يقول : "عندما فرض الحاج مصطفى مشهور سيطرته على الجماعة تغيرت وانقلبت إلى وجه آخر ، وجه قبيح لا نعرفه ، الجماعة الموجودة الآن ليست هي جماعة الإخوان المسلمين ، [ . . . ] ، أنا لا أعرف كيف يصبر الإخوان على الإدارة التي تديرهم ، إنها إدارة كاذبة مخادعة فاشلة تكفيرية ، أضاعت الإخوان يوم ولغت في السياسة ، جريمة أن تستمر هذه الإدارة في مكانها ، لقد رأيتهم وهم يتحدثون في التلفزيون فرأيت الكذب يقفز منهم قفزاً ، إي وربي إنهم يكذبون كما يتنفسون ، والمأساة يا أخي أنهم يعرفون أننا نعرف كذبهم ولكنهم لا يأبهون ، هذه الإدارة

تشكل فيما بينها جماعة "الإخوان الكذابون" . [ص 269 من كتاب السيد  
[الخرباوي .

في أية حال أنَّ المسألة من وجهة نظري هي أبعد تاريخيا مما جرى تحديده بلسان  
السيد محمد مأمون المحرزي أحد الرموز التاريخية من جيل الرواد ، ولكن المهمة الآنية  
لدينا ، والتي تتمثل باستعراض الكتاب تعفينا من مناقشة لمسألة الأبعاد التاريخية  
للإنحراف الإخواني ، ولكن لا بد من العودة إلى قضايا النواحي التكفيرية عندهم في مرحلة  
خروج السيد الخرباوي من قفص التنظيم الحزبي ، ورميها بوجه كل مَنْ لا يوافقهم على  
. آرائهم السياسية والحزبية الراهنة .

### - 3 -

## جذور الفكر التكفيري : تطوره وتجلياته



التركيبة التاريخية الخاصة بمصر أفرزت واقعاً فكرياً فيما يتعلق بدور الشخص الأول أو الرئيس في أية ظاهرة سياسية على وجه التحديد ، في تفرده بالقرار الفكري والسياسي ومن ثم تعميمه على الكل المنضوي تحت سلطته المادية والمعنوية ، خصوصاً الشخصية القوية الكارزمية ، ونزول ذلك القرار من القمة عبر السفوح إلى الأدنى ، إنه أشبه بالتكوين الهرمي الذي أنشأه الفراعنة في الماضي الزمني السحيق .

حركة الإخوان المسلمين لا تختلف في مضمونها عن هذا الاتجاه الفكري في مصر ، ورمزها المؤسس قد استعبد القواعد كلياً إلا من عصمه الوعي الفكري النفاذ ، لذا فإن التدقيق والمعاينة المركزة ينبغي أن يرجع فيها الباحث الجاد إلى البحث والمناقشة في أواليات رؤية المرشد والمؤسس الأول على صعيد تكفير الآخرين وإملاكه حس العصمة وعدم الوقوع في مطب الزلل والانزلاق نحو مواقع الخلل وارتكاب الخطأ البشري ، "فكل من أنشئوا حركات أطلقوا عليها حركات إسلامية هم من التكفيريين بقدر أو آخر ، يضيق التكفير عند البعض ويتسع عند البعض الآخر ، وحسن البناء لديه نوازع للتكفير لا ريب في هذا حتى لو قال غير ذلك في أدبياته ، ولكن التكفير يقفز في وجوهنا من رسائله في أحيان كثيرة ، [ . . . في رسالة التعاليم حيث يقول ] ، في البند الخامس والعشرين من الرسالة وهو يوجّه تعليماته للإخوان وما يجب أن يفعلوه في حياتهم : "أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي ، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي [ . . . ] ، تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة

لم يكن ، إذن ، سيد قطب هو أول مَنْ إبتدع جاهلية المجتمع والانعزال عنه ، ولم يكن شكري مصطفى منتجاً لأفكار خاصة به وهو يدعو إلى هجرة المجتمع الكافر الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، ولكنه استمد بعض أفكاره من رسالة التعاليم هذه ، وستجد في التعليم رقم 37 أيضاً : "أَنْ تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الإتصال بها في مصلحة فكرتك وخاصة إذا أمرت بذلك" . هذه يا بُني لمحات تكفيرية واضحة الدلالة وستجد في فكر البنا أشياء كثيرة لن تجد لها إلا تفسيراً واحداً ، هي أَنَّ فكر التكفير كان مختبئاً في ضمير البنا لم تظهر منه إلا بعض فلتات ، لذلك كانت للإغتيالات التي قام بها النظام الخاص تبريرات شرعية عند الإخوان .

يا لها من مفاجأة ، داخل حسن البنا الداعية الوسطي المعتدل حسن بنا آخر لا نعرفه ، هو حسن البنا التكفيري الصغير " ، هكذا يستخلص [السيد الخرباوي ، ص 275 - 276 من كتاب السيد الخرباوي

ولكن ، كيف أصبحت التركيبية القطبية "الجديدة" إن صح التعبير ، المظهر الرئيس في قيادة الإخوان وباتت توزع أحكامها القيمية باسم الإسلام على الآخرين ؟ يقول السيد الخرباوي التالي : "قبل وفاة المرشد عمر التلمساني أخذت بعض الأشباح تتسلل إلى جماعة الإخوان لتأخذ مكاناً ومكانة ، كانت هذه الأشباح تسير في ركاب الحاج مصطفى مشهور الذي كان قد عاد إلى البلاد عام 1985 م بعد رحلة هروب استمرت عدة سنوات ، وكان أخطر مَنْ حظ رحاله في مصر قبيل وفاة عمر التلمساني هم محمد مرسى ، خيرت الشاطر ، محمود عزت ، محمد بديع ، كانت وجوه هؤلاء غريبة على مجتمع الإخوان ، إلا أَنَّ الحاج مصطفى مشهور أعطاهم منديل الأمان .

فجعل من محمود عزت مسؤولاً عن قسم أساتذة الجامعة بدلاً من عبد الستار المليجي ، وتولى محمد بديع مسؤولية قطاع كبير من الصعيد بدلاً من الحاج حسن جودة رغم أنه من المحلة الكبرى ، وأسند لخيرت الشاطر ملفات مهمة إلى أن ولاه مسؤولية القاهرة ، وجعل من محمد مرسى أحد المسؤولين الكبار في الشرقية إلى أن تولاهما بدلاً من الحاج سعد لاشين ، وبهذا قفز عام 1965 برجاله إلى عام 1986 م ليستبدل أفراداً ورؤى وتوجهات ، والحق أَنَّ عام 1965 م لم يستولِ كلية على عام 1986 م فقد إتبع سياسة خطوة خطوة ، [ولكنه أصبح يحكم الإخوان بعد ذلك" ، ص 100 من كتاب السيد الخرباوي

في أية حال ، لقد اعتبرت جماعة الإخوان المسلمين "الموسيقى زندقة" ، والآداب العالمية محرقة ، والفنون شيطنة ، تربت هذه الأجيال فكراً على أَنَّ الديمقراطية حرام ، والليبرالية كفر ، فتحت هذه الأجيال

رؤوسها ليتم حشوها بكراهية كل المناهج السياسية والاجتماعية التي ابتدعها الإنسان لنفسه ، فهمت أننا نعيش في جاهلية أشد ضراوة من جاهلية القرون الأولى وأن القوانين التي وضعناها لأنفسنا لتنظيم معاشنا هي الطاغوت والكفر ، فهمت "إن الحكم إلا لله" على نحو يخاصم إجتهاادات البشر ، ليس لنا أن نجتهد لأنفسنا وكيف نجتهد والله هو الحاكم الحكم ، فهمت الله على غير مراد الله ، الله هو الذي لا يرحم إلا هم ، ولا يغفر إلا لهم ، ولا يدخل الجنة سواهم ، أما النار فقد خلقها الله لغير الإخوان ، الإخوان هم شعب الله المختار ، ولعلك لا تقرأ هذا في كتاباتهم ولكنك ستراه في أفعالهم" ، [ص 300 - 301 من الكتاب] .

تصفح أيها القاريء المتابع بعض ما تقوله قيادات الإخوان "تجد منهم من يقول عن الليبراليين (الليبراليون فوضويون ، أتباع مكيافيلي ، ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، خمور ومخدرات ، أو شذوذ أو دعارة ، أو إحتكار أو صفقات من أي نوع ، أو زراعات من أي نوع : خشخاش أو بانجو ، أو تجارة في البشر أو بيع للآثار أو أرض الوطن ، أو إنشاء مزارع للثعالب ، ومزابل للخنازير ، هؤلاء ليسوا مسلمين وإن صلوا وصاموا وحجوا البيت ، وقرأ ما كتبه الحاج مصطفى مشهور عن الديمقراطية والتي اعتبرها شركاً بالله ، وقرأ تصريحات محمود غزلان ومحمد بديع ومحمود عزت وغيرهم ، هل تعرف ماذا قال أحدهم عن الناصريين وعن حمدين صباحي وحزبه الكرامة ؟ قال : إنهم شيوعيون ، أتباع ماركس ، ولينين وإنجلز ، وماوتسي تونغ ، وهنري كوريل مؤسس الحزب الشيوعي المصري "حدثو" ، وجيفارا ، وفيدل كاسترو في أمريكا اللاتينية ، إنهم ملاحدة لعنهم الله في كل دين" . [ص 312 - 313 من كتاب الخرباوي] .

و"الهضيبي كافر ، وإن كتب الله لك عمراً ستراني أحكم العالم بالإسلام ، سيقول العالم إن شكري مصطفى هو من ميراث النبوة ، وسأملأ أنهار بحار العالم بدماء الكفار ، وسأعيد الخلافة وستكون القدس هي عاصمة الخلافة" ، [ص 192 من

. [كتاب السيد الخرباوي]

أما محمود عزت : الشخصية لإخوانية المتنفذة في التنظيم فيؤكد بضربة من الأوهام الفظيعة وكمشة من التلفيقات المخجلة والأكاذيب المكشوفة على التالي ، أن "ما يحدث في هذه الأيام يعتبر نزهة جميلة بالنسبة لما كان يحدث لنا ونحن في سجون عبد الناصر ؟ ، لم تكن هناك تحقيقات مثل هذه ولا محامون ، [ . . . ] ، كانوا يتعمدون لإذلالنا ،

أتعرفون لماذا كانوا يفعلون ذلك ؟ لأنهم تلقوا الأوامر بهذا من الكافر جمال عبد الناصر ، أو تعرفون لماذا فعل عبد الناصر هذا ؟ ، لأنه تلقى الأمر بذلك من أسياده الملحد في روسيا ، أصدر عبد الناصر أوامره بالقبض علينا من موسكو طاعة منه للكفرة ، والآن تلقى مبارك أوامره من أسياده في أمريكا وأصدر أوامره بالقبض علينا ، روسيا الملحدة في الستينات ، وأمريكا الكافرة في التسعينات ، [ . . ] ، أمريكا هي الطاغوت الأكبر في العالم وهي لا تريد للإسلام أن يرتفع شأنه ، أمريكا تعلم أننا لو حكمنا سنقضي على إسرائيل ثم سنتجه صوبها ونقضي على قيادتها للعالم، الإخوان يا أخ عاطف سيقومون دولة الإسلام ثم سيحصلون لهذه الدولة على أستاذية العالم ، وأمريكا تعلم ذلك ، لذلك هي تحرّض علينا نظامنا الكافر" ، [ص 212 - 213] من كتاب السيد الخرباوي .

ولكن لم تنقُض سنوات عدة حتى رأينا الحركة وقادتها الذين تحدثوا عن الطاغوت الأمريكي المعادي لهما يعقدوا الاتفاقيات معها ، والرسالة المرسلة من واشنطن إلى خيرت الشاطر : القيادي الإخواني المتنفذ والمعروف تدلل على هذا التوجه وطبعاً كيان الإغتنصاب الصهيوني والموقف السياسي منه هو جواز المرور لها في واشنطن ، تقول الرسالة :

**"Dear B**

**السلام عليكم ورحمة الله .**

**تحياتي وأشواقي لجميع الأخوة ، وبعد .**

**كانت الجهود التي بذلها دكتور برونلي أثراً طيباً في تقريب وجهات النظر إلى حدٍ كبير إلا أنه ما زالت بعض الاختلافات في وجهات النظر ، وقد ظهر لي أن مستر إيرلي متعنّاً إلا أنني أوضحت للإصدقاء الآتي :**

**1 - لن نغير خريطة المنطقة السياسية .**

**2 - نتعهد بالحفاظ على كل المعاهدات والاتفاقيات (أبدى الأصدقاء**

**سعادتهم بتصريحات المرشد عن إسرائيل وقالوا عنه He is a**

**( respectable man : ) .**

**3 - نقبل وجود إسرائيل في المنطقة ( وقالوا أنه ينبغي ألا ننظر إلى**

**إسرائيل كما تنظر الحكومة إلينا فلا هي محظورة ولا نحن محظورون) .**

**4 - أوضحت لهم إصرارنا على أن تقوم الإدارة الأمريكية بدعم التحول**

**الديمقراطي بالمنطقة وقد ظهر لهم من نتائج المرحلة الأولى أننا أصحاب**

**الرصيد الجماهيري .**

**وقد أوضح الأصدقاء :**

1 - سعادتهم بجرأتنا في تناول قضية الحوار مع أمريكا وأنّ التناول كان واقعياً إلا أنهم أبدوا إستياءهم من مسألة أنّ الحوار ينبغي أن يتم عبر وزارة الخارجية المصرية ، وقالوا : إننا ينبغي أن نتخلص من هذه النغمة .

2 - أوصوا بطرح مسألة الحوار مع أمريكا على أوسع نطاق حتى تصبح أمراً واقعياً ، وقتها لن يبحث الناس عن شرعية الحوار **ولكنهم سيبحثون عن نتائج الحوار** .

3 - يجب أن يقدم الإخوان الحزب وأن يكون هذا في خلال عام ، وسيمارس الأصدقاء ضغوطاً على الحكومة للموافقة عليه .

4 - تدعيم الحوار مع الحزب الوطني والتنسيق معه في القضايا الكلية ولا مانع من الاختلاف في الفرعيات .

5 - ضرورة الحفاظ على الكيان الحاكم وعدم خلخلته دستورياً أو شعبياً وعدم المساعدة في أي تجمع يسعى إلى إحداث خلخلة في النظام .

وينتظر الأصدقاء سفر د . العريان إلى بيروت في النصف الأول من ديسمبر لإكمال الحوار وإن لم يتم سيحضر إليكم صحفي أمريكي وسيقدم نفسه تحت اسم "جون تروتر" بوكالة " S . O . M " مطلوب أن يجلس مع الشاطر وعزت .

حامل الخطاب الأخ حسان وهو من السودان .

أرجو عدم الثقة بأي شخص من CATR

والسلام عليكم ورحمة الله .

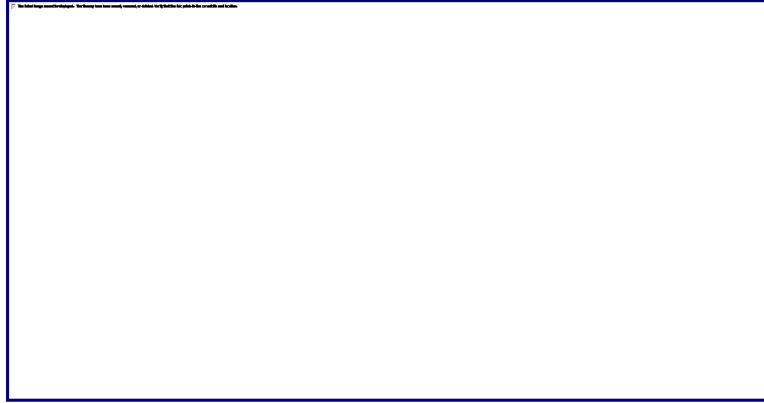
أخوكم

H . a

[ص 138 - 139 من كتاب السيد ثروت الخرباوي . تجدر الإشارة إلى أنّ صورةً طبق الأصل ومكتوبة بخط اليد ، قد نُشرت على الصفحات 242 ، 243 ، 244 ، 245 . من الكتاب ذاته ] .

- 4 -

### شذرات منتقاة من كتاب السيد ثروت الخرباوي



البرنامج السياسي الوطني الذي يعكس درجات التطور السياسي والفكري للمجتمع ،  
والذي يحاول واضعوه الذين يمثلون القوى السياسية المحددة في ذلك المجتمع ، تغيير  
أوضاع وطنهم وحياة شعبهم نحو الأفضل والأحسن ، هو معيار محاكمة الظواهر  
السياسية والاجتماعية ، وهو المنظار الذي تُرصد ملامح جدية أية قوة  
وطنية ، وعلى ضوء تلك المعايير حاولنا القراءة النقدية لمضمون الكتاب ، والبرنامج  
الوطني هو الوثيقة السياسية التثقيفية لأعضاء التنظيم والصورة الفكرية



والسياسية التي يتقدم أي مشروع سياسي لبقية أبناء الشعب ، فهل تنطبق : مؤشرات الشذرات التالية على تنظيم حركة الإخوان المسلمين ، لنر ذلك - "هل قال التاريخ إن حسن الهضيبي وحده كان ماسونياً ؟ أو أن سيد قطب ارتبط1

معهم بصلات وكتب في صحفهم ؟ لا ، مصطفى السباعي مراقب الإخوان في [سوريا كان ماسونياً هو الآخر .] ص 29 من كتاب السيد الخرباوي

- يورد الكاتب قصة الكذب المعلن للسيد المستشار مأمون الهضيبي وتعبده لله بأعمال 2 النظام الخاص قبل الثورة ، ويكشف عن حديثه المتلفز أمام الجماهير من خلال فيلم فيديو ، ومحاولة السيد الهضيبي نكرانه للحدث والحديث كله ، وهي وقائع قصة درامية . [وشيقة إستغرق عرضها الصفحات 65 - 92 من الكتاب

- إقدام الإخوان على قتل حتى أفراد تنظيمهم : لقد "قتلوا وفجروا واغتالوا ، كله باسم 3 الإسلام ، حتى إنهم قتلوا أحد أفراد الجماعة دون أن يكون لديهم ذرة من دين أو خلق ، قتلوا سيد فايز وابنته ، إذا فرض وكان سيد فايز أجرم في حقهم جدلاً ، وإذا فرض وكان جرمه يوجب قتله ، فما ذنب تلك الطفلة الصغيرة التي غلفوا لها الموت ووضعوه في علبة حلوى وأعطوها الهدية المفخخة ، وما أن فتح فايز الهدية حتى انفجرت فيه وفي ابنته فماتا وهما يشتركيان تلك القلوب الفاجرة ، ولكن هل فعل النظام الخاص شيئاً غريباً عليه عندما اغتال تلك الطفلة ؟ لقد كان يعبر عن نفسه ، الموت المغلف داخل علبة حلوى ، مظهر الغلبة من الخارج جميل ومبهر ، سيحب الشعب هذه الهدية ، سيقولون : إنها فاقع لونها تسر الناظرين ، سيأخذون الهدية في أحضانهم ولكنهم لا يدرون إنهم يحتضنون الموت ، هدية النظام الخاص لمصر مثل العلبة القاتلة ، هدية مغلفة بالدين وآيات القرآن وأحاديث الرسول ، ص .] ، ولكن الموت يسكن داخله" ، ص 107 - 108 من الكتاب

- خلط الأوهام الذاتية على طريقة رؤية الفرد لنفسه بالمرآيا المحدبة ... خلطها بالكذب 4 والدجل ونشرهما على الملأ الذين غيبوا عقولهم وباتوا يرددون الأخبار كالببغاوات من قبيل التالي : "حسن البنا صنع لنفسه شعبية غير مسبوقة في التاريخ الحديث ، فاقت شعبية جمال عبد الناصر وغاندي ، ولا يوجد أحد في العالم إلا وهو يعرف مَنْ هو حسن البنا ، ولعلك يا أخ ثروت قرأت مذكرات الشهيد سيد قطب رحمه الله ، تلك المذكرات التي قال فيها : إنه حينما كان في أمريكا وعرف بمقتل حسن البنا وجد أن كل مَنْ كانوا في المستشفى التي دخلها للإستشفاء من مرض صدره أبدوا سعادة لمقتله" ، [ص 110 من كتاب السيد الخرباوي] ، لا شك أنه شعور بالنقص في قلوب الإخوان المسلمين ، ومتأصل في الذات الإخوانية الحاكمة تجاه شعبية الرئيس الفقيد جمال عبد الناصر التي أرجعته الجماهير المصرية العريضة غداة الهزيمة العسكرية المدوية في أعقاب الخامس من

حزيران في عام 1967 . . . أرجعته إلى سدة الحكم وهي تهتف : هنجارب . . . هنجارب .

- وحسب أقوال مصطفى مشهور التي صرح بها لجريدة "أهرام ويكلي" حول ولاء 5 المسيحيين لمصر وضرورة دفعهم للجزية : "أفوضك يا مختار أن تفعل ما تراه مناسباً وأن تقول على لساني ما تشاء ، قولوا في الصلح ما تريدون ، ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئاً فـ"النصارى" يجب أن يدفعوا الجزية ، ولا يجوز إدخالهم الجيش ، فكيف يدخلون الجيش ويدافعون عن مشرونا الإسلامي وهم لا يؤمنون بالإسلام ، الجزية رحمة ربهم ، وهذا هو تشريع الله ، هل نغير من تشريع الله " ، لا يجوز أن نقول عنهم "مسيحيون" فالله لم يقل عنهم هذا ، هم نصارى ، أو أقباط أو صليبيون . هؤلاء الأقباط ليسوا من أهل الكتاب بل هم من [المشركين ، ولا يجوز الزواج منهم ولا أكل طعامهم" .]ص 115 من الكتاب .

- وحسب أقوال سيد قطب في شأن المواريث من تلك الأقوال التي وردت في كتابه في 6 ظلال القرآن ، تأكيده على التالي : "ويدخل في إطار المجتمع الجاهلي (الكافر) تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها إنها مسلمة لا لأنها تعتقد بالوهمية أحد غير الله ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله ، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها ، [ . . . ] ، لا نجاه للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقدياً وشعورياً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله بقيام دار إسلام تعتصم بها ، وإلا تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية" ، [ص 120 - 121 من كتاب [السيد الخرباوي .

: - يقول السيد المؤلف وهو يصور محنته الذاتية ما يلي 7 تحكي أسطورتى أنه ذات يوم منذ زمن بعيد تسربت روي فدخلت جماعة الإخوان المسلمين ، وذات يوم تسربت روي فخرجت من تنظيم الإخوان وبين الزمن والزمن كانت لي أيام أبحث فيها عن الكنز الأسطوري ، وكلما ظننت أنني إقتربت منه وجدته قد ابتعد عني بمقدار ما إقتربت منه ، تحكي أسطورتى أنني وأنا أبحث عن الكنز صرتُ . من الإخوان . . . وصار الإخوان مني .

. وفي الإخوان نزفت نفسي .

. وللإخوان سكبت نفسي .

وفي الإخوان نسيْتُ نفسي . . . فتلاشيْتُ . . . كقطرة ماء تبخرت" ، . [ص 15 من الكتاب .

ولكن ما لا يلتفت إليه المؤلف هو إنقطاعه الكلي عن الثقافة العربية وبالتالي الاستفادة من شواهد الغنية في ترصين رؤيته النقدية وتعميق ملاحظاته الفكرية ، وإذا ما تجاوزنا إستشهاداته الشعرية الموحية بقوة ، وهو موروث عربي إسلامي ، فإنّ التأثير بالروايات الغربية والقراءات الأوربية التي غالباً ما يستشهد بها في كتابه ، هي عماد ثقافته المتغربة عن الواقع التاريخي العربي وتراثه الإسلامي المضيء ، وبقينا أنّ الحركة التي تحزب لها قد قطعت السبل بينه وبين سيرورة أمته العربية وعالمه الإسلامي على هذا الصعيد . . . . . صعد التأثير بالثقافة الغربية والإنقطاع التام عن ثقافته العربية .

... إنتهى عرض الكتاب

إسم الكتاب : سرّ المعبد : الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين

إسم المؤلف : المحامي ثروت الخرباوي . الإشراف العام داليا محمد إبراهيم .

عدد الصفحات : 357 ص . من القطع المتوسط

الطبعة العاشرة ، ديسمبر / كانون الأول 2012

جميع الحقوق محفوظة لدار النهضة

منطقة المهندسين - القاهرة - جمهورية مصر العربية

### 3 - الإخوان المسلمون عندما يحكمون !!!

عشية ذكرى ثورة يوليو 2013

#### - 1 -

بين الواقع المرئي والملموس أو المحسوس، من جانب، والمقدس الغيبي المتعلق بالقناعة الشخصية، من جانب آخر، على مستوى الفعل اليومي والنتائج السياسية، مسافة نوعية شاسعة، إن لم نقل متناقضة في الوسائل والأهداف، تتعلق بحقلي الفعل والضرورة والنتائج والخواتيم، مثلما ترتبط بمفاهيم يشكل الماضي التليد محتواها الفكري والسياسي ، من ناحية، أو العمل في سبيل المستقبل لصالح الوطن والشعب والأمة من ناحية أخرى، وترتبط - كذلك - بالنشاط الإنساني : الفردي أو الجماعي : كشعوب وأمم ، من جهة ، وبين الهبة الربانية والمعجزات ومنطق كن فيكون عبر الوحي أو الملائكة ومن ينوب عنهما في عصر النبوة . وهو عصر إنتهى بوفاة الرسول محمد بن عبد الله - ص - من جهة أخرى .

وإذا أخذنا أمثلة عثمان بن عفان حول إدعائه بأبديّة تمسكه بمركز الخلافة كونها منّة إلهية -، "البسينها الله" ورفضه الإستجابة لأمر الثوار أو المحتجين، وقرارهم بضرورة إنهاء الإنحراف عن جادة الإسلام، وعدم الإستجابة لنصائح بعض المستشارين المخلصين حول ضرورة قطع شأفة الزمر الأموية الفاسدة، والإلتزام بسيرة الرسول - ص - ونهج الخليفتين الراشدين: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، اللذين تعهد الخليفة عثمان بالإلتزام بسيرتهما .

لقد تصاعدت مطالب الثوار والمحتجين خلال السنوات الست الأخيرة من حكمه ، [1] ، مثلما لعب مروان بن الحكم دوراً أساسياً في مفاكمة الخلاف وتعميق أزمة الحكم ، فالنتائج التاريخية التي ترتبت على نتائج الأزمة ستفرز، "فتنة دينية وسياسية كبرى" مديدة ما يزال الشعب العربي وغيره من الشعوب الإسلامية تعاني من بعض نتائجها الدامية ويحيا في ظلال فصولها العملية المأساوية، وستغدو مقولة "أهمية الدم الإنساني أكثر قداسة من هدم

الكعبة"، مقولة نافلة لا محل لها من الإعراب، وكذلك عديمة الجدوى رغم استمرار إستذكارها وترديدها من قبل غالبية العلماء المسلمين على إختلاف مللهم ونحلهم : صادقهم ومدلسهم ، سواء بسواء .

فملايين البشر قد سُفحت دماؤهم على أرضية دواعي تلك الفتنة المسلحة الرهيبة الفظيعة بمقياس أحداث تلك المرحلة الهامة من عمر تأسيس الدولة الإسلامية، وتفاعلاتها في زمن كان مثال النبوة المحمدية ما يزال شاخصاً ومؤثراً ، ومضمون أفكار ومبادئ خطبة "حجة الوداع" مجسّدة وباقية في الأذهان ، ولم يمنع إنتقال ممارسات الدرة والخيزرانة العمرية إلى السوط العثماني جلياً فظيلاً ، [2] ، وإصطفاء بعض رموز العشيرة الأموية في تعيين العمال أي الحكام المتسلطين على بعض الأقاليم والمناطق، من دون توفر شروط الأسبقية والصلاحية والإستقامة، وكل ذلك دلالة على العجز في الإدارة الحقة لشؤون وأمور المسلمين، في ظرف تاريخي يعترف المجموع مثاله الحسي الذي يدلل به على صواب نهجه وصدق رؤيته بـ"آية من القرآن" الكريم مُجْتَزَأً معناها الحقيقي من سياقها وجوهرها، أو الإستشهاد بقول نبوي، صادق أو مفترى، مقتطع من ظرفه التاريخي .

وكذلك من أجل البرهنة على صحة وجهة نظره، وإثبات كونه على حق ، والنص المقدس يقف إلى جانبه .

وإنّ وساخات الدنيا التي يسمونها السياسة العملية ونتائجها الفعلية، ليست هي المعيار الأصوب في التقويم عندهم، بالقدر الذي تتعلق فيه الأمور بالفرد والجماعة، والتاريخ غير ذي أهمية طالما كانت فلسفة التاريخ المثالية التي تقول: كان ينبغي أن يكون، هي الأساس في القراءة الكلية للأحداث المتتابعة والمتراكمة والتي يكمل بعضها البعض، غالباً، وتلك هي مأساة التأليف التاريخي عند الذين هيمنت الرؤية الأيديولوجية على رؤوس وأذهان البعض المعمم ومن يسير وراء أسلوبهم ويتبع نهجهم، وكذلك إستبظنت عقولهم المشدودة إلى الفلسفة المثالية وإن لم يشعروا، وتلبست عواطف أصحاب القدسية التاريخية في الحق والباطل، ولا عبرة في الأحداث والدماء وعدد الضحايا أيضاً .

وفي العصر الحديث أو العالم المعاصر، إكتشفنا العجب عندما أحلنا "وثن" الشرعية الإنتخابية الذي حلّ محل الإرادة الشعبية، في تحديد مصير البشر

المجتمعي والوطن المحدد، ورحنا نستحضر الكذب والأقوال التبريرية للبرهنة على صحة قرارات ذلك "الوثن" الصانع للأحداث، كما يفترضه بعض المتأسلمين في مصر، دون أن ترف لهم عين من سقوط ضحايا أبرياء وإستمرار نزيف الدم عند الضحايا، أما نشاط ملايين الأفراد المتظاهرين في كل مصر، وقراراتهم السياسية الحاسمة، وشعاراتهم المرفوعة الهادرة، فلا أهمية سياسية لها ولا ضرورات إستراتيجية إليها .

وإستجابة الجيش المصري: القوة العسكرية المنظمة والمسلحة، لرؤية الجماهير السياسية التي صنعت التاريخ الإنساني المصري في السنوات الأولى من العقد الحادي والعشرين، فليست بذى بال وتمتلك وتمتلك أية أهمية، طالما يحوز البعض على حجية "المقدس" المربوطة بالحياة الكثة، ومظهر الثوب القصير في ذيله السفلي ، والزبيبة السوداء المطبوعة على الجبهة، من ناحية، وليس منظومة الفعل والعمل والسعي والإرادة البشرية، من ناحية أخرى .

إنَّ فرض الرؤية الأيديولوجية على الإرادة البشرية ترتبط، بهذا الشكل أو ذاك، بحقيقتي "رؤية المقدس" أو "الفعل البشري".

## - 2 -

في دلالة بينة مطروحة أمام الجميع حول المقدس في رؤية وممارسات البعض نتوقف عند المثال السياسي التالي الذي يورده شقيق حسن البنا : "مؤسس حركة الإخوان المسلمين" السيد جمال البنا في كتاب هام أصدره في نهايات عمره المديد الذي ناف على التسعة عقود، حول ما يسميه البعض المتأسلم شعار "الحاكمية الإلهية" ودوره في إحداث الفتن المديدة والصراعات المسلحة الدائمة، إذ يورد الحقيقة التالية: "وعندما بعثت هذه القالة تكررت المأساة، وإستغلها بعض الأفراد الأذكياء للسيطرة على شرائح من السذج وتحكموا فيهم. فإذا كانت الشعارات من نوع "الحاكمية الإلهية". . و "العبودية لله" تكسب الجموع وتثير الحماسة فإنها عملياً لا تعني إلا الضلالة والانحراف عندما يأتي الأمر للتطبيق . ولو إنتصرت دعوة سيد قطب - رحمه الله - لأوجدت أسوأ الطغاة الذين يفرضون ضيق الأفق والغباء والتعصب و "اللاعقل" على الناس جميعاً"، [3] .

والقيادة الإخوانية القطبية التي رمزها السياسي الرئيس المصري المعزول السيد محمد

مرسي، تعيش في خيالاتها الأيديولوجية المريضة، قد شكلت المثال الحسي على تجربة معاشة في إدارة “حكم ديني مفترض” لشعب مصر، الشعب الذي لفظ سلطة الإخوان في الثلاثين من حزيران عام 2013، كما تلفظ الأفواه البشرية نواة التمر، ما تزال تصرُّ وتعتقد أنها تحتفظ بما قرره -”وثن” الشرعية الانتخابية من دون إعطاء الشرعية الشعبية حق تثبيت الحكام على كراسي الحكم أو الرفض لهم، طالما خالفت منطق الشرعية البشرية التي أصعدتها لمنصة الرئاسة وفرضت دستوراً لا يستجيب لرغبات الشعب، ونصبت رئيساً معصوماً أبدياً لا يخطيء، كما حدث في 2012/11/21 .

النوايا العقلية والقلبية لا يعلمها إلا الله، وربما تتعلق بالمقدس الذي يعلن فيه حزب الإخوان عن إمتلاكه صكاً أبدياً لشغله مركز الرئاسة المصرية، ولكن الممارسة العملية هي المعيار المناسب عند الشعب بمختلف إلتزاماته الأيديولوجية وتكويناته الإجتماعية، خصوصاً الدينية الحقيقية منها التي عبر عنها السيد شيخ الأزهر والسيد بابا الكنيسة القبطية .

وخلال عام واحد فقط من حكم السيد مرسي وإدارة شؤون النظام، كانت كل الأرقام والمعطيات المعيشية تتدهور نحو انحطاط عميق لا قرار له، ولا نهاية لتوقفه على كل المستويات، والأخونة لكل مؤسسات الدولة تسير سيراً حثيثاً على قدمٍ وساق، والعلاقات الدبلوماسية الخارجية تقتصر على رؤية الأنظمة المحكومة بالإخوان كتركيا وقطر وحلفاء أمريكا . ونشر عقلية التفتيت الطائفي في مصر غدت مستشرية، وباتت القوط المالية السمان هي المتحكمة في السوق، وكلها ظواهر مرصودة جيداً من قبل كتّاب ومتقفي مصر .

لقد وضع جميع المتنفذين في السلطة الحاكمة لمصر أصابعهم في آذانهم لا يستمعون عملياً إلى أي رأي سياسي حصيف، بل يعدونه مجرد صدّى لتأمر خارجي، ومنصب الرئاسة يخضع لتعليمات وتوجيهات مكتب الإرشاد الذي أنشأ أعضائه على عقلية “السمع والطاعة”، مما جعل الحكم يعيش طوال عام واحد متخبطاً بالمعايير المزدوجة . . . إلخ .

لقد أنزلوا المقدس الإلهي من السماء العليا إلى نطاق أرض القصر الرئاسي وطبقوا قناعاتهم الفكرية والسياسية على المجتمع الأرضي من دون حسيب أو رقيب، وباتوا يحملون التهم الجاهزة ضد كل من لا يرى رؤيتهم السياسية، ويتهمونه بمخالفته

للإيمان الإسلامي والشرع الديني والسنة النبوية، وكان ذلك صدى لما وقر في عقولهم وقلوبهم من أي خصم سياسي لهم يكره الإسلام، وإن المختلفين معهم يرفضون الحل الإسلامي، وذلك الرفض نابع من نقمة البعض عليهم لأنهم يؤمنون - ربما وحدهم - بالله الواحد، كما يذهب إلى ذلك القائد الإخواني السابق، السيد ثروت الخرباوي في كتابه سر المعبد ، [4] . وعندما خرجت جموع الشعب المصري، في تظاهرة جماهيرية فخمة ونادرة في السجل التاريخي العالمي الحديث والمعاصر، لجأ قادتهم وبعض أنصارهم إلى فرية “وثن” الشرعية الأبدي، والزعم الكاذب بحدوث إنقلاب عسكري، في حين يدرك كل من يتمتع ببصيرة واعية أن الجيش لم يتدخل إلا لمنع وقوع فتنة عبثية مديدة .

ولكن في حقيقة الأمر، إن قادة الإخوان المسلمين يستهدفون التغطية والتستر على أفعالهم السياسية التي ناقضت جذرياً كل دعايتهم الدينية والسياسية السابقة، فمن تعاونهم مع كيان الإغتصاب الصهيوني على مستوى الفعل السياسي المباشر وغير المباشر، وبيعهم لقسم من أراضي سيناء للأمريكيين التي ما تزال تفاعلات الصفقة المكتومة مصرياً تناقش في الكونغرس الأمريكي ، كما بثت تفاصيلها بعض القنوات الفضائية، [5]، وبيع بعض المشاريع التجارية والإقتصادية لقطر، والتعاون الإستراتيجي والأمني مع الولايات المتحدة كما نوه عنها توثيقاً السيد ثروت الخرباوي على الصفحات من كتابه المذكور أعلاه، [6]، وغيره الكثير .

للمرة الثانية تستجيب جماهير الشعب المصري المسحوقة للرد على محاولات إخراج مصر من أبعادها التاريخية المرتبط بعمقها الحضاري والقومي، وكذلك الرد بحزم على محاولات تدميرها الجغرافي .

وكان الأول منها: يوم خروج مصر الجماهيري بعيداً نكسة الخامس من حزيران عام 1967 وهي تهدر: هنجارب ... هنجارب، وأعادت القائد السياسي لمصر إلى موقع قائد معركة الإستزاف والإصرار على مواصلة عملية تحرير مصر .

والثاني : الذي تمثل بالطوفان الشعبي غير المسبوق في 30 حزيران من هذا العام [2013] عندما تسبب في طرد محمد مرسي من كرسي الرئاسة الذي لم يرتق إلى معناها الحقيقي ولم يستوعب منطق ثورة يناير في العام 2011 ودروسها التاريخية ، رغم كل مزاعم القيادات المختلفة لحركة الإخوان عن أنها من صنعها .



حدثان فريدان وينطويان على دلالات كثيرة وعظيمة عند كل من يتبصر ويفكر ويؤمن بدور مصر التاريخي المرتبط بهويتها الوطنية العربية الإسلامية، [7] ، من جهة، ويؤمن عن قناعة مطلقة، بأن الجماهير هي صانعة التاريخ ومجترحة المعجزات، من جهة أخرى.

لنتوقف أمام مثال الموقف السياسي للغالبية العظمى من مثقفي مصر الذين هم عصارة ونسغ التاريخ العظيم لمصر، من حكم الإخوان المتسلط على الدولة لصالح جماعة "البزنس مان" كما يوصف الحالة السياسية والاجتماعية للقيادات الأساسية في مصر الإخوانية المفكر القدير والنافذ البصيرة وصاحب الرؤية الإستباقية : السيد عبد الحليم قنديل، إذ أننا نجد إصطفافاً جماعياً عجبياً ومدهشاً لشعورهم المؤمن بأن ما يواجهونه من درن على هامش تاريخ مصر ، وهو مجرد حالة مرضية لورم طاريء على أوضاعها، ولا بد له من الإستئصال والزوال .

طول شهور لم يخفت صوته ولم يضمحل إحساسهم بأهمية المستقبل في خلق مصر الغنية، مصر البهية، مصر الولادة، وكما يذكر أحد المثقفين المصريين البارزين من الذين لم يتحمل المتأسلمون صوته العقلاني وهو المرحوم الدكتور فرج فودة فأسكتوه برصاص إغتيالهم المسعور عبر قوله التالي: "إن المستقبل يصنعه القلم لا السواك، والعمل لا الاعتزال، والعقل لا الدروشة، والمنطق لا الرصاص، والأهم من ذلك كله أن يدركوا حقيقة غائبة عنهم، وهي أنهم ليسوا وحدهم . . جماعة المسلمين".

### - 3 -

بلاغة الشعارات والإدعاءات والأكاذيب لا توارى الحقائق الاجتماعية ولا تغطي على المعطيات السياسية، وأقوال المرشد السابق لتنظيم الإخوان المسلمين السيد مهدي عاكف للسيد طوني خليفة في برنامج "زمن الإخوان المسلمين" على سبيل المثال: "بأننا نحن الثورة"، لم تشطب على قناعاته السياسية بـ "طر في مصر"، مثلما لن تنفع شعاراتهم السياسية الجوفاء حول عودة مرسى لموقع الرئاسة، وعبادة "وثن" الشرعية لن تتمكن من إنجاز أية وقائع سياسية ملموسة ما عدا إستجزارها المزيد من نرف دم الأبرياء. لقد قضى الأمر الذي كنتم به تستفتيان .

كان الشعب المصري بملايينه المتظاهرة المعتصمة في ميدان التحرير وجواره وفي مختلف ميادين مصر كلها ، هو الفيصل بالحكم على ظاهرة الإخوان عندما يحكمون ، والجماهير هي التي فرضت المنطق التاريخي بعودة المسار الثوري إلى جادة الصواب، ورفع الإخوان المسلمون لرايات الدم والفوضى والتعرض لأبناء الشعب المصري من القوات المسلحة هي من قبيل رفسة البغل الأخيرة، إذا ما أصروا على تجريب هذا الطريق غير الآمن والخطير .

وستدفع التطورات المستقبلية الجموع الواعية، المفكرة، المثقفة، المرتبطة بمصلحة مصر، لاستعادة وقائع تاريخهم المليء بالعنف الدموي الأسود، وستخدمهم بالتأكيد الدروس التاريخية لعام من الفشل السياسي والإداري المتواصلين بالحكم، وهو الأمر الذي سيضع العجائز المتكلسة الأفكار السياسية، ومواقعهم التنظيمية، في مكتب الإرشاد بمواجهة الحكم التاريخي بزوالهم من أية حالة فعلٍ إيجابي ملموس يستطيعون عبره مواجهة حكم القدر، فالشعب إذا أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر، ولا بد لليل الإخوان وظلمهم السياسي من أن ينجلي، والمعادنون لقراره الحكيم سيعيشون بين الحفر، ذلك ما قرره الرعود الجماهيرية الهادرة في الثلاثين من حزيران من عام 2013 .

---

## المراجع والهوامش

[1] - يذكر السيد هشام جعيط في كتابه الجليل عن الفتنة بعد رصدٍ شاملٍ للمرحلة العثمانية في سنواته الست الأخيرة، أنَّ أفعال عثمان بن عفان “كانت تعتبر بمثابة أعمال تصفية، إعتباطية، أعمال جور، خارجة عن تقاليد الإسلام وآدابه السياسية. عقلية ملكية، محاباة الأقارب، تبديد مال الجماعة، إستبداد، هذه المآخذ والمطاعن الأساسية الموجهة ضد عثمان، نجدها في هذه الواقعة التي نرى فيها الإحتجاج يستدعي القمع، والقمع يستدعي مزيداً من الإعتراض المتعاضم” ..

والواقعة المقصودة في النص هي إبعاد الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري وتعذيب الصحابي عبد الله بن مسعود والصحابي عمار بن ياسر، وكلهم من الرعيل الإسلامي الأول. ونالوا الرضا النبوي ورضا الخلفتين الراشديين : الأول والثاني .

راجع كتاب السيد هشام جعيط، ترجمة خليل أحمد خليل، المعنون بالفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، الطبعة الخامسة - كانون الثاني 2005، إصدار دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ص 89 .

[2] - كان مسلمو المدينة يشعرون بأنَّ أول مَنْ أحدث شرخاً بين الخلافة والمجتمع هو عثمان بن عفان الذي “جاوز الخيزران إلى السوط” وإنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس، إنما كان ضرب الخلفتين قبله بالدرة والخيزران، كما يذكر ذلك السيد جمال قطب في كتاب الإسلام دين وأمة وليس ديناً ودولة، إصدار دار الشروق المصرية، الطبعة الأولى 2008، القاهرة - مصر، ص 137 .

[3] - راجع المصدر السابق، ص 280 .

[4] - راجع ذلك الكتاب المعنون : سرّ المعبد : الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين . إسم المؤلف: المحامي ثروت الخرباوي . الإشراف العام داليا محمد إبراهيم . عدد الصفحات: 357 ص . من القطع المتوسط، ص 307، الطبعة العاشرة، ديسمبر/كانون

الأول 2012 ، إصدار دار النهضة ، القاهرة - جمهورية مصر العربية .

[5] - أنظر وقائع ومشاهد الفلم التالي :

<http://www.youtube.com/watch?v=o24fcRjE44&feature=share%D9%86%D8%AD%D8%AA%D8%A7%D8%AC>

[6] - راجع الوثيقة المنشورة بخط اليد طبق الأصل المطبوعة على الصفحات 242 - 245 من كتاب السيد الخرباوي التي تشير إلى تطابق الآراء بين الإخوان والولايات المتحدة الأمريكية .

[7] - والثقافة السياسية تتماهى والوعي الموسوعي لمختلف الأبعاد الفلسفية، العلمية، الأخلاقية، الحقوقية، والفنية بمختلف تلاوينها البصرية والذهنية أيضاً. وترتبط ثمار نشاطهم الفكري المكتوب والمقروء والمرئي بنشاط فكرهم وعملهم السياسي المؤثر والمتوقد، ناهيك عن تعميم المعرفة التي هي قوّة في نهاية المطاف، علاوة على مقاومتهم الجسورة لكل العناصر والقوى التي تسعى لإيجاد شرخ كلي بين الفلسفة السياسية التي تخدم المجتمع المصري والعلوم التقنية المعاصرة .

## 4 - ما بين رؤيتين في الفعل السياسي

### - 1 -

منذ تنفّذ قرار فك ما يسمى بإعتصام رابعة العدوية ومنطقة النهضة ، وما يزال ، عنف المجموعات المتضررة ، من القرار الوطني بالقضاء على الورم الطائفي الذي كانت صرخاته الجوفاء والمسعورة تتصاعد ، مهددة ومتوعة لإرهاب المجتمع الذي تجلت إحتجاجاته العملية في 30 حزيران والسادس والعشرين من تموز من العام 2013 ، وترفع سواعدها المدجج بعضها بالسلح الأشر لكسر إرادة كل الوطنيين المصريين .

ولم يكتف أصحاب تلك الإضرابات والإعتصامات بالصراخ والهتاف والوعيد فقط ، بل أقرنوه بممارسات بشعة من قبيل القتل والحرق والنسف والتدمير ومهاجمة المعالم الأثرية ، ووصلت بهم الضحالة إلى الإقدام على مهاجمة الكتاب والمثقفين عبر تحديد الأسماء والرموز التي ينبغي إستهدافها ، وتزويد عناصرهم السطحية المتخلفة فكراً وسياسياً ، بتعليمات محددة بهدف القضاء على آثارهم الفكرية .

متناسين أنّ عشرات الملايين من أبناء مصر قد شكلت تسونامي مطلبى إستطاعت معه جماهير الشعب المصري عبر الإعتماد على القوات المسلحة من أن تجرف حضورهم السلطوي ، ولم يقتصر الأمر على فئة المثقفين ، على أهميتهم في التنوير والتأثير ، فقط ، فكيف يستطيع “خوارج” العصر الحديث تكميم الهواء وتصفيد الأصوات ، وترهيب الإرادات الحرة ؟ .

إن المثل الصارخ على ضحالتهم الفكرية السياسية هو معاندتهم اللفظية الباكية المتظلّمة لمنطق السيرورة التاريخية الموضوعية ، وبدلاً من مراجعة الأسباب والعوامل التي أدت إلى هزيمتهم السياسية أمام جماهير الشعب المصري التي أعادت إنتاج أمثلة ثورة يناير المصرية في العام 2011 من خلال الجيش الوطني .

لقد راحت تتوغل بدروب الأخطاء السياسية التي هي أكبر من الجرائم ، وتضرب بالقبضتين من دون روية أو تمهل بالتفكير السياسي العميق في دور المجموعة القطبية القائدة لحزب الإخوان التي لا ترى التناقضات السياسية في الواقع ولا تعي معاني الدروس السياسية التي أفرزتها الوقائع ، وهي التي قادت عملية التغيير السياسي المصري لمدة عام كامل كان فيها الخراب يتراكم على كل الصعد ، ولقد شكل ذلك كله إنكفاءً سرطانياً على وعودها السياسية ، مهيجة الإنفعالات العاطفية والتوسل بالمقولات الدينية ، والإستعانة

بالتكفيريين السطحيين لكي ينفذوا بعض العمليات الإجرامية ، وهي حلقة أخرى في مسلسل تحطيم سلسلة الدولة الوطنية المصرية والقوة العسكرية العربية ثمرة جهود أجيال متعاقبة من الشعب المصري .

ولعل الأسلوب الهمجي الديماغوجي الأرعن هو مهاجمتهم مزرعة الكاتب المبدع الأستاذ محمد حسنين هيكل وإحراق مكتبته العامرة بأمهات الكتب والمخطوطات التي تحتوي على وثائق تاريخية نادرة وصوراً أرشيفية قلّ نظيرها تراكتت على مدى ما يقارب قرن من الثقافة العربية وأفلام تسجيلية لأحداث هامة ومفصلية . في الحقيقة ، إنها محاولة بانسة لتصحير العقل التاريخي العربي وتجريف الذاكرة الوطنية المصرية وإعادة إنتاج قذر للمنى الهولاءى فى التعامل المشين مع المنتج الفكرى للحضارة العربية الإسلامية .

إن حديث الأستاذ محمد حسنين هيكل فى العديد من كتبه الزاهرة المعطاة ، وبذلك الروحية المرفهة والفكرية المتوقدة حول زياراته إلى الدول الأجنبية وإرتياده للمكتبات العالمية بغية إقتطاف ورود “الذاكرة” الإنسانية البشرية حول المنطقة ، أو إستعائته بالأصدقاء للحصول على بعض الوثائق التاريخية أو المخطوطات المهمة والمذكرات الخاصة ، وإعتزازه بالإحتفاظ بآثار الغنائم الوثائقية والفكرية التي إستطاعت أيادي الجنود المصريين المضينة للوصول إلى الزوايا المعتمدة فى الذهنية الصهيونية ، هي - بإختصار شديد ، خسائر إنسانية لا تعوض .

وتدلل - كذلك - على جريمة إستئثانة لمجاميع الإخوان المسلمين والغل والحدق الأسودين المتوسدين فى عقول قياديتهم الذين أرادوا مسح سطور فكرية وسياسية متحركة عند آراء شاهد حي وناطق صادق ، من التاريخ الفعلى للمنطقة العربية الحضارية الإسلامية ، وهم الذين توسلوا وتسولوا من الأستاذ محمد حسنين هيكل التوسط لهم لإجراء لقاء سياسى بالجنرال عمر سليمان عشية ثورة يناير المصرية التي خلعت حسنى مبارك وزمرته . أربعة عشر ألف كتاب ، أو أكثر ، وألوف الوثائق والصور :

أيها المجرمون ماذا تقولون للتاريخ الثقافى العربى ؟ ! .

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدي ، نردد آهاتنا الحرى مع ابن الرومى الشاعر .

ولكن ما هى الظروف السياسية والفكرية التي أولدت الواقع السياسى المصرى الجديد . ؟ ! .

لم تكن السياسة المُطبَّقة في الواقع المصري المرئي والملموس ، لا المتخيل والمفترض والمبني على تجريدات ذهنية عجفاء ، في مرحلة تاريخية ما، ونتائجها السياسية العملية، سوى فعل مؤثر مشدود بأحد طرفي التاريخ : خدمة الماضي بناءً على رؤية أيديولوجية مطلقة يتحكم فيها النص، من الناحية الأولى ، أو التنقيب في صياغة وإستشفاف المستقبل المطلوب، وتتوفر في منظوماتها العملية مفاهيم العمل النسبي ويسود منطقها التكويني آليات الإحتمال، من النتحية الثانية .

لذا كانت البرامج السياسية حول حالة وطنية ملموسة التي تتشكل في بنيتها التكوينية الدولة الوطنية المعاصرة مهمة للإستقراء، وهذه البرامج السياسية التي هي لب الدولة الفكري ومحتواها السياسي من حيث التوجه السياسي : هي المعيار الموضوعي أو الأساس المادي الموضوعي في أي تقويم كلي لأداء عملها ، وهذه البرامج السياسية ومؤثراتها العملية المختلفة - كذلك - قد تتسع مكوناتها لخطط تطويرية تستغرق السنوات الخمسية أو العشرية . . . مرحلية أو إستراتيجية، مرتبطة بجغرافية محددة .

علاوة على حيثية كونها مشروطة بالمكان : أي بالدولة الوطنية، فإنها - أيضاً - تصاغ لخدمة التنمية البشرية والاجتماعية والإقتصادية - كما يُقال - وهو ما يتعلق بوعي قياداتها الفكرية والسياسية لمختلف الظروف الموضوعية : الوطنية والإقليمية والعالمية. وعلى المستوى الأكاديمي فإن السياسية كمفهوم تحدده القواميس الفكرية / السياسية إنها لن تقترن بالمطلق، بل هي مفهوم ينطوي على "فن حكم دولة من الدول"، وهذا المفهوم يفسر بشكل جلي كون السياسة "هي النشاط الأعلى الذي يشمل النشاطات الأخرى ، ذلك لأن السياسة هي من طبيعة عامة ، وتهدف إلى التنظيم الأعلى للحياة في المجتمع"، وهي كذلك "تعبّر عن وجود علاقات سلطة وطاعة مقامة بغية غاية مشتركة"، وتستلزم أيضاً "براعة معينة تكتسب بالتجربة وبمعرفة قواعد ملموسة معينة ، وهي تتطلب أيضاً إرادة العمل بصورة صحيحة وفعالة"، [1] .

أما بالنسبة للقوى المتصارعة أو المتنافسة على كرسي السلطة فإنها تنشط إلى موقفين، بشكل أساسي ، في بحثها الدؤوب عما يمكنها من تطبيق برامجها السياسية ، إذ أن القوى السياسية المعارضة الجادة والواعية ترسم برامجها السياسية على إنتقاء الخيارات السياسية الموضوعية البديلة، وليس الإختيارات الذاتية الهائلة بحب الذات وتضخيم صفات الأنا بالتأكيد ، لتقدم الوطن والشعب بزيادة دورهما على الصعد كافة ، وتنمية عمل فعاليتها في الداخل والخارج ، وعلى ضوء نشاطها وتنافسها تستطيع طرح الأهداف السياسية القريبة والبعيدة التي من خلالها تستطيع تحشيد الجماهير لصناعة تاريخ جديد يستهدف خدمة المستقبل .

نحن نتحدث هنا عن دولة وطنية محددة تكون القوانين ناظم فعلها ، وليست محكومة بحالة طوارئ مغلنة أو غير مغلنة ، أي لم يكن نظامها المطبق نظاماً سياسياً ديكتاتورياً يفرض تصورات السيادة والسياسية على الشعب . . . دولة محددة يحترم المجموع السياسي الشعب الذي يعيش تحت حكم دستورها التوافقي الذي صوت الشعب عليه، وبالتالي يحوز ذلك النظام على رضا الشعب بشكل عام ، وتنازل السلطة فيه الشرعية السياسية الدستورية، وفي حال نكث السلطة القائمة لوعودها السياسية والتمرد على محتوى الدستور التوافقي المشترك ، فمن حق الشعب طرح مفهوم التصويت المبكر على أداء السلطة القائمة وضرورات إستبدالها بهدف حماية مستقبل هذا الشعب وخدمته . . . طرح هذا المفهوم : التصويت المبكر ، على الصفوة السياسية القائمة التي لم تحترم إرادة المكونات الأساسية للدولة الوطن والمجتمع .

إذاً ، الدستور والشرعية الدستورية هي المرتكزات الأساسية لأي مفهوم لبناء الدولة الحديثة ، والدستور على أية حال هو “قانون الأمة الأساسي ولكنه إرتبط بمفهوم الدولة الوطنية . من هنا جاء الإشكال : فقانون المسلمين الأساسي هو [الشرعية] وهذا أوسع من أن تُحدَّ بوطن من أوطان المسلمين، في حين أن الدستور في المصطلح السياسي الحديث مرتبط بوطن ، سواء قويت أو تراخت مركزية نظامه . هذا الوطن محدد [بتراب وطني] تقوم [دولة وطنية] بتدبيره، فكيف يستسيغ مسلم هذا التحديد فيقوم عنه وعي واضح بالتطابق بين القانون والأمة والوطن” ، [2] . والحالة السياسية المصرية الراهنة تشكل النموذج السياسي لوعي أوليات وميكنازم ما تقدم وفهم عناصر التغيير السياسي المحتدم منذ أوائل شهر تموز من العام 2013 .

لقد شكلت وثيقتا الخطاب السياسي المكتوب والمقروء علناً، لرئيس الجمهورية السيد محمد مرسي حول كشف حساب عام من الفعل السياسي الذي ألقاه عشية مرور عام على إختياره رئيساً للدولة المصرية والذي إستغرق الثلاث ساعات تقريباً ، من الناحية الأولى ، والطوفان الشعبي الذي كانت ذروته ما حدث في الثلاثين من حزيران عام 2013 وفق شعارات سياسية محددة قاسمها المشترك إجراء إنتخابات رئاسية مبكرة وجديدة ، كان قوام تكوينها الرئيس أو الأساسي “حركة تمرد” المؤلفة من الشباب وهم عماد ثورة يناير ، كما هو معروف وموثق .

وهذا الشكل التغييري، الثورة الشعبية ، إبداع سياسي مصري بإمتياز وإستشفاف إبتكاري لما ينبغي أن يكون عليه الوضع السياسي في مصر المستقبل ، غير مسبوق في التاريخ المعاصر، ولكنه شبيه بما حدث في التاريخ الحديث إبان ثورة العام 1919 تحت شعار الإستقلال التام أو الموت الزؤام ، ولكنه أرقى وأوضح ، وما أعقبها من أحداث وتطورات



سياسية ، عندما جرى التفويض الشعبي للوفد السياسي المصري بقيادة المناضل سعد زغلول، الأمر الذي يبين بشكل ملموس إصالته من حيث التوجهات السياسية والفكرية المرتقبة، من الناحية الثانية .

**الخطاب السياسي لرئيس الجمهورية، والطوفان الجماهيري هما المظهران الأساسيان الرئيسيان والفاعلان في ولادة الحالة السياسية المصرية الراهنة .**

وكان الجيش المصري المنظم والمسلح وعموم قياداته الوطنية، والقرار السياسي والفني والواعي لقيادته ، هو العامل المساعد في التغيير السياسي لطابع السلطة ، وكان دوره السياسي في المرحلة الراهة على وجه الخصوص هو الدور الفاعل في أحداث التغيير السياسي هذا ، يتشابه ودوره السياسي في أحداث التغيير السياسي في يناير من عام 2011 بالنسبة لنظام مبارك السابق أيضاً ، كان - وفي الحالتين السياسيتين - دوره متماهياً وأميناً بالإستجابة للإرادة الوطنية الشعبية ، بحكم معاندة الرئيس محمد مرسي للإرادة الوطنية العامة التي عبر عنه الطوفان الجماهيري، والتمسك بسلوك يتنافى وأية شرعية إنتخابية ودستورية . . . سلوك قائم على أساس المكابرة والعناد وربما التسلط بالإستناد إلى معايير أيديولوجية تتناقض ومفاهيم القانون والدستور والزمان والمكان .

لقد كان “التسونامي” الجماهيري الذي شهدته الواقع المصري في أواخر العشرينات من شهر حزيران في العام 2013 ، وهو الحدث السياسي الأبرز في كل المنعطف التاريخي للواقع الإجتماعي والسياسي المصري الحالي ، قد تمكن من جرف كل الطاقم الحاكم والمتحكم الأساسي بالتطورات السياسية كافة ، وهو الترس الفولاذي الأصلب الذي تمخضت عنه كل الأحداث السياسية المتتابعة ، الذي أدار عجلة ماكنة التغيير التاريخي السياسي الكبير الذي شهدته مصر .

وإذا أردنا فهم العناصر الأساسية للوعي السياسي المتجسد في تلك اللحظة التاريخية الراهنة، فلا بد من التطرق لمحتويات تلك الحالتين : الخطاب السياسي المطول للسيد محمد مرسي رئيس الجمهورية ، من جهة ، والإنتفاض الجماهيري الممهور بتوقيع أكثر من 22 مليون مواطن مصري، يشكل الشباب عمودهم الفقري، وهو مثال صارخ في أحد وجوه معانيه ، لتنافس الأجيال المصرية المعاصرة ، الأمر الذي تتشكل منه، في حقيقة الأمر، أوسع جمعية عمومية معبرة عن إرادة شعبية حرة، من جهة ثانية، ودون التبصر الشامل في محصلة دينيك التعبيرين الملموسين عن الوضع السياسي المصري ، سيستعصي علينا إدراك ملابسات أحداث العام الفائت التي أدت إلى الإنتفاض على حكم الإخوان المسلمين ونهجهم الذي ينفذ عناصره الأساسية رمزهم السياسي المنتخب للرئاسة : السيد محمد

مرسي ، على مستوى الفعل السياسي وآفاقه السياسية المرجوة .

إن الذين - أراد بعض الشيوخ المتقدمين في العمر - قيادتهم ، بغية الوقوف بوجه التطورات السياسية الموضوعية ، طرحوا شعار الشرعية الدستورية والرئاسة المنتخبة ، كشعار مركزي في طرح رؤيتهم السياسية ، الناجمة عن العملية الانتخابية الحرة، التي حصل عليها الرئيس محمد مرسي وهي ملزمة للجميع بغض النظر عن نسبتها المنوية التي لم تكن الفروق النوعية الدقيقة كبيرة ، من حيث نسبتها التصويتية، بينه وبين المرشح الآخر: السيد أحمد شفيق، كخط سياسي عريض يعبؤون تكتلات بشرية هامة حوله ، ولكن عند تنظيرهم لخطهم السياسي ذاك لم يجدوا غير التوسل بأيات من القرآن الكريم والأقوال النبوية والوعد والوعيد الإخروي، وأجتزأ المقولات التي تتعلق بالجهاد والشهادة والدم ، هي المسوغات الأساسية لمواقفهم السياسية العملية الحالية .

وكذلك، الكذب الصريح كالقول إن جبريل الوحي المرسل للرسول محمد بن عبد الله - ص - من قبل الإله الواحد ، قد حضر أو نزل لأداء الصلاة الجماعية معهم ، ولا نعرف بالضبط على من نزل ؟ هل نزل على الجماعة كلهم أم على المرشد فقط ؟! مغيبين في الان ذاته “البرامج السياسية” العملية ، ومقاييسها التطبيقية الموضوعية ، لا الإنشائية الدعائية ، عن خطابهم السياسي اليومي ، فيما لجأ خصومهم للمؤشرات الرقمية والعملية التي برهنوا من خلالها على صحة وجهة نظرهم السياسية المطالبة بالانتخابات المبكرة .

ومسألة الشرعية الدستورية مسألة مهمة ومركزية في الفكر السياسي المتخذ في الواقع المصري الذي يشهد تحولاً ديمقراطياً لا مراء فيه ، كونها تتعلق بالتفويض السياسي من قبل الشعب للشخص الذي إنتخبه لكي يشغل موقع المركز الرئاسي ، ولكن هذه الشرعية لا تقتصر على طرف محدد من ذلك التفويض، وإنما ترتبط أيضاً بالطرف الثاني الذي وقّع على وثيقة التفويض عبر الإنتخابات التي شهد العالم والمراقبون بصحتها ونزاهتها وعدم تزويرها ، ومن حق طرفي العقد الشرعي والحقوقي اللجوء لفسخ عقد الشرعية حتى لو كان عقداً دستورياً صحيحاً، إذا ما أخل أحد طرفي العقد بمحتوياته السياسية والفكرية، والشعب المصري في الحالة السياسية الملموسة والمرنية بالواقع السياسي المصري هو المانع للشرعية الدستورية ويمكنه التمرد عليها من خلال الطرق السلمية : والتظاهر الجماهيري أوسع وأبرز تلك الأشكال السلمية .

كون الدستور المصري بالذات يؤكد في ديباجة مقدمته الفكرية والسياسية بكون “الشعب هو مصدر السلطات”، كما يسلط الضوء على ذلك الأستاذ المحامي المصري القدير السيد ثروت الخرباوي، القيادي السابق في حركة الإخوان المسلمين، وغيره من أساتذة القوانين الدستورية. فالدستور يُعرف بأنه “الميثاق الأساسي الذي يحدد ، في بلد معين ، طبيعة

السلطة ودورها ، وكذلك مجموع الحقوق والواجبات الأساسية للمواطنين ، وهو [ . . . ] يضبط نمط ممارسة السيادة أو تخويلها ، أي شكل الحكم ، والحكومة ، واختصاصات سلطات الدولة ، وعمل وظائفها ، والحقوق الأساسية للأفراد ، وأخيراً مشاركة المواطنين في ممارسة السلطة بواسطة حق الانتخاب” ، [3] .

ولكن هذا الدستور لا يرتبط فقط بالديمقراطية السياسية ، بل يرتبط أيضاً بـ”المفاهيم الديمقراطية الإقتصادية والإجتماعية ، هذه المفاهيم التي أصبحت من المقومات الأصلية للديمقراطية ، ولا يتحقق الحكم الديمقراطي الصحيح من غير تحقيقها” ، كما يقول الفقيه القانوني العراقي المرحوم السيد حسين جميل ، [4] . وربما كان ما يلخص تلك الأهداف الديمقراطية هو التشوف الشعبي المصري عبر الشعارات السياسية المرفوعة منذ ثورة يناير عام 2011 . . . هذه الديمقراطية الإقتصادية والإجتماعية وفق الخطوط العريضة التي تكتنفها مقولات: عيش. حرية. عدالة. كرامة إنسانية، وهو ما عجز عن تحقيق أي قدر محسوس من إجزائها القليلة حكم الإخوان المسلمين لمدة عام كامل ، بل زاد وضع الشعب الإقتصادي والإجتماعي والخدمات والأمني والسياسي الوطني الإستراتيجي تدهوراً متشابكاً ومتفاقماً .

والدستور الذي تواطأت سلطة الإخوان على نفس مضمونه التشاركي منذ أواخر العام 2012 كان يستهدف تحقيق المنجزات الحقوقية من حريات أساسية للشعب والمواطن ، كان يريد [وعلى وجه التحديد في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر: تشرين الثاني] كذلك : توفير “إلى جانب ذلك الضمانات الكافية لها ، ضمانات تحول - جهد الإمكان - دون إهدارها . منها مؤسسات ، وإجراءات يمكن معها رد الحريات والحقوق إلى أصحابها إذا ما مست أو سلبت على نحو غير مشروع” ، [5] . وهو ما فشل معه حكم الإخوان المسلمين الذي أوغل في خدمة الأهل والعشيرة تحت عناوين فرض الأخونة على الدولة على كل الصعد .

### - 3 -

إن النتائج السياسية الراهنة التي يشهدها الوضع السياسي المصري مرتبطة بالأزمة السياسية العامة التي عمل حكم الإخوان المسلمين المتفرد على خلقها ، وراح حكمهم يتخبط بشرنقتها السوداء قبل أن يصبحوا ضحاياها في الآن نفسه ، وجعلت قياداتها السياسية المنتخبة وغير المنتخبة ، وكذلك ، تغدوا بفعل الدور السياسي لمكتب الإرشاد والدور السياسي لرموز طبقة المحاسيب ، متفاقمة .

إن من بين أبرز معالم ممارساتهم الشنيعة خلال الفترة القليلة الماضية هي :

- 1 - لقد شكلت هذه الجماعة الحاكمة المتنفذة في صياغة الأوضاع السياسية لمصر ، الغطاء الفكري والتنظيمي للخلايا الإرهابية النائمة في منطقة سيناء ، والتي نشهد أفعالها الإجرامية اليومية ، لما يمكن تسميته بالمستنقع الإستنزافي للقوات العربية المصرية ، هذه القوات التي هي نصل كل المنجز الوطني المصري .
  - 2 - وأفعال الغدر السياسي للمجموع الوطني المصري وتوجيه طعنة نجلاء ضد الدولة المصرية ، من خلال الحرق والنهب وإشاعة الفوضى المدمرة لمرافق الدولة .
  - 3 - في سياق الدعوات العملية والتحريض المستمر يجري الشحن النفسي والفكري لجر البلاد إلى آتون حرب أهلية وإحداث فتنة لا تبقي ولا تذر .
  - 4 - محاولة بث النخر لطائفي في المجتمع المصري عبر التفريق بين النصارى والمسلمين ، وفقاً لتعبيرات الإخوان المسلمين ، مما مهد للبلطجية وبعض المجرمين من الإخوان ومجموعات الجبهة والسارقين ، لحرق الكنائس وسرقة ذخائرها النفيسة .
  - 5 - قد تمهد هذه الأفعال لصناعة المقدمات الموضوعية للتدخل السياسي والعسكري لبعض الدول الغربية الأجنبية ذات المصالح السياسية الكونية بذرائع سياسية متعددة من أجل تنفيذ مخططاتها السياسية الإستراتيجية .
- وهذه الشواهد سواء أكان الإخوان السلميين فاعلوها أو غيرهم من المنظمات المتأسلمة المتشددة الإرهابية الأخرى ، أو من البلطحية والحرامية والمجرمين ، هم المسؤولون عنها مباشرة أو مداورة ، لأنهم تسببوا في خلق مقدماتها الدعائية والسياسية الموضوعية ، ولم يطلقوا إستكاراتهم السياسية المعلنة عنها ، لكي يرتدع أعضاؤهم عن فعلها وحتى لا يوغل الآخرون في إرتكاب جرائم تحت ظلال أو عتمة أعمالهم الدنيئة ، فحسبنا الله والتاريخ عليهم وعلى رؤيتهم السياسية اللتين ستكونان شاهدين على أفعالهم الإجرامية الدنيئة إلى أبد الأبد .
-

## الهوامش والمراجع

- [1]- راجع قاموس المصطلحات السياسية والإقتصادية والإجتماعية، تأليف سامي ذبيان وآخرين، إصدار مؤسسة رياض الرئيس للكتب والنشر، لندن / بريطانية، الطبعة الأولى تشرين الأول كتوبر 1990، ص 267.
- [2] - راجع الكتيب الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية في سلسلة الثقافة القومية (10) والمعنون بنحو عقد إجتماعي عربي موحد: بحث في الشرعية الدستورية، تأليف الدكتور غسان سلامة، الطبعة الأولى، بيروت / لبنان، حزيران / يونيو عام 1987، ص 67 - 68 . والإستشهاد مقتطع من كتاب السيد علي أومليل المعنون : الإصلاحية العربية والدولة الوطنية، بيروت/ لبنان، دار التنوير، 1985، ص 101.
- [3] - راجع قاموس المصطلحات السياسية والإقتصادية والإجتماعية، مصدر سبق ذكره، ص 226 .
- [4] - راجع الكتيب الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية ضمن سلسلة الثقافة القومية: (1) والمعنون: حقوق الإنسان في الوطن العربي، تأليف حسين جميل، بيروت/ لبنان، شباط / فبراير 1986، ص 161 .
- [5] - راجع المصدر السابق نفس الصفحة

2013 – 08 – 07

## 5 - إعلام حماس والتشخيص السليم

### للقضية الفلسطينية

منذ الثلاثين من حزيران الماضي [2013]، الذي شهدت فيه مصر ثورتها الجماهيرية العارمة، وفضائية “الحوار” التي تبث موجاتها من العاصمة البريطانية : لندن ، وأخواتها الحمساوية، أصبحت صوت حزبي متخصص في الإنتقاص من الدور المصري، والطعن في إرادة ملايين المواطنين من الشعب المصري، ولم تألوا جهداً في جلب الرموز الإخوانية والصحفية والرداحة إلى منصتها الدعائية من أجل توجيه صواريخهم الدعائية الأيديولوجية ضد مصر بذريعة خدمة حزب الإخوان المسلمين الذي فقد سلطته في مصر، متناسين الحقيقة الماثلة القائلة أنه في كل بيت مصري وعائلة مصرية علامة مأساوية من الفقر أو الدم خلّفهما العدوان الصهيوني على الأمة العربية جرّاء مشاركة أغلب القيادات المصرية في صد الحروب الإسرائيلية على شعبها ووطنها، بحكم حقيقة تلازم الأمن القومي لمصر والأمن القومي الفلسطيني ، على اعتبار أنّ فلسطين هي البوابة الشرقية للأمن القومي المصري.

ولا يبدو أنّ هناك مبررات موضوعية وتشخيصات سليمة لهذا الخط الإعلامي الأفلج سوى الولاء الأيديولوجي لحركة الإخوان المسلمين وتنظيمها العالمي، وقفزها المتعمد على حقائق الجغرافية والتاريخية الملموسين من الناحية القومية ، وتعاميها المتعمد على حقيقة التكوين السياسي للقضية الفلسطينية ، والمتطلبات الموضوعية للعمل المبدع في خدمة مفاهيم الكل والجزء - أي ما بين أمن الأمة العربية وأمن الأقطار المكونة لها - ، فضلاً عن وعي ضرورات التناسب الدقيق والصائب بين خطوات المعايينة التكتيكية والرؤية الإستراتيجية الحكيمة والحصيفة، وهو عمل سياسي موضوعي يتجاوز الأحلام الذاتية والولاءات الحزبية والعصبية الأيديولوجية .

وضياع منظمة حماس الإخوانية في رسم الخط السياسي القويم للإعلام السياسي المطلوب لم يكن وليد أزمته السياسية على الصعيد المصري فقط ، فقد شكل لعبها - كذلك - الدور السياسي والإعلامي في خدمة العمامة الإيرانية تجاهلاً للحقائق السياسية الراهنة للأمة العربية وما تتعرض له الأقطار العربية من محاولات تفريسية وتفتيتية عبر العمل المتواصل على نشر الرؤية الطائفية الصفوية، وهو خط سياسي فارسي متبع ، لدى السلطة الإيرانية القائمة التي كرس دستورها التالي : “حسب نص المادة الخامسة من

الدستور ، فإنه : في زمن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل ، المتقي ، البصير بأمر العصر ، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير وذلك وفقاً للمادة (107) ” علاوة على تأكيد الدستور في مادته 12 “الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب هو الجعفري الإثنى عشري وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير” ، علماً أنَّ سلطة الإمام في المذهب الشيعي ليست فحسب مطلقة ، بل ومقدسة أيضاً ، كما يقول المصدر الذي نقتطف منه هذا الإستشهاد. . . [1] . “ وغير ذلك من شواهد مادية كثيرة ودلالاته السياسية أكثر، ولم يكن ذلك النهج السياسي سوى تجلٍ لمساعي “فاتيكان قم الأيديولوجية”.

وحبذا لو كان موقفها السياسي تأسيساً بالرؤية المحمدية حول: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً من خلال نصره المظلوم وردع الظالم ، ولكن مندوبي حماس للأسف شكلوا على الدوام العناصر المواجهة لأي موقف سياسي ينتصر لقضايا أمتنا العربية القطرية ، وينتقد السياسة الإيرانية في الآن نفسه .

ولعل الموقف الرسمي الفلسطيني الذي يلهث لتوظيف الكل السياسي العربي في سبيل خط سياسي بانس يستهدف التصالح مع العدو عبر التنازلات ، بعد سيلان الدم الفلسطيني الجارف في وديان ومدن وجبال وحدود فلسطين ، في المؤتمر الشعبي التضامني مع حق تقرير المصير للشعوب والقوميات الذي إنعقد في العاصمة التونسية بتاريخ 31 / 1 / 2013 . . . لعل كل ذلك ، خير دليل على ذلك التوجه الفلسطيني الرسمي ، فقد كان صوت م . ت . ف هو الأشد مضاضة ضد بعض الأصوات العربية المخلصة، وعندما حاول السيد عادل السويدي الصعود إلى منصة الخطابة وعرض المأساة التي تحيط بالشعب العربي الأحوازي : المحتلة أرضه والمضطهد أبناؤه والمحروم سكانه من أبسط حقوقهم الوطنية والاجتماعية والإقتصادية منذ العام 1925، لم يقف معترضاً على وجهة نظره السياسية، ناهيك عن الإعتراض على صعوده إلى منبر الخطابة، سوى مندوب منظمة التحرير بذرائع عديدة وحجج مختلفة ، بالرغم من توضيح الممثل الأحوازي موقفه السياسي من المسألة القومية وتنويهه بأهمية القضية الفلسطينية ، وإعطائه - كذلك - المعلومات الحسّية حول مساحة الأحواز المعادلة لمساحة كل فلسطين وسورية ولبنان والأردن، والنفوس الأحوازية الذين يبلغ عددهم حوالي العشرة ملايين مواطن محرومون حتى من حرية تعليم أبنائهم في مدرسة ابتدائية تعطي دروسها باللغة العربية : لغة القرآن الكريم، فضلاً عن حرمانهم من حرية إختيار أسماء أبنائهم .

وطالب ممثلو "القضية الفلسطينية" السياسيون الرسميون بإلحاح عدم توزيع الورقة الأحوازية التاريخية المكتوبة التي أتت على تفاصيل كاملة حول المسلك الفارسي العنصري التي إختتمت رؤيتها السياسية بالتالي: "والخلاصة السياسية المكثفة تؤكد على الواقع المأساوي لحياة شعبنا الأحوازي، سواء في جوانبه المعيشية وأنواع حرمانه في كل اتجاهات حياته الثقافية، في ظل الواقع السياسي الذي يتح كم في مخططاته السياسية الفرس المحتلون، وما يشكله كل ذلك من مخاطر جوهرية على مستقبله الإنساني والحقوقى، الأمر الذي يجعلنا ننظر إلى تعاطفكم النضالي التضامني مع قضية وطننا وحق شعبنا في تحديد خياراته السياسية الحرة، ولنا وطيد الأمل في إتخاذ مواقفكم السياسية السامية تجاه تعضيد حركة شعبنا الكفاحية ونضالها الباسل من أجل حق تقرير المصير والتحرر الكامل والإستقلال السياسي ونيل السيادة أسوة بالشعوب الحرة".

ولم يختلف موقف منظمة حماس السياسي تجاه القضية الأحوازية من خلال إمتناعه عن الجواب على الفروق السياسية والفكرية ما بين الإحتلال "الطيب" والإحتلال "الشرير"، لأنَّ المسألة المثارة كانت تتعلق بالإحتلال الإيراني للوطن الأحوازي، وهو حليف مزعوم للقضية الوطنية الفلسطينية على شتى الصعد، من وجهة نظرها، رغم مواصلة إيران سياسة التفيت الطائفي الممنهج والمستمر الذي يشهده الواقع الفلسطيني لأول مرة في التاريخ.

أما الموقف السياسي من قضية العراق الذي يخضع نظامه الرسمي الحالي للحضور السياسي الأمريكي في كل سياساته من الناحية الإستراتيجية، مثلما يشكل النفوذ السياسي الإيراني على كل مفاصل تحركاته السياسية في داخل العراق، والذي طالت إجراءاته التصفوية حتى الجسم الفلسطيني، علاوة على إعدام وإختطاف خيرة الضباط العراقيين ومختلف كوادره المتقدمة، فقد كان كل ذلك على قلب منظمة حماس برداً وسلاماً، ولم يتخذ أي موقف سياسي عملي إستنكاري لهذه الجرائم البشعة، رغم أنَّ العراق ساهم في الإنخراط في كل العمليات الحربية ضد كيان الإغتصاب الصهيوني، وما تزال مقابر شهدائه في الأراضي الفلسطينية المحتلة والأراضي الأردنية شواهد حسية، وكذلك، رغم ألوف الشباب العراقيين الذين إنخرطوا في العمل الفدائي الفلسطيني منذ إندلاع ثورته المعاصرة، مقدمين مئات الشهداء الأماجد على مذبح التضحية في سبيل القضية القومية، وأسهموا في خدمة الإعلام الفلسطيني، في حين أنَّ إيران الفارسية: الدولة أو النظام، لم تقدم



رسمياً أو شعبياً أي شهيد أو أسير في سبيل القضية الفلسطينية، رغم حدوث ثورتها “الإسلامية”، منذ 35 عاماً .

وبصدد بقية البلدان العربية فإن منظمة حماس تدير ظهرها السياسي لصالح الموقف السياسي الإيراني وخدمة موقفها الدعائي في كل تجمع سياسي يحظى حضورها بالترحيب .

وما أشبه الموقف السياسي الراهن لمنظمة حماس تجاه مصر بالمواقف السياسية لمنظمات اليسار الفلسطيني من مصر الدولة والنظام المصري في نهاية العقد الستيني عندما كانت حرب الاستنزاف بين القوات المصرية الباسلة، من جهة، والعدو الصهيوني المحتل للأراضي المصرية، من جهة أخرى، على أشدها، وبلغت العريضة الصهيونية شأواً إستباحث فيها الأجواء المصرية بذراعها الجوي الطويل .

يومها كان الرئيس جمال عبدالناصر في زيارة لعاصمة دولة الحليف: الاتحاد السوفياتي، وجرى وضع قياداتها السياسية في صورة الوضع العسكري، مطالباً إياهم بشبكة من الصواريخ المتقدمة لحماية الشعب المصري والقواعد العسكرية المصرية ، والأجواء المصرية، وخصص الوفدان مندوبيهما للتباحث في كيفية إيصال المعونة العسكرية إلى مصر، بعد نيل الموافقة على تقديمها من قبل قيادة الحليف : السياسي والعسكري ، وكان الأستاذ محمد حسنين هيكل وأندربوف: رئيس جهاز الكي بي جي، هما المسؤولان المناط فيهما تنفيذ مهمة الإيصال، فحددا المهلة المطلوبة .

ومن أجل الحرص الأمني والسياسي والدبلوماسي والإلتزام الصارم بالسرية التامة تم تعيين الصحفي اللاحق محمد حسنين هيكل القيام بمهام وزير الخارجية المصري إضافة إلى كونه وزيراً للإعلام ورئيساً لتحرير جريدة “الأهرام”، وكان ما كان من إقامة حائط الصد الصاروخي على الجانب الشرقي من قناة السويس ، للتعامل مع الإعتداءات الإسرائيلية المتكررة، فكانت الهدنة العسكرية على أرضية مشروع وزير الخارجية الأمريكية روجرز، وما أعقبها من هدوء على الجبهة المصرية فقط، وفق المنطق السياسي المصري الواقعي، ولم تتطرق تلك الهدنة لأي مساس في الجانب الفلسطيني وعمله المقاوم ، ومن ثم كان منظر سقوط الطائرات الإسرائيلية المتوالي هو الأظفى على نشرات الأخبار العربية والعالمية .

ولكن منظمات اليسار الفلسطيني من السياسة المصرية : وعلى رأسها الجبهة الديمقراطية بقيادة السيد الأمين العام للجبهة منذ تأسيسها فب شباط 1969 “الرفيق المفكر” نايف حواتمة، والجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش منذ التأسيس إلى ما قبل الممات ، وصحيفتيهما : مجلة الحرية اللبنانية ومجلة الهدف اللبنانية اللتين تشكلان لسان حالهما ، ووراءهما قطاعات فلسطينية أخرى، رأت في الخطوات السياسية المصرية أكبر الكابائر الماثلة، وجرّدت حملاتها السياسية والفكرية اللائي يتقدمها ترويج “مفاهيم البرجوازية الصغيرة” الدعائية ضد مصر الجريحة وقيادتها الرائدة، فأوسعتهما شتماً وسباباً وتوصيفاً بالخianات كلها فضلاً عن “إبداع” مشاهد تمثيلية غاية في السفالة والبشاعة ، ويتذكر البعض ممن عايش في عمان : العاصمة الأردنية ، والمعسكرات التدريبية التابعة للجبهة الشعبية في العراق تلك السفالات الشنيعة .

لم يكن هناك معيار العمل القومي والروح المبدئية والحرب المتواصلة بين العدوين: مصر، من جهة، وإسرائيل المدعومة غربياً وأمريكياً، من جهة أخرى، والتغاضي عن الطبيعة الطبقية للقيادة الصهيونية ، وهي في كل الأحوال غير بروليتارية ، وتقديم منات من الجنود المصريين، وكل الشهداء المصريين، وفي مقدمتهم أو على رأسهم الشهيد الفريق عبدالمنعم رياض، ناهيك عن الخسائر الفادحة لمصر في كارثة الخامس من حزيران على المستويين المادي والبشري .

بل تحكمت في إتخاذ المواقف السياسية الأيديولوجية والورم الذاتي المتنافخ الذي تملك رؤوس قيادات اليسار الفلسطيني وجعلت من الدعاية الأيديولوجية و”الكلام لوجيا” هي مقياس التقويم السياسي للقرارات والتطورات والأحداث التي شهدتها الوضع العربي آنذاك، وتلك التقويمات السياسية شكّل في جوهرها الطفح المشين الذي طفا على سطح الموقف السياسي اليسراوي الفلسطيني. إنها تجربة سياسية مروعة خدمت كيان الإغتصاب الصهيوني، حرّية بالتمثل والإعتبار على الدوام، ولكن ماذا إستفادت منظمة حماس من دروس سياسية لهذه التجربة الفلسطينية العينية التي حدثت منذ أربعة عقود ونيف من السنوات، لا شيء أبداً، كما يبدو.

أصبحت منظمة “حماس” رقماً صعباً في الساحة الفلسطينية ، جرّاء التنفيذ المتكرر للعمليات الإستشهادية ضد المؤسسات والقوى البشرية للعدو ، وكان هذا

التكتيك الإبداعي قد تمّ إستيراده من الساحة اللبنانية ، ولكن ما أعطاه مصداقية عملية هو طبيعة الصراع الإستراتيجي للطرفين : الثوار الفلسطينيين المدافعين عن حقهم الوجودي، من ناحية، وشذاذ الآفاق الذي تدفقوا على المنطقة من أوروبا الشرقية والغربية، ومن بقية دول العالم، من الناحية الأخرى، وكان هذا الخط السياسي القتالي هو التعبير الجوهرى عن مفهوم إنتصار “الكماهيرى” على “النوع المتطور” الذي يمتلكه العدو وحماته الأمريكيين ، اللذين يحتاجان إلى الأمن والطمأنينة لخدمة مشروع الغزاة السياسى، واللذين يحميان الغزاة المستوطنين ممن لا يمتلكون أية جذور إجتماعية في الوطن الفلسطيني والأرض العربية .

وإدانة الصراع على كل الصعد عند أبناء فلسطين هي المهمة الحيوية الدائمة حتى يتم تعديل ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين حتى نضوج لحظة هزيمة مشروع الغزاة السياسى، والمقصود بإدانة الصراع ، هو الصراع المتعدد الوجوه ، بما فيها الإشتباك المسلح المستمر واليومي ، أليس العد الصهيونى مغتصباً للأرض الفلسطينية والإرادة الشعبية الفلسطينية ؟ ! .

ودون ذلك ، هو من قبيل إستعجال قطوف نصر زائف لا يستحقه المقاومون وقياداتهما الذين رفعوا أمثولة “عز الدين القسام” التضحية الفدائية، ممن يزعمون إنتهاج خطأ سياسياً قتالياً ولكنهم في حقيقة الأمر يمارسون عملاً تجارياً دنيئاً.

ولكن هذا الخط السياسى كان في جوهره زيتاً محرّكاً لوقود وماكنة الثورة الفلسطينية القتالي الذي يمضى بالصراع حتى لحظات نهاياته ، المناقض لخط التسوية الإستسلامية دائماً وأبداً الذي تقوده السلطة السياسية الرسمية على أرضية رؤيتها البرنامجية السياسية . وكان هذا الخط السياسى القتالي الذي يتخذ من الدماء ، الفلسطينية الزكية كان لا يحتاج إلى الإعلام الدعائي المضلل طالما إنّ الإحتساب في التضحية والإفتداء هو عند الله عزو جل وأمجاد التاريخ العربى الإسلامى مهما طال الزمن. علماً إن الحروب المسماة بالحروب الصليبية التي يتغنى فيها المسلمون والمتأسلمون قد دامت حوالى المائتي عام ، و”جهاد الدفع” المفروض هو ألف باء أي عمل إسلامى حقيقى

على المستوى الفردي والجماعي لدي كل المسلمين الحقيقيين، المحتلة أرضهم والمستباح شعبهم ، وكذلك عند كل الذين وضعوا معياري “الشهادة” أو “النصر” كمعادل موضوعي لتوجهاتهم في الحياة الدنيا .

وكان هذا الخط السياسي القتالي ينبغي له الإستمرار ولو كره المساومون، وكانت دماء الشهداء المتفانين هي الزيت الذي يديم شمعة النضال ويؤجج شعلة الكفاح المسلح في دائرة الصراع الوجودي وعنوانه الأبرز الإدامة، لا “المنام الهادي” على وسادة الإتفاقات لوقف النار وعقد الهدنة ، ولكن بعض قيادة حماس رأت في تلك الدماء والتضحيات الوسيلة المناسبة لإعتلاء كراسي السلطة السياسية وطردهم الأشقاء من نعيم الإمتيازات والتي تستجلب قتل الأشقاء بالضرورة. . . بله توجبها ، فدخلت سوق المساومات السياسية الإنتخابية التي تتعارض كلياً مع فكرة ومفاهيم إدارة الصراع الوجودي، وإدامته حتى النصر أو الشهادة .

لقد جرى السيطرة السياسية على القطاع الغزاوي وتمت التصفية المادية لأية قوة تنافس حماس على النفوذ السياسي الفعلي بسبب عوامل مختلفة ومتباينة ، وأصبح من حقها وحدها تحديد مفاهيم الصراع مع العدو، وطالت إجراءاتها العدو والصديق في الساحة الغزاوية، وبدأت خطوط القمع السياسي تلون معالم الساحة النضالية في غزة المحتلة من قبل العدو الصهيوني وصولاً للسجن والقتل والإستباحة وإلقاء الأبطال من السطوح، وشهدنا رمز منظمة حماس السيد خالد مشعل يدخل المناطق الغزاوية المحررة ، [!؟] ، بإذن من سلطة الاحتلال وبوساطة من سلطة الإخوان المسلمين المصرية في إيقاف النار بعد أن دخلت وسيطاً بين الطرفين الصهيوني والفلسطيني .

لقد إنصرفت منظمة حماس لتنفيذ المهام التجارية، والعمل على تسمين طبقة المليونيرية الغزاوية المرتبطة بمنظمة حماس ، فكانت مشاريع الأنفاق مع مصر هي أولوياتها “الكفاحية” حتى بلغ عددها 1400 نفقاً، كما تذكر الأنباء ويجمع المراقبون ، وبلغ عدد المليونيرات الذين يدورون في عجلة حماس حوالي 800 مرابياً وتاجراً ومقاولاً ، ولا شك أن لهم التأثير السياسي على القيادة الحمساوية وفقراء سيناء ، وما يتطلبه عملهم التجاري من توفير أجواء الهدوء وانتشار الطمأنينة، وأدارت ظهرها - في الوقت عينه - لأي عمل جدي وباسل وتعرضي يقلق أو يهدد أمن الكيان

الإغتصاب الصهيوني، وإنصرفت بدلاً من ذلك لتقوية وتدريب العصابات العسكرية المضادة للوطن المصري والجيش المصري والشعب المصري، ألم يكن التفجير الذي كان من نصيب مدينة الدقهلية / المنصورة حدوثه ، أكثر جدارة في الأراضي الفلسطينية المغتصبة ؟ ألم يكن صرف الأموال الطائلة الذي تبذله حركة الإخوان المسلمين على شراء الذمم وتحزيب العملاء ضد الأمن القومي المصري ينبغي توظيفه في مواجهة العدو الحقيقي للشعب الفلسطيني والعدو الفعلي لكل الأمة العربية ؟ ! ..

---

[1] - راجع الكتاب المتخصص في شرح المنظومة الفكرية للأيديولوجية الإيرانية ، والمعنون مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام ، إشكالية الأمة والدولة ، للدكتور شبر الفقيه ، الذي يصف نفسه بـ : دكتوراه في العلوم السياسية والفلسفة والأدب العربي ، إصدار دار البحار - بيروت ، الطبعة الأولى 2009 ، ص 469 .

2014 / 1 / 20

## 6 - دلالات سياسية من :

### المسار السياسي السابق

منذ فوز الإخوان المسلمين برئاسة جمهورية مصر العربية ، إن لم يكن قبل ذلك ، تضاعفت بشكل مسعور حملات الدعاية السياسية ضد الفقيد الرئيس الخالد جمال عبد الناصر ، رئيس الجمهورية المصرية الأسبق ، كان بعض أولئك ممن إكتفوا بسياط جلادي "زوار الفجر" والتعبير هذا إبتدعه الكاتب العربي الكبير ، والناصري الموقف السياسي ، والصادق مع نفسه ومع الآخر : الأستاذ محمد حسنين هيكل ، في المرحلة الناصرية التي إمتدت من العام 1952 وحتى العام 1970 والتي مسّت إجراءاتها كافة شؤون المجتمع ، ومعالم الوضع المصري الإقتصادي والتقني والإجتماعي والزراعي ، ولعبت دورها على الصعيدين العربي والعالمي ، ورمزها كان الرئيس الفقيد ، وهذا من حقهم تماماً ربطة أن يكونوا صادقين عبر المعلومة والرقم لا عن طريق الدعاية الأيديولوجية السخيفة ، وإن كان تفكيرهم - إذا كانوا مؤمنين حقاً وفق القيم الإسلامية الحقة ، كما جسدها الرسول والخلفاء الراشدون - ينبغي أن ينصرف إلى القيم والمبادئ الكلية التي تسببت في معاناتهم الذاتية ، إذ أن الدين الإسلامي الحنيف يركز بصره على الرؤية الكلية للأمور والمقاصد العليا للشرعية ، وليس المبنية على التصورات الذاتية ، والمعاناة الفردية لبعض القيادات الحزبية أو لكل التيار المناصر لها .

فيما كان أبطال تلك الحملات الدعائية المسعورة من الجماعات الأخرى ، كانت تتكون من بعض الجماعات المقلدة لما قرءوه في الكتب التي أصدرها الأولون عن معاناتهم أو مواقفهم أو سياستهم المصرية والعربية والإقليمية والعالمية ، من دون التبصر بالمسار التاريخي للمرحلة السياسية الكلية ، والطبيعة السياسية والعملية لبقايا أجهزة الدولة البيروقراطية التي أنتجتها عهود التخلف السابقة ، و"كم" و"نوع" الصراعات التاريخية العالمية بين القطبين العالميين والنهجين السياسيين اللذين تمثلتا بالمعسكر الشرقي الذي كان يقوده الاتحاد السوفيتي ، من جهة ، والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، من جهة أخرى . وهناك مَنْ أصدر شهاداته التوثيقية بنقاء ضمير وصدق ذاتي واحتساب الأجر عند الله ، بطبيعة الحال .

وفي أية حال وخلال تلك المرحلة على وجه التحديد . . . نغني السنوات المحصورة بين أعوام بدايات الثورة المصرية ورحيل القائد الفقيد ، كلّ كان له رؤاه وأفكاره وخططه السياسية العامة وممارساته التي تنعكس حتماً على

أوضاعنا العربية ، في المرحلة التاريخية المسماة بمرحلة القومية العربية الحديثة ، التي تشكلت ونمت على حساب المرحلة القومية التقليدية التي إنبلجت سنواتها في أعقاب تصدع الإمبراطورية العثمانية خلال سنوات عمرها الأخيرة التي استولى على حكمها الطورانيون العنصريون بقيادة فرسان حزب "الاتحاد والترقي" ، الذين مارسوا خطأً سياسياً جوهره يقوم على "التترك الوظيفي والتترك اللغوي" ، وذلك النهج السياسي في إدارة شؤون العلاقات السياسية والاجتماعية مع الشعوب الإسلامية التي كانت تتشكل منها الإمبراطورية العثمانية ، مخالف ومتناقض مع النظرة الإسلامية الحقيقية والعملية والموضوعية كلياً .

وما إستجره ذلك من ردود أفعال سياسية عربية ، على صعيد المنطقة العربية التي كانت في حوزة الإمبراطورية العثمانية ، "توافقت" ظروفها الموضوعية مع المخططات السياسية الإستعمارية الغربية ، في مرحلة تاريخية غاب عنها عنصر الوعي السياسي بالظروف الموضوعية : المحلية والعالمية ، عند المجموع القائد السياسي للحركة القومية التقليدية ، مثلما غابت عنها دروس التجربة السياسية ، وتوارت المعلومات في أرشيف ودهاليز المؤسسات الأساسية الغربية .

والصراعات الإقليمية : العالم ثالثة ، وما نجم عنها من حروب حركة التحرر الوطنية ضد الهيمنة الإستعمارية الغربية ، في المرحلة المسماة بسنوات الحياذ الإيجابي التي أعقبت مؤتمر باندونغ الأندونيسي في العقد الخمسيني من القرن المنصرم ، وكذلك الصراعات العربية - العربية وتوجهاتها السياسة المختلفة ، ومفارقة بعض أطرافها الفظيع للطموحات العربية ، والموقع الفكري والسياسي - وهو لا يمتلك آنذاك غيرهما - لحزب الإخوان المسلمين في ذلك المعترك وذلك الصراع موقع معروف ، في صف الجانب المتحالف مع الرؤية السياسية الغربية ، وكانت التجربة اليمنية التي شَنَّ عليها النظام السعودي وقوات بدر : الملك الذي أطيح به في ثورة أيلول من العام 1962 اليمنية والعصابات الفردية الغربية التي شنت حربها العصابية الإجرامية الغربية الغادرة على الجيش العربي المصري الذي ناصر شعباً شقيقاً في موقع جغرافي له أهميته الإستراتيجية ، والموقف السياسي من توجهات الحركة الوحدوية التي سادت في تلك السنوات ، والعدوان الصهيوني وعموم السياسات الإسرائيلية ، وعموم الحركة السياسية الرجعية العربية ، كمصطلح ومفهوم ، قاداته المملكة العربية السعودية آنذاك . .

كان هذا القسم يركز بصره على ما بين رجليه و"يرفض" - ربما - عن وعي وإدراك ، التلفت إلى واقع حال الأمة العربية ، بدلاً من التدقيق في اللوحة السياسية الكلية ، المحددة بمضمون وآفاق الصراع العالمية والإقليمية .

أما أولئك القياديون الذين تبوؤوا السلطة وإمتلكوا القرار السياسي المصري من حزب الأخوان المسلمين ، في الفترة الزمنية القصيرة المنصرمة أصبحوا اليوم في موقع الرجل الذي يخوض التجربة العملية من موقع السلطة ، وعندما "يدخل المرء الإمتحان يُكرّم أو يُهان" ، كما يقال ، رغم الممارسات اليسيرة خلال الفترة القصيرة الماضية ، التي يتبين معها المعنى الحقيقي لمسار الإخوان المسلمين ، والمؤشرات التالية تبين السلوك الفعلي لحزب الإخوان المسلمين :

### ملاحظة لابد منها

\* - في البدء عليّ الاعتراف إنّ قراءاتي الكثيرة في مجالات الفكر الإسلامي ، من خلال النصوص المقدسة والأبحاث الفكرية المختلفة ، وفي مراحل زمنية متتابعة ، مقرونة ومتعددة بأنماط نظم سياسية ، قديمة أو حديثة ، جمهورية أو ملكية ، وفق المفهوم الحديث للدولة المعاصرة أو أنظمة حكم محددة بشكل الإمارة وحاكمها المتفرد . . . إن كل تلك القراءات لم توصلني إلى رأي حاسم حول علاقة الإسلام بالديمقراطية السياسية ، وعلاقتها بمفهوم الشورى ، الإسلامي القرآني ، فهو : على مستوى المفاهيم ما زال الأمر ملتبساً ويشي بالعديد من التفسيرات المتناقضة ، ولكن ما ينبغي القبول به هو حقيقة وصول سلطة حزب "الإخوان المسلمين" - المتخفي تحت اسم حزب الحرية والعدالة - إلى موقع إدارة الحكم ، وهو حق سياسي مطلق له ، باعتباره فصيلاً إسلامياً ، وجزءاً من الحركة الوطنية المصرية .

والمسألة الأساسية هنا ، علاقة وصولهم للسلطة عبر صناديق الاقتراع تتمثل بضرورة تلبية مطالب الشعب المصري ، وفق قناعاتهم السياسية وإدعائاتهم الفكرية والسياسية ضد الحكام السابقين ، خصوصاً في المرحلة الناصرية ، وبالتالي العمل الجاد من أجل نقلهم قوى المجتمع المصري البشرية التي تعاني غالبيتها الفقر المدقع ، ويعاني الشعب المصري من تباينات طبقية حادة وفظيعة . . . أعني نقله من حالة دنيا ومتخلفة إلى حالة متقدمة ومتطورة ، وفق مقاييس التقدم والتطور التي تتناسب مع الدخل القومي المصري ، ومدى إيمانهم بمفهوم حرية تداول السلطة ، ورحابة صدرهم كذلك ، عن طريق التنافس الانتخابي وتباري الإرادة الشعبية ونيل رضا الناس .



ولكن ، مع ذلك ، علينا طرح بعض الأسئلة وإثارة بعض الموضوعات الفكرية والسياسية بالإستناد إلى مقارنة مواقفهم السياسية تجاه بعض الأحداث التي شهدت فصولها المنطقة العربية تحديداً .

1 - ركز القادة الجدد على مقولات محددة في مخاطبتهم الجانب الدولي العالمي بالقول أنهم يحرصون على العمل وفق سياسة السوق الحرة ، وأنهم سيحافظون على المعاهدات الدولية ، التي عقدتها الدولة المصرية في ظل قيادة رمزي النظامين السابقين ، والقاسم المشترك بين "التعهدات المصرية" والرؤية السياسية الأمريكية على هذا الصعيد واضحة المعالم ، صريحة التوجه الفكري والاتجاه السياسي ..

2 - وهناك مقياس موضوعي آخر على الصعيدين الغربي والصهيوني الإسرائيلي ، يتمثل بمعيار نهج الرئيس السادات السياسي على صعيد تسوية القضية الفلسطينية ومفهوم آخر الحروب والموقف من السياسات العدوانية الإسرائيلية ، فبعد التأكيد على الإحترام التام للمعاهدات الدولية ، ومعاهدة معسكر داوود هي المقصودة في هذا التعبير على وجه التحديد ، قامت السلطة الجديدة بمنح القتل أنور السادات الوسام المصري كونه بطل حرب تشرين عام 1973 ، ومن أجل التضليل البحت والخداع الشامل للرأي العام تم "لصق" الشخصية العسكرية المرحوم سعد الدين الشاذلي بقرار التكريم ومنح الوسام ، كما يروي السيد الكاتب المصري محمد حكم ذياب الذي فضح اللعبة المخاتلة تلك ، ولكن الأخوان المسلمين يتناسون اليوم أن السادات كان عنواناً لقضية ، والقضية هي خيانة وطنية مصرية وقومية عربية وتتعلق بجزء من الوطن العربي ، ودينية إسلامية ، جوهرها الموافقة على تنازل مدعي الإسلام عن أقدس جغرافية مقدسة خصها القرآن الكريم بالقداسة ، واجمع الفقهاء المسلمون على أهميتها ويتذكرون القائد العسكري الفذ ، والخليفة المسلم الحقيقي ، صلاح الدين الأيوبي بمناسبة وغير مناسبة ، فما هو المعيار الموضوعي والإسلامي لموقف الحكام الجدد ؟ ومقارنته بموقف القائد جمال عبد الناصر ! .

3 - معيار الموقف من القروض الأجنبية ، وتحميلها من أموال الربا ، والمسألة الأساسية على هذا الصعيد تتعلق بالقروض التي يوفرها صندوق النقد الدولي التي تتداول المصادر الإعلامية المصرية ، قبل العالمية ، الحديث التفصيلي عنها ، إنما ببرنامجهما الإقتصادي العالمي التي تستثمره الولايات المتحدة الأمريكية لوضع إقتصاد البلدان المستفيدة من تلك القروض على سكة الموائمة لمصالحها ورؤيتها السياسية . كل التجارب السياسية والإقتصادية المماثلة لهذا الشأن تؤكد تلك النتائج .

4 - معيار الموقف من الجهاد المقاوم ضد الحركة الصهيونية ، ومطاردة المقاومين ، وهدم الأنفاق التي تعد وسيلة لإجتراح حلول لأزمة الحصار الصهيوني الإسرائيلي المفروض على الشعب الفلسطيني ، وخصوصاً على قطاع غزة وشعبها المقاوم ، هذا من جهة ، ولو تصفحنا مطبوعات الأخبار لعثرنا على مئات الأمثلة التي يطالب الأخوان فيها سابقاً بفك الحصار عن غزة ، أولاً ، وعدم المساس بقدسيتها وجود وديمومة الأنفاق ، ثانياً ، فما هو الذي تغير يوم أمس عن هذا الوقت بغية تغيير المواقف السياسية من هذه التطورات السياسية التي تتعلق بمستقبل القضية الفلسطينية ؟ وثم من هو الذي تغير الأخوان أم النصوص الدينية حول الجهاد والعمل المقاوم ؟ .

5 - القرآن إحتوى بين دفتيه مناقشات مستفيضة مع اليهود ، وكما يقول المرحوم مصطفى محمود كانت نسبتها حوالي ربع القرآن ، وحمل التراث الإسلامي المكتوب الكثير من الحكايات والروايات التي تؤكد على الغدر والكذب والإحتيال عند أتباع هذه الطائفة ، فكيف أصبح صديق الرئيس المصري الجديد ، والإسلامي ، أعني به الرئيس الإسرائيلي الإرهابي شمعون بيرز ، وهو المثقل بالجرائم والمجازر البشرية ضد الشعب المصري وضد شعوب أقطار الوطن العربي : الصديق الوفي له ، ويتمني السعادة لمغتصبي الأرض العربية الإسلامية من المجرمين الصهاينة .

**2012 / 11 / 8**

القسم الثالث :

شهادات ووثائق تبرهن وتعزز :  
وجهة النظر السياسية لهذه الرؤية

# 1 - هدى جمال عبدالناصر تكتب

## عن النكسة ومؤامرة المشير

عن موقع الفكر القومي العربي  
شهر حزيران عام 2013

الكل كتب وتحدث عن عدوان 5 يونيو 1967 والظروف التي أحاطت به، إلا إنسان واحد، وهو الذى أعلن مسؤوليته كاملة عما حدث، ثم تولى بتفويض من الشعب الذى خرج يؤيده ويطالب ببقائه، ليس فى مصر وحدها وإنما فى العالم العربى كله، يومى 9 و10 يونيو. وعندما قبل الرجوع، دخل فى معارك داخلية وقاوم المؤامرات، وأصر على إعادة بناء جيش محترف قوى، يسترد الأرض ويطرده العدو الدخيل.

وقد وفى بالوعد.. وأدار حرب استنزاف على مدى ثلاث سنوات ونصف السنة، بدأت بالصمود ثم الردع واستعدت للتحرير، وخلالها تم تدريب نصف مليون مقاتل على الحرب الحديثة. أن الأوان- بعد 45 عاما - أن يُسمع صوت جمال عبدالناصر- للتاريخ وحده- وذلك من خلال محضر اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، فى 3 و4 أغسطس 1967.

(على موقع [www.nasser.org](http://www.nasser.org) «<http://www.nasser.org>») ولكن أستاذنا القارئ فى أن أعرض فى عجالة لمقدمات العدوان، ثم أحداثه، أيضا من كلام جمال عبدالناصر

### مقدمات العدوان:

وترجع إلى عام 1965، عندما قابل جمال عبدالناصر فيليبس تالبوت- وكيل الخارجية الأمريكية- ومعه رسالة من الرئيس الأمريكى جونسون، وكان جمال عبدالناصر قد رفض طلبات الأمريكيين، بحق التفتيش بالنسبة للنشاط الذرى فى مصر وبالنسبة للصواريخ، كما رفض تحديد الجيش المصرى بحد معين! وقال تالبوت: بما أنكم رفضتم هذا، فنحن نرى أننا فى حل أن نعطي إسرائيل ما تطلبه من السلاح! رد عليه جمال عبدالناصر قائلا: إذا أعطيت إسرائيل سلاحاً، نحن أيضا سنشتري سلاحا.

وفى 1967 لم يواجه الغرب مصر صراحة كما فعل فى عام 1956، وإنما بذل جهداً فى إخفاء دوره. ولم تكن مصر البادئة بتأزيم الموقف فى الشرق الأوسط، فلقد بدأت الأزمة بحشود إسرائيلية على الحدود مع سوريا، وقد جاءت معلومات عنها لمصر من مصادر متعددة، من السوريين الذين حددوا هذه الحشود بـ 18 لواء، ثم أبلغ السوفييت أنور السادات- الذى كان فى وفد برلمانى فى موسكو- بأن غزو سوريا وشيك! .

كان بيننا وبين سوريا اتفاقية للدفاع المشترك منذ سبتمبر 1955، ثم كان بيننا إيمان بالنضال وبالمصير المشترك، ولذلك فقد كان محتملاً علينا أن نتحرك لمواجهة الخطر على سوريا، ولقد نتج عن تحركنا العسكرى آثار عملية، طلبنا سحب قوة الطوارئ الدولية من سيناء، ثم أعدنا تطبيق حقوق السيادة المصرية على خليج العقبة، فأغلقتنا الخليج بالنسبة للسفن الإسرائيلية فى 23 مايو 1967.

توالت علينا بعد ذلك التحذيرات الدولية، فطلب والت روستو، مستشار الرئيس الأمريكى جونسون، أشرف غربال، سفيرنا فى واشنطن، فى ساعة متأخرة من الليل، وقال له : توجد معلومات عند إسرائيل أنكم ستهاجمون، وذلك يعرضكم لوضع خطير! وناشدنا ضبط النفس.

فى اليوم التالى طلب السفير الروسى مقابلة جمال عبدالناصر، وأبلغه رسالة من كوسيجن، رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى، يطلب فيها ضبط النفس، ويقول: إن أى عمل من ناحيتنا يعرض العالم لأخطار كبيرة! .

المجتمع الدولى كله كان يعارض البدء بالحرب، وكان حديث ديجول واضح، فى أن فرنسا سوف تبنى موقفها على أساس من يبدأ إطلاق الرصاصة الأولى!.

لقد تعرضنا لخدعة دبلوماسية.. لعملية تضليل سياسى خطيرة، وذلك كان من جانب الولايات المتحدة، التى بالإضافة إلى ما سبق - أرسلت إلى القاهرة مبعوثاً للرئيس الأمريكى، طلب أن يسافر أحد نواب الرئيس إلى الولايات المتحدة، فتقرر أن يذهب زكريا محيى الدين، وتم تحديد الموعد فى 6 يونيو، وبدأ العدوان فى 5 يونيو!.

فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا فى 22 مايو، قبل غلق خليج العقبة، كان من الواضح أن عملنا دفاعى، وأننا لن نقوم بالهجوم إلا إذا حصل عدوان على سوريا، وأن نكون على وضع الاستعداد. فى هذا الاجتماع لم يتكلم أحد على الهجوم على إسرائيل، وكان واضحاً من تحليلاتنا أن أى عمل هجومى على إسرائيل سيعرضنا لمخاطر كثيرة، أهمها هجوم أمريكى علينا، نظراً لتصريحاتها بأنها تضمن حدود الدول فى هذه المنطقة، وتقصد بالطبع إسرائيل! وعلى هذا الأساس كانت عمليتنا فى القيادة المشتركة عملية دفاعية، وكان حشدنا هو عملية ردع، حتى لاتقوم إسرائيل بالعدوان على سوريا.

## أحداث العدوان:

وتلك أيضا ملاحظات على لسان جمال عبدالناصر، أثناء مباحثاته مع الرئيس بومدين فى 10 يوليو، أى بعد 35 يوما من الهجوم..

- بدأ الهجوم بضربة جوية على الطيران، وخلال الهجوم الإسرائيلى تمكنوا من عمل تشويش كامل على أجهزة الرادار الجوى، والمضاد للطائرات، وأجهزة توجيه الصواريخ المضادة للطائرات، بحيث شلت تقريبا، ثم انفرد العدو بقواتنا البرية.

- أرسل عبدالمنعم رياض برقية من الأردن عن تحرك طائرات إسرائيل سعت 0830 صباح يوم 5 يونيو.. ولم تصل للقيادة! .

- انهارت القيادة العامة للقوات المسلحة فعلا منذ اللحظة الأولى من الحرب، ولولا ذلك لكان من الممكن أن نقاتل وننسحب بطريقة أفضل كثيرا مما تم، كما كان من الممكن تجنب كثير من الخسائر.

ويقول جمال عبدالناصر للرئيس بومدين: إننى أود أن أسجل حقيقة، وهى أنه لم تحدث حرب بالمعنى المفهوم، وإن كانت هناك معارك منفصلة هنا وهناك، وبطولات من بعض قواتنا المسلحة، ومن ضباط وجنود لا حصر لها، ولكنها ضاعت وسط ضباب المعركة.

المهم.. يوم الخميس 8 يونيو كان الوضع كالاتى، كنا بدون جيش، وقد خسرنا الكثير من الأسلحة والمعدات، كما حدثت فوضى فى الانسحاب، هل هو للخط الثانى بسيئاء، أم هو إلى غرب القناة؟!!

والآن ننتقل إلى تفاصيل ما حدث على لسان جمال عبدالناصر فى جلسة اللجنة التنفيذية المذكورة..

## مشكلة قيادة القوات المسلحة:

الموضوع من سنين طويلة.. رأى أن عبدالحكيم هو شخص مدنى، انتهت معلوماته العسكرية سنة 1952، لكن لابس بدلة عسكرى! مرت 1956 وبعدها، والدنيا تتغير، وإننى اليوم لا أستطيع أن أقود الجيش، ولا أحد فيكم يصلح. إننا ممكن نتكلم استراتيجى، ولكن القائد يجب أن يكون متعلم ومحترف، وكل ثلاث سنوات يغير، ونكون بنعلم واحد، هذا كان الخلاف الأساسى مع عبدالحكيم، ولم نستطع أن نصل لحل.

وقد اعترضت على صدقى محمود قائدا للقوات الجوية، وعلى هذا قدم عبدالحكيم عامر استقالات متعددة، من أجله. والاستقالة التى توزع هذه الأيام، اتعملت سنة 1962، عندما كنا نريد أن نعمل مجلس رئاسة، واتفقنا أنه يترك الجيش، ونعين قائداً محترفاً. وبعد ما تم الاتفاق قدم استقالة، ثم قدم استقاله ثانية! فكان هناك خلافات باستمرار فى وجهات النظر، ورأى أن صدقى محمود لا يستطيع أن يقود أو يدير أو يعمل شيئاً! .

وكان قد عقد اجتماع فى البداية لقيادة الجيش، حضره زكريا محيى الدين وأنور السادات، وكانت الخطة مبنية على أن الحرب ستكون بين الطرفين الجنوبى والأوسط، وأن القرار هو أن اليهود لن يتحركوا من عند الكنتلة ويقطعوا إيلات.

وقد سألت.. إذا كنتم ستتحركون، لماذا لا تذهبون إلى بير سبع؟ كان الرد، أن العملية صعبة. ناقشت الموضوع على أساس احتمالين.. إما يأخذوا شرم الشيخ، أو يقطعوا قطاع غزة، وشرم الشيخ فى رأى احتمال بعيد.

إننى أناقش ليس كقائد عسكرى، وقلت أن تعزز العريش، ففى رأى القوة التى فى الشمال ضعيفة، رفح فاضية، والعريش ليست بها دبابات، وقوة سعد الشاذلى هى التى يعدون منها دائماً، إنهم سيقطعون من خان يونس. تناقشنا، واخترت رأى أنور القاضى وعبد المحسن كامل مرتجى، الذى كان من رأيه فعلاً تقوية العريش وهذه المناطق، وتكلمنا على ألغام ومواقع دفاعية.

بعد أول يوم وافق عبدالحكيم على أن يرسل «لواء مدرع» للعريش، وتقوية قوة الشاذلى، ثم دفع قوة لرفح، لتقوية منطقة العريش، ثم السناره.

يوم الجمعة 2 / 6 ذهبت للقيادة وحدى، قال لى عبدالحكيم: لقد نقلت اللواء المدرع من العريش إلى نخل، وقوة سعد الشاذلى نقلتها إلى شمال الكنتلة! الحقيقة الخطة هكذا غير منطقية، وأكمل عبدالحكيم.. إن المعركة ستكون بين نخل والحسنة، وهذا قرارى ونفذت هذا الكلام، وبعد ذلك قيل عن هذا اللواء: اللواء الطائر!

حضر بعد ذلك صدقى محمود ومحمد فوزى وشمس بدران ومحمد صادق، وقلت لهم رأى- قبل أن يبدأ القاضى فى الكلام- أن الحرب ستقوم 100٪، واليهود سيهجمون يوم الاثنين 5 يونيو، وأن الضربة الأولى على الطيران .

شرح القاضى.. فرقة عبدالقادر حسن نقلوها إلى الكنتلة، وأخلت كرم بن مصلح والعريش والشيخ زويد، ووضعت فرقة فى رفح. يومها كلمت شعراوى جمعة، وقلت له ما حدث، وأن تقديرى أنهم لم يكونوا متصورين إن فيه حرب ! .

يوم 5 / 6 ليلا ذهبت للقيادة، وحاولت أن أكلّم عبدالحكيم، ولكنه كان فى حالة سيئة، فقابلت القادة العسكريين، ووجدت أوامر متضاربة! فتركت.

يوم 7 / 7 كلمنى عبدالحكيم، وقال: الجيش خِص، والدنيا انتهت، قلت له: أعمل إيه؟! قال: غرب القناة، رديت.. يا عبد الحكيم نقدر نقف فى الممرات.

اتصل بى شمس بدران، وأبلغته أن رأى أن عبدالحكيم لا يصلح للقيادة، وتقنعه يستريح، ونحاول أن نتابع ما يحدث، فقال: والله حاسس إن عبدالحكيم أحضر سينايد وسينتحر، ولا أحد يستطيع أن ينقذه! ذهبت إليه ومعى حسين الشافعى وصدقى سليمان وزكريا محيى الدين، وقمت بتهدة الأمور.

قال شمس لزكريا: الجيش انتهى، والمقاومة الشعبية تحارب! وبدأوا الحديث عن عدد البنادق المتاحة، ثم زجاجات المولوتوف! وهنا قلت حرب سنة 1914 لا تنفع ! .

رجعت إلى القيادة يوم الخميس 8 / 8 ، وقلت لعبد الحكيم: أنا أعتبر أننى مسؤول عما حدث، وعلى هذا الأساس سأتكلم غدا، وقررت أن أتحنى وأتحمل مسؤولية ما حدث، من فى رأيك يستلم البلد؟ فقال أصلح واحد لهذا الموضوع هو شمس بدران ! .

لقد كنت فى حالة ذهول، فما حدث ما كان فى التصور! وقد فكرت ليلا أنه لا يمكن شمس بدران، فهو ليس على المستوى، وفى الصباح كان اختياري هو زكريا. وفى نفس اليوم ليلا.. ذهبت إلى عبدالحكيم، وطلب عمل اجتماع يدعى فيه بغدادى وكمال حسين وحسن إبراهيم، قلت له: كيف أشرك هؤلاء فى مسؤولية أنا متحملها ؟! .

يوم 8 / 6 ليلا، عندما أخطرونى بأن عبدالحكيم سينتحر - على لسان شمس - سألت محمد فوزى.. ما الذى حدث بعد ما تركت القيادة؟ قال: إن حكيم اجتمع مع شمس، ورتبوا العملية، وشمس بات رئيس جمهورية! وطلبوا فوزى على أنه سيعمل مع شمس! فى نفس الليلة طلبت من حكيم أن يجعل الكلام السابق بيننا سرا، ففوجئت بأنه أخطر شمس وفوزى! وحصلت اتصالات بعد ذلك بناس فى مناطق مختلفة، على أساس ألا يستقيلوا عندما أستقيل ! .

الساعة 4 صباح يوم 9 / 6 اتخذت قرارا باعتقال مجموعة شمس كلها، فكل الترتيبات التى عملوها لم تتم .

صباح الجمعة 9 / 9 كان عبدالحكيم فى حالة غير طبيعية، حيث وردته أخبار بأن اليهود عدوا غرب القناة، ونزلوا مظلات. أرسلت له زكريا، وعملوا اتصالات، واتضح أن هذه المعلومات غير حقيقية ! .

أكدت لحكيم أن أنسب واحد هو زكريا، وكنت متصور الناس حاتطلع تضربنا بالجزمة، لأننا عملنا عملة ما تستاهل غير ضرب الجزمة الحقيقة ! .



بعد الظهر كلمته، وقلت له: زكريا يقدر «يلم» البلد، ودوليا يقدر يتكلم. قال: أذكر أنى اعتزلت فى الخطاب! رديت.. هذا خطاب الوداع وليس خطاب شخصى! وأضفت.. إننى عندما أرشح زكريا معناه أنك اعتزلت، وبعد مناقشة طويلة قلت له: لأ.. لن أقول ! .

كلمنى عبدالحكيم بعد ذلك، وقال: أنا طلبت السفير الروسى، وبلغته أنك ستعتزل، وهو يريد أن يقابلك. كان الخطاب محدد له سعت 1930، فحددت له موعدا سعت 1900. جاء لى السفير الروسى «بيلطم»، قلت له : أنتم خذلتونا، وما طلبناه منكم لا ينفذ ! .

حتى ذلك الوقت زكريا لم يكن يعرف أى شىء، ذهبت إلى قصر القبة وبدأت الخطاب، وعندما وصلت إلى منتصفه، جاءت لى ورقة، المشير يطلب منك إيقاف الخطاب! إيقاف إيه؟! كملت الخطاب. وطلب عبدالحكيم أن يعمل بيان فى الإذاعة، وأنا قلت: لا أحد يعمل بيانات! وعندما أصر أذيع بيان أنه وشمس بدران استقلا .

حصل ما جرى يوم الجمعة 9، 10 / 6 «بخروج الجماهير ترفض الاستقالة»، فاتصلت بعبد الحكيم، وقلت له: سأصدر بيانا، فقال: أنت استعجلت، وكان لازم تنتظر يومين. قلت له: البلد تتحرق، فقال تتحرق! قلت له: لماذا نحرقها؟ ماهديناها! وطلعت البيان .

كلمنى شمس يوم 10 / 6 سعت 2300 وقال: يوجد 500 ضابط فى البيت عند المشير، يطالبون بعودته، وهو بيقول لك: بت فى الموضوع فورا! قلت له: يعنى إيه 500 ضابط، وأبت؟! موضوع لا أفهمه! وقد كنت قد أرسلت الحرس الجمهورى للإسماعيلية. وقلت له لماذا تكلمنى؟ دع المشير يكلمنى.. ليس أنت الذى تكلمنى! رجع وقال: إنه وسط الضباط، ويريد أن تبت حالا فى الموقف! رديت.. يا شمس إنت عارف رأيى.. غدا، لن أبت الليلة، أراه غدا وأتكلم معاه. قال: والله.. مصلحة تبت الليلة!

قلت: كيف أبت، وأنا مخى واقف؟! وقلت لك أثناء المعركة أنه غير لائق للقيادة، وأنت تعرف القصة كلها! الجيش يمشى محترف، وعبد الحكيم يستمر نائب أول، وعلى العموم غدا صباحا سأطلبه وأتكلم معه. لم أتصور بأن شمس نقل هذا الكلام بالحرف لعبد الحكيم، إلا عندما سألت شمس آخر مرة جاء لى، فأكد ذلك ! .

تانى يوم صباحا- 11 / 6- طلبت عبدالحكيم فلم أجده، وكذلك شمس لا يظهر، ثم بلغونى بأن هناك ضباطاً يذهبون إلى القيادة ويجتمعون، وطلبت صلاح نصر.. سألته عن المشير، وأن يحضره إلئ ! .

بعد ذلك بلغونى بأن الضباط أصبح عددهم 700، وأنهم حضروا بإشارات! ثم جاءت عريضة بعودة المشير. قطعاً كلامى الليلة السابقة قيل لعدد من الناس، وخططت العملية بترتيب بناء على كلامى ليلا، وجمال نظم طلع الفتوة، وطلبوا بعودة شمس بدران.. طلبت جمال نظيم، وقلت له : تقعد فى بيتكم ! .

كلمنى صلاح نصر، وقال: المشير لم يقبل الحضور، فطلبت فوزى وقلت له: إننى عينتك قائداً عاماً - وكانت سعت 1400 - وإنى قبلت استقالات الفرقاء.. يتركوا، وإن الذين أحضروا العريضة يذهبوا للمعاش. وأول ما أذيع الخبر فى الإذاعة سعت 1430، تركوا.. مجموعة المرتزقة! قلت لهم: حيث إن هذه مجموعة هاربون! أنا عارف لا يوجد جيش، احضروا الحرس من الإسماعيلية ! .

سعت 1730 جاء لى عبدالحكيم ..

جمال: إيه اللى إنت عملته؟! طلع حسن خليل بقوة الصاعقة بالسلاح على القيادة، وطلع أبو نار.. الخ، بتعملوا فى إيه؟! هو أنا الخديو توفيق؟! مين؟! عثمان وحمزة البسيونى.. الخ، وعبد الحليم عبدالعال، حسن خليل، المعاش ويعتقل .

عبد الحكيم: هؤلاء لم يخطئوا، ونحن مجموعة واحدة! وهم يقولون الرئيس طلع ورجع، والمشير طلع.. يرجع، فيها إيه؟! ليس بها عمل ضدك! وعلى العموم أنت أخذت قرارك.

جمال: قلت له: اللى اتعين فى القيادة قائد عام .

عبد الحكيم: فوزى عينته قائد عام ؟! .

جمال: نعم.

عبد الحكيم: لأ.. كنت تعين مرتجى ! .

جمال: ده قائد الجبهة الذى جرى، كيف أعينه؟! يا عبدالحكيم.. تقعد نائب أول وعضو لجنة تنفيذية عليا، أما الجيش فيمشى جيش محترف .

عبد الحكيم: لا ترضى لى هذا الكلام، يا أقعد فى الجيش.. أو لا أستم.

جمال: موسى ديان تجمع مع ألون ومناحم بيجن، ونحن البلد مهددة.

عبد الحكيم: أبدا.. يالجيش يا... لا ترضى لى! أنا مسافر المنيا فوراً.

جمال: الدنيا مقلوبة، وأنا معى الطبنجة فقط، ستتركنى الآن وتذهب إلى المنيا؟! طب أقعد جنبى.. بعد ساعة سافر إلى المنيا ! .

اتصل بى شمس من المنيا قلت له: عبدالحكيم عارف إنك بتكلمنى؟ قال: لأ. قلت: ناديه يكلمنى.. يا حكيم.. يعنى معقول هذا؟! رد.. أنا مستريح. بعد ذلك رجع إلى القاهرة، وطلب هيك، وكان متدمرا جدا من المعاشات ! .

ذهبت إليه سعت 2300 فى البيت يوم 12 / 6 ، وقلت له: لا يمكن الأوضاع تستمر بهذا الشكل، وأنت عارف رأى فى الجيش من عشر سنين، ما الذى حدث؟! اترك الجيش وإذا كان لك رأى.. تقوله. قال: أبدا.. ياالجيش يا... قلت له: بعد 30 سنة عشرة يا عبدالحكيم.. يحدث هذا؟! .

كان أيضا موضوع جلال هريدى، الذى وصل من الأردن، وهو معروف منذ أيام الانفصال، عندما بعثته لإنقاذ المشير، فاستسلم! ثم عُين ملحقاً عسكرياً وأبعدته فى طوكيو! احتد جلال هريدى عليهم.. جيش بدون المشير لا أعمل! قلت: مرفود! .

بلغت عبدالحكيم الكلام.. استقالة 1962 وتوزيعها، الحرية والديمقراطية، النظام وإسقاط النظام، الجيش بيدار من بيت عبدالحكيم، وفوزى فى مكتبه لا يدري ! .

جاء لى شمس، وقال: البلد ضدك 100٪، والحل إن المشير لازم يرجع، وإلا ستحدث حوادث ! .

جاء لى ثروت عكاشة - وهو صديق عبدالحكيم - حكيت له ما حدث، فقال: والله لو رجع عبدالحكيم تبقى البلد كلها تتقلب، ولا يمكن أحد يقبل! وأنا مستعد أذهب إليه وأقول له هذا الكلام .

ذهب ثروت عكاشة لعبد الحكيم عامر، وقال له: البلد حالتها كذا وكذا.. البلد لا تعلم الحقيقة.. سأله عبدالحكيم.. والجيش؟ فرد ثروت.. أنا لا أعرف شيئا. قال عبدالحكيم: رأى.. البلد لأنها لا تعلم الحقيقة، وبدأ.. أنهم كانوا عايزين يضربوا الضربة الأولى، وأنا لم أوافق.. وكلام كثير، ثم موضوع الانسحاب الذى أمر به، والتدخل فى الخطه.

لم أقابل أحدا، ولم أتكلم، لكن أنا عارف البلد ما يخفى عليها خافية.. كل واحد بيتكلم، أحسست فيه تنمر وشعور بالقوة.

لما كان عندى شمس، بأقول له: ما حالكم يا شمس.. ضباطك ما حالتكم؟ قال: متضايقين لأننا تركنا الجيش! قلت له: نكمل الحديث بعد 3 أيام. بعد ما خرج شمس، أصدرت قرارا بتعيين أمين هويدي وزير حربية، وقرارا برفع صور المشير، وإشارة بأنى قبلت استقالته وإلغاء المنصب، وكلمت فوزى ليعتقل التنظيم كله.. واعتقلوا كلهم ! .

عملية التنظيم معروفة، وجاء لى شمس يكمل الحديث، كانوا الولاد اعتقلوا، وكلمنى - وشعرت أنه لا يعلم أنهم اتمسكوا - قال لى: ماذا فعلتوا؟ يجب أن يرجع المشير، وأن ذلك هو الحل الوحيد، ولا حل غير ذلك! ثم سأل.. على غزى وبدر، لماذا اعتقلوا؟ .

جمال: والله أنا اعتقلت دفعة 1948 كلها - فارتجفت شفائفه - أصلك لست رجلا.. لو كنت رجلا كنت قلت لى : أنا عندى تنظيم فى الجيش ! .

شمس: حاكموهم .

جمال: يهوذا خان المسيح بـ 30 درهم!

شمس: اعتقلنى أيضا.

جمال: حاضر.. مستعد أعتقلك، كنت قد اعتقلت صدقى محمود، ومجموعة المعاشات التى كانت تذهب للمشير كلها أعتقلت.

بدأ المزاج يتغير بعد « الأولاد» ما اتمسكوا، وكلمنى عبدالحكيم يوم الخميس 16 / 6 ليلا..

عبد الحكيم: أنا سمعت إنك متضايق بسبب الاستقالة، لقد أخذت بدون أن أعلم ! .

جمال: والله ما أعرف أين التى أرسلتها لى؟ انطبت! جاء إلى بعد ذلك، فلم نتكلم فى المواضيع إلا قليلا.. واتعشى .

جمال: النواب تبعك.. كل واحد كان ييجى عندى ويكتب تقرير! وإن قابلك، وقلت كذا، وأخذونى غصب عنى إلى المشير ! .

عبد الحكيم : وأنت خايف ليه؟ أنا باعمل لمصلحتك.

جمال: أنا لا أخاف ! .

عبد الحكيم: الروس خانونا، ويريدون أن يتخلصوا منا، وأحسن نتفق مع الأمريكان، دلوقتى أنا رجل غير رسمى، أرسلنى أحل الموضوع، وأنا أعرف هناك باطل.. باطلع سائح وأتفاوض معهم، وأحل ! .

جمال : الموضوع ليس بهذه البساطة.

كان ذلك يوم السبت 18 / 6 ليلا.. وتبقى تكلمنى.. ومشى وانتهى الموضوع .

حصلت عمليات فى مجلس الأمة، واتوزعت الاستقالة، على مجلس الأمة أن يناضل.. الخ. إننى أحكى كل ذلك، لأنه يقودنى إلى الموقف. إذا كان عبدالحكيم عمل كده.. تبقى الدنيا إيه؟! ثم إنه قال لثروت: طالما هذا النظام باق، فلا بد أن أكون قائد الجيش! فيجب لهذا النظام أن يتغير ! .

الحقيقة.. أنا جاءت لى خبطتان، الأولى.. سينا واليهود، والثانية.. عبدالحكيم، وهذه أثرت فى تفكيرى، وذلك يجعلنى أقول إن النظام «system» خطأ. هو مقيم فى البيت محصن، وحوله مدافع م / د، ومعه ناس من البلد، وأنا كنت طلبت سحب الحرس من حول بيته، فبعث يقول: أنا رجل عام، ولى أعداء! وعامل خط دفاع أول وثانٍ! وأحضر ناس يدر بهم جلال هريدى، وعاملين خطة انسحاب! وهناك لجنة عليا من حسن عامر وشمس بدران، الذى قال له: إنى قلت عليه يهوذا ! .

كلمنى شمس بالتليفون، فعاتبته على ما قاله لعبد الحكيم، وقلت له: سأعمل مثل البعث، أليست البلد ضدكم 100%؟! لكن مستمرين، لأن لا يوجد لعب فى الجيش ! .

نطلع من الموضوع بماذا؟ نظامنا المقبول معناه.. أننى مورث، توجد مناصب إرثا.. الحقيقة البلد كلها إقطاعيات! موضوع الجيش.. من سنة 1962 لا أعرف عنه شيئا! وما كنت أقدر أعمل فيه شيئا.. ومواضيع كثيرة.

أمامنا واجبان..

1 - البلد التى تفسخت، «ونلمها».

2 - إيه الأخطاء فى نظام الحكم؟ ونصلحها.

الموضوع ليس أن نحكم.. الموضوع وضع النظام السليم للناس، افرض ضربنا فى بعض بالجيش! ما جعلنى اتصرف يوم 11 / 6 ، أن الجيش كان هارب ! .

أنا فى خطاب يوم 9 / 6 تكلمت على مواضيع محددة، وفى مخى أشياء.. اللجنة المركزية، ثم فكرت أن اللجنة لا يمكن نعملها إلا بمؤتمر عام، وأنا أخاف من الديمقراطية ليه؟! .

الجيش.. أنا ما أعرف عنه شيئاً، لجنة تصفية الإقطاع.. أنا مشغول، لكن كنت أوقع، التعيينات.. لم أعين أحداً، كل هذه العمليات أنا مسؤول عنها، وبأقول أنا مسؤول عنها. عبدالحكيم كان ماسك ده كله والا لأ؟! يقول اليوم: إن جمال عبدالناصر ديكتاتور، ويجب تغيير نظام الحكم ! .

قال لى بعدها: أنا أفديك، وأنا لست خوّاناً! قلت له عن مقابلته مع مجلس الأمة، وأضفت.. أنت مُعلن الحرب، ولم أتكلم عليك ولا كلمة! طيب.. أنا وأنت مختلفون، إيه دخل أقربانك.. ما الموضوع؟! إذا كنا بنعمل كده، لماذا نعمل نظام مقفول؟! إذا كان ذلك حدث مع أكثر اثنين التصاقاً، فما معنى ذلك؟!..

المعنى الثانى.. إذا كانت هناك عصابة فى الجيش تستعد لى تستلم- وهم المسجونون اليوم- مجموعة من دفعة 48، ومجموعة ثانية طالعين مع شمس سيأخذوا البلد. النظام ليس فيه الاحترام! العمليات التى حدثت فى السنين الماضية، الهدايا، السفريات، وضع الرجل غير الصح فى أى منصب، ماذا كانت النتيجة؟! الكارثة التى حدثت. رأى أن قواتنا كانت أكثر من اليهود، المارشال الروسى قال لى: عندكم طيارات أكثر من اليهود، ولكنهم يستطيعون أن يستخدموا طائراتهم، وأنتم لا ! .

نحن الآن كلنا فى الخمسين، ما تبقى لنا عدد من السنوات قليل، يجب أن نعمل نظام صح يمشى البلد. النقاوة الثورية نسبية، قليل جداً من الناس يقلدك فى الصح، ولكن كثير يقلدونك فى الخطأ! وذلك انتشر، والجيش حدثت فيه أخطاء كثيرة جداً، الجيش سنخلصه وسنظهره .

ما هو الوضع اليوم فى البلد؟ عبدالحكيم يذم فينا، وهو يقول: إن الاتحاد الاشتراكى يذم فيه، أعداؤنا.. لا شيء، الحقيقة النظام يأكل نفسه! قد يتكرر الموضوع.. إذن ما العمل؟ الحقيقة المستقبل بهذا الشكل خطير جداً! .

رأى أن نغير النظام.. فيه عيوب كبيرة، نحن لسنا روسيا، ستالين ذبح كل الذين كانوا معه، وذبح المؤتمر كله واللجنة المركزية! والذى يتكلم ذُبح، وظهر بعد ذلك فالنكوف.. ذبحوه، ثم جاء بولجانين وخروشوف.. قضوا عليهم! وكذلك فى الصين! نظام الحزب الواحد نظام خطأ، يحدث فيه صراعات على السلطة كبيرة جداً، ولازم تحدث تصفية ! .

أريد أن أرى رأى الناس، لو استمررنا.. بالكثير 10 سنين، ثم نعتزل. ليس ممكناً أن أعيش لسن الستين.. باتكلم جد! إذا استمررنا فأماننا على الأكثر عشر سنوات، إذن فى تصورى لا نترك البلد لإنسان يسىء إليها مثل شمس بدران، ودفعة 48 الذين يريدون أن يحكموا،

أو شخص غير مثقف يقول: إنه لا يعرف حكاية يهوذا والمسيح! الذى يحكم يجب أن يكون عنده فكر ومثقف .

إذن.. حتى الديكتاتورية فيها وازع وراذع وصمام أمان، ماذا عن الديكتاتورية فى بلدنا؟! افرض أن عملية شمس بدران نجحت، وأنا أعلنت التنحي والشعب لم يتحرك، بالتالى كان سيحدث تدبيح لعدد كبير من الناس، مجموعة طالعة تدبج مجموعة! ماذا سيكون حال البلد حينئذ؟! .

إننى أقول: يجب أن نؤمن البلد، التطبيقات الاشتراكية «نفذناها»، تذويب الفوارق يحتاج سنين، ماوتسى تونج بعد 50 سنة يصف ليوتشاوتشى بأنه مرتزق رأسمالى! الأساس هو تنفيذ الخطة والتنمية. إن النظام مقفول، وأنا خائف منه، اليوم أنا أقوى واحد فيكم، لكن خائف منه لسبب، لأنى رأيت انحرافات لا أستطيع أن أقومها ولا أوقفها - كده بصراحة - إذن.. ممكن فى المستقبل يكون فيه أسوأ من هذا! .

نحن لم نعتقل إنسان من سنة 1964، إلا يوم مؤامرة حسين توفيق. يوم إعلان الدستور أنهيت الأحكام العرفية، وطلعت كل المسجونين والإخوان المسلمين، وأصدرت قانوناً حتى يرجعوا إلى عملهم، ثم جاء موضوع الإخوان المسلمين الخاص بعبد القادر عامر، وبدأ التحقيق، ورجعناهم كلهم إلى السجن. أعتقل مع هؤلاء، جماعات التبليغ، والبهائيين، والمجرمين. أعتقل بعد ذلك الذين كانوا فى جنازة النحاس، ثم من حددتهم لجنة تصفية الإقطاع. ويوم ما تولى زكريا محيى الدين الوزارة لم يكن عندى معتقل واحد، بل الإخوان المسلمين أعضاء التنظيم الإرهابى المحكوم عليهم، أنا طلعتهم .

الحقيقة إجراءات الأمن فى هذا الموضوع، نتجت عن أن الذين طلعتناهم من السجن عملوا تنظيمات إرهابية- سيد قطب- وقلنا نرجع الذين كنا قد أفرجنا عنهم إلى السجن، وطلعتنا دفعة من الإخوان المسلمين. لكن اليوم لا أستطيع أن أفرج عن دفعة، لأنه فيه شرخ فى النظام، ولو طلعتهم معناها أننا مستضعفون .

وحول الأخطاء الماضية.. لم يكلمنى أحد منكم فى هذه الموضوعات أبداً، أيام وجود عبدالحكيم. بدى أسجل للتاريخ.. الوحيد الذى تكلم معى فى هذه الموضوعات هو صدقى سليمان، وقلت له: اذهب للجنة تصفية الإقطاع، فطلب لجنة الرقابة.. يعنى هذه الصورة رأيتوها من 5 يونيو ولا أقول 9 ؟ ! .

بنلوم أعضاء مجلس الأمة أنهم لا يتكلمون، وهناك قصة اسمها «الحقيقة ثلاث دقائق».. أيام حكم باتستا فى كوبا دخل واحد الإذاعة وقفل الباب، وتكلم فى الميكروفون، وقال رآيه فى الحكومة بمنتهى الشجاعة، ودخلوا ضربوه رصاصة! إذا كنا نرى حقائق ولم نستطع أن نتكلم عليها، ما هى المصيبة مصيبتين! لماذا لم تصمم على أن الصح يأخذ مجراه، وتقول الحقيقة ولو لثلاث دقائق؟! .

إننى أريد أن أفتح المناقشة، وبأقول إن النظام غلط، وقلت: إن الكبار أصبحوا لا يتكلمون، وأريد واحد يتكلم ولو تُقطع رقبته! نحن أكبر هيئة فى البلد نرى هذا الموضوع ولا نتكلم! كيف تطلبوا منى أن أصلح؟! أنا عاجز أن أصلح ! .

هذه مشكلة المشاكل، ومصيبة المصايب إذا كنا هكذا.. أنا باقول علنا: إننى فى الجيش - من سنة 1962 - كنت أحاول أن «ألم» ولا أعمل صدام قد يهدد البلد، وأنتم تعرفون ذلك. فى سنة 1962 قبلت استقالة عبد الحكيم، وأنتم عندى فى بيتى، ثم قلت لكم أتركونى أفكر! وقمت «لميت» فى عبدالحكيم عامر، وبعدت نفسى عن الجيش، وقبلت أوضاعا لأسباب تعرفوها ويعلمها الله، وكان هدفى أن أطمئن عبدالحكيم من الناس الذين كانوا يخوفونه منى. وكان يوافقنى، ماعدا شىء واحد، موضوع الجيش، كان يصمم على رأيه! النظام أصبح عفناً «rotten».

الإخوان باعتبارهم مع الأمريكان وفيصل، وهدفهم الأول التخلص من النظام ومنى شخصياً. ورأى أنى شخصياً.. الأمريكان لن يتركونى فى الفترة القادمة. وعندى معلومات عن مفاجأة يوم 9 و10 على الأمريكان! وهم كانوا يعتقدون أن اليهود وصلوا القناة، وخِص جمال عبدالناصر! الاحتمال الذى وضعوه ليس إلا الاغتيال! وعن أثر 9 و10 يونيو.. كل المعلومات التى عندى، صدمة عنيفة جدا نتيجة ما حدث فى البلاد العربية، بل أكثر فى بيروت، حرقوا وهدموا كل المؤسسات الأجنبية، مظاهرات يخرج فيها المسيحيون والمسلمون! هذا العام الأمريكان «مش حيسيبونى» أبدا، يمكن لهذا أنا مستعجل فى بحث هذه الأمور . قد يقول البعض كيف.. واليهود فى شرق القناة؟! لا.. الموضوع أوسع من ذلك كثيرا.

ما هو النظام المفتوح ؟

الخوف موجود من سنة 1952.. أى ثورة فيها خوف.. تاريخ الثورات فيها خوف، الكتاب قبل الثورات يكتبون، وبعدها لا يكتبون .



إذا أردنا نعمل خيراً في هذا البلد أقول لكم رأيي.. أن نتحرر أولاً من الخوف، ونحرر البلد من الخوف، ولا يمكن أن نحقق ذلك بإجراء ولا بكتابة ولا بقلم. إن هكل يكتب لأنى ضامنه، وهو يعرف أن لا أحد سوف يمسه طالما أنا موجود، لكن من يقدر يكتب إلا لما يأخذ الأمان ؟! :

إذا كنا نريد أن نضمن الأمن والسلام والطمأنينة في البلد، نعمل معارضة في حدود معينة ومضبوطة، ونسمح لها تعمل حزب، وأعمل حزب ويظل الاتحاد الاشتراكي موجودا. وأصدر قانونا بإنشاء حزبين، أعطيهما جريدة مثل جريدة الاتحاد الاشتراكي، ونتفق أن المعارضة تعمل في إطار الميثاق، ونعمل انتخابات في شهر ديسمبر القادم، ومن يكسب الانتخابات يستلم البلد.

لا توجد ديكتاتورية، يا نعمل ديكتاتورية حقيقية والذي لا ينفذ شيئاً نقطع رقبتة.. وأنا لا أستطيع، يا إما نظام مفتوح في حدود الميثاق.. نحن رجال الثورة اختلفنا، نعمل حزبين. والجيش يكون محترفاً، والبوليس محترف، ونعمل قواعد أساسية نمشي بها البلد. ذلك هو النظام المفتوح الذي أتصوره، ونخلص من النظام العفن، ونتحرر من هذا النظام، ويبقى عملنا شيئاً. أنا ضد نظام الحزب الواحد، الحزب الواحد ديكتاتورية طبقة أو ديكتاتورية حاكم .

من أول الثورة - 23 يوليو 1952 - مجلس الثورة قال رأييه في الديمقراطية، وكنت الوحيد الذي صوت مع الديمقراطية، والباقي.. ديكتاتورية، وقلت لهم: سلام عليكم.. وخرجت، وجاء لى ناس من الجيش وقالوا لى كيف تخرج؟! بعدها بيومين جاء لى جمال سالم، وقال لى: لقد قبلنا رأيك، وبهذا أنت نفذت ديكتاتوريتك علينا، لأن الأغلبية خضعت للأقلية!

اليوم إذا لم ننفذ ذلك، لن نعرف من الذى سوف يستلم البلد في المستقبل؟ وما هي الضمانات؟ والذي وصلنا لدرجة أننا نخاف نتكلم أو نقبل أوضاعاً لا تعجبنا، ممكن يحدث في المستقبل أسوأ منه كثيراً .

المصدر على الرابط التالي :

<http://www.alfikralarabi.org/modules.php?name=News&file=article&sid=10181>

## وملحق آخر

### ماذا يحدث في سيناء

#### خالد الخولي

الأحداث في سيناء ليست وليدة اليوم ومن يريد ان يعرف ويعي أصل المشكلة عليه ان يعود إلى عقود مضت وعندها سيصل إلى قناعة ان كل الكوارث والجرائم التي وقعت على أرض سيناء أيا كان مرتكبوها وأيا كان مقصدهم إلا أنها جميعها نتاج معاهدة تم توقيعها وعرفت باسم كامب ديفيد اغتصبت أرض سيناء من السيادة المصرية .

القصة بدأت منذ عقود عندما أعلن السادات أنه قرر عقد صلح مع العدو الصهيوني ما سبب صدمة اجتماعية وثقافية وعقائدية وأخلاقية ووطنية للشارع العربي الذي تربى ونشأ وترعرع على موقف واحد من الصهاينة وهو أنهم أعداء وأننا نخوض معهم صراع وجود لا صراع حدود ، وأن التعامل مع الصهاينة إثم وجريمة وعار لا يحويه الزمن .

على كل مضى السادات في طريقة لعقد معاهدة مع الصهاينة متسلحاً بالأمريكان وملتزمًا بتعليماتهم ومؤتمراً بأمرهم .

وفي منتجج كامب ديفيد بولاية ميريلاند في الولايات المتحدة الأمريكية اجتمع الثلاثي الصهيوني والأمريكي والمصري واتفقوا وتأمروا وصاغوا ما عرف بمعاهدة كامب ديفيد التي صارت هي الدستور والقانون والميثاق الذي صاغ مصر بأكملها كما أثرت على الأمة العربية بأسرها حتى لحظتنا هذه . ولكن ما علاقة هذه الواقعة التاريخية بما يحدث تحديداً في سيناء الآن ؟

الإجابة انه وفقاً لهذه المعاهدة لم يعد لمصر سيادة على جزء من ترابها وهو سيناء ، وأصبحت علاقة مصر بسيناء ترتبط بمدى التزام مصر بالاتفاقية ، أي أن سيناء أصبحت مصرية بموجب اتفاقية وليس بموجب الحق التاريخي لمصر فيها ولا لأنها جزء لا ينفصل عن أرض مصر .

لقد حرمت الاتفاقية مصر من ممارسة حقها الأصلي في حماية جزء من ترابها وتوفير الأمن والأحداث في سيناء ليست وليدة اليوم ومن يريد أن يعرف ويعي أصل المشكلة عليه أن يعود إلى عقود مضت وعندها سيصل إلى قناعة أن كل الكوارث والجرائم التي وقعت على أرض سيناء أياً كان مرتكبوها وأياً كان مقصدهم إلا أنها جميعها نتاج معاهدة تم توقيعها وعرفت باسم كامب ديفيد اغتصبت أرض سيناء من السيادة المصرية .

الإجابة انه وفقاً لهذه المعاهدة لم يعد لمصر سيادة على جزء من ترابها وهو سيناء ، وأصبحت علاقة مصر بسيناء ترتبط بمدى التزام مصر بالاتفاقية ، أي أن سيناء أصبحت مصرية بموجب اتفاقية وليس بموجب الحق التاريخي لمصر فيها ولا لأنها جزء لا ينفصل عن أرض مصر .

لقد حرمت الاتفاقية مصر من ممارسة حقها الأصلي في حماية جزء من ترابها وتوفير الأمن والأمان للمواطنين في سيناء ، حيث قسمت الاتفاقية سينا إلى ثلاث مناطق (أ) و

(ب) و (ج) كما حددت حجم القوات والمعدات المصرية المسموح بتواجدها في هذه المنطقة وطبيعة المنشآت المصرح بها .  
وتأكيدا لما سبق نعود إلى معاهدة العار لنرى ماذا قالت في سيناء :

نصت المعاهدة في ملحق (1) البرتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلي وترتيبات الأمن -  
المادة الثانية على ما يلي :  
1 - بغية توفير الحد الأقصى لأمن كلى الطرفين بعد الانسحاب النهائي فان الخطوط  
والمناطق الموضحة على الخريطة رقم (1) يتم إنشاؤها وتنظيمها على الوجه التالي :

#### أ- المنطقة (أ)

(1) - المنطقة (أ) يحدها من الشرق الخط (أ) (الخط الأحمر) ومن الغرب قناة السويس  
والساحل الشرقي لخليج السويس كما هو موضح على الخريطة رقم (1) .

(2) - تتواجد في هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة ميكانيكية واحدة  
ومنشآتها العسكرية وكذا تحصينات ميدانية .

(3) - تتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

(أ) ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية .

(ب) لواء مدرع واحد .

(ج) سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى 126 قطعة مدفعية .  
(د) سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض/جو وحتى 126  
مدفع مضاد للطائرات عيار 37 مم فأكثر .

(هـ) حتى 230 دبابة .

(و) حتى 480 مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع .

(ز) إجمالي حتى 22 ألف فرد .

#### ب - المنطقة (ب)

المنطقة (ب) يحدها من الشرق الخط (ب) (الخط الأخضر) ومن الغرب الخط (أ) .

(1) (الخط الأحمر) كما هو موضح على الخريطة رقم (1)

(2) توفر الأمن في المنطقة (ب) وحدات حدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة

خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية في المحافظة على النظام في المنطقة ، وتتكون العناصر الرئيسية لكتائب الحدود الأربع من إجمالي حتى 4000 فرد .  
(3) - يمكن إقامة نقاط إنذار ساحلية أرضية قصيرة المدى ذات قوة منخفضة لوحداث الحدود على ساحل هذه المنطقة .

(4) - تنشأ في المنطقة (ب) تحصينات ميدانية ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الأربع .

## ج - المنطقة (ج)

المنطقة (ج) يحدها من الغرب الخط (ب) (الخط الأخضر) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم ( 1 ) .

(2) تتمركز في المنطقة (ج) قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط .

(3) تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفة أداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة .

(4) توزع قوات الأمم المتحدة داخل المنطقة (ج) وتؤدي وظائفها المحددة في المادة السادسة من هذا الملحق .

( 5 ) تتمركز قوات الأمم المتحدة أساسا في معسكرات تقبع داخل مناطق التمرکز التالية والموضحة على الخريطة رقم (1) على أن تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر :

( أ ) في ذلك الجزء من المنطقة في سيناء التي تقع في نطاق 20 كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .

(ب) في منطقة شرم الشيخ :

كما نصت المادة الثالثة من الملحق ذاته تحت عنوان (نظام الطيران العسكري فقرة

(3) و(4) على 3 - تقلع وتهبط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط في المنطقة (ب) ويمكن الاحتفاظ في المنطقة (ب) بعدد 8 طائرات منها ، يمكن تجهيز وحدات الحدود المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائفها في المنطقة (ب) .

4 - يمكن تجهيز الشرطة المدنية المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائف الشرطة العادية في المنطقة (ج) .

والمادة الرابعة من نفس الملحق تحت عنوان (النظام البحري العسكري) فقرة (2) و (3) .

(2) - يمكن لزوارق حرس السواحل المصرية خفيفة التسليح أن تتمركز وتعمل في المياه الإقليمية للمنطقة (ب) لمعاونة وحدات الحدود في أداء وظائفها في هذه المنطقة 3 - تؤدي الشرطة المدنية المصرية والمجهزة بزوارق خفيفة مسلحة تسليحا خفيفا ووظائف الشرطة العادية داخل المياه الإقليمية للمنطقة (ج) .

وفي عام 2005 أضيف (750) جندي مصري حرس حدود وذلك بعد توقيع اتفاقية فيلادلفيا بين مصر والعدو الصهيوني بعد انسحاب الصهاينة من غزة حيث انتقلت مسئولية تأمين هذه الحدود إلى الحكومة المصرية وهذه القوات مهمتها تأمين الحدود وتخضع لمراقبة

القوات متعددة الجنسية الـ MFO الموجودة في سيناء تحت إدارة أمريكية منذ معاهدة كامب ديفيد .

بناء على ما سبق فإن مصر لا تستطيع أن تقرر بإرادة حرة مستقلة حجم قواتها المطلوب تواجدها في سيناء لحماية الوطن من أي اعتداء خارجي أو من أي نشاط تمارسه جماعات مسلحة تتخذ من هذه البقعة من الوطن وكرأ لها ، وإنما على مصر أن تلتزم بما سمحت به المعاهدة .

لم يقف الأمر عند هذا الحد فالمعاهدة لا تسلب مصر سيادتها على سيناء فقط وإنما تمنح السيادة عليها الولايات المتحدة الأمريكية التي تتفاخر دوماً بدعمها للصهاينة والتزامها بأمن وسلامة الكيان الصهيوني وعلية فالمرادف للسيادة الأمريكية على سيناء هو السيادة الصهيونية عليها حيث منحت الاتفاقية أمريكا الحق في الحسم والبث في أي خلاف ينشأ بين مصر والعدو الصهيوني حول الترتيبات الأمنية في سيناء بل وتعهدت مصر غيابياً بقبول وتأييد ما يقترحه الأمريكان وذلك وفقاً لما جاء في أحد وثائق المعاهدة تسمى :

(محضرمتفق على المواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة وللملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام) .

حيث نصت في الجزء الخاص بالملحق الأول على :

(يتفق الطرفان على الدول التي تشكل منها قوات ومراقبو الأمم المتحدة ، ويتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، وقد اتفق الطرفان على ما يلي :

في حالة عدم الوصول إلى اتفاق بين الطرفين فيما يتعلق بأحكام الفقرة الثامنة من المادة السادسة من الملحق الأول ، فإنهما يتعهدان بقبول وتأييد ما تقترحه الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين) .

واستناداً إلى هذا النص تمكن الأمريكان والصهاينة من استبدال القوات التابعة للأمم المتحدة بقوات متعددة الجنسيات (MFO) القوات متعددة الجنسيات والمراقبون (تتولى أمريكا قيادتها الدائمة وذلك وفقاً للبرتوكول الموقع في 3 أغسطس 1981 المضاف إلى مستندات ووثائق المعاهدة وقد استمرت المعاهدة في سلب مصر أي سيادة لها على سيناء فراححت تحدد لها نوعية المطارات المسموح بإنشائها وكانت النتيجة أن حرمت مصر من حقها في إنشاء مطار حربي على قطعة من أرضها حيث جاء في ملحق (1) البرتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلي وترتيبات الأمن - المادة الثالثة فقرة (5) (5 -) يمكن إنشاء مطارات مدنية فقط في هذه المناطق) ، وفي ملحق (3) برتوكول بشأن علاقات الطرفين - المادة السادسة فقرة (2) (2) - توافق مصر على أن المطارات الواقعة بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ التي سوف تخليها إسرائيل يكون استخدامها للأغراض المدنية فحسب بما في ذلك إمكان استخدامها تجارياً بواسطة كافة الدول) .

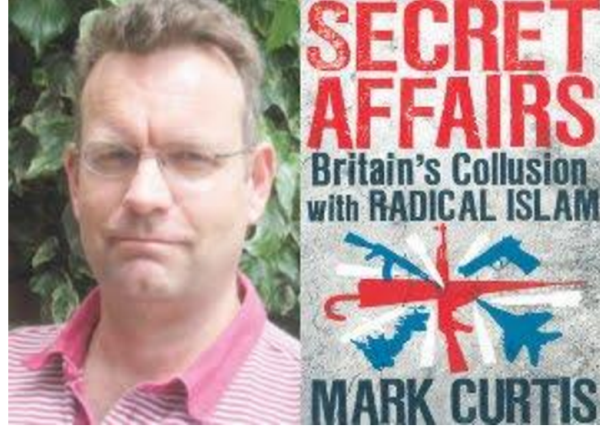
بناء على ما سبق يتيقن لنا أن مصر لا سيادة لها على سيناء ، وأي قرار مصري خاص بسيناء لا بد له كي يرى النور أن يحظى بموافقة وترحيب الصهاينة والأمريكان وأياً كانت التحليلات والتكهنات لما يحدث في سيناء منذ عقود حتى يومنا هذا إلا أنها تفتقد الوضوح والدقة إن لم تستند على حقيقة راسخة وهي أن الأزمة الأساسية إننا نحيا في ظل نظام كامب ديفيد ، ووفقاً لكامب ديفيد لا سيادة لمصر على سيناء .

كما إنّ أي قرارات أو تصريحات من نوعية توفير الأمن في سيناء وتبنى مشروعات وبرامج لإعمارها تعد دعاية زائفة وتغيب الحقيقة وتضليل للشعب إذا لم تتناول وتعرض لكارثة كامب ديفيد .

خلاصة القول إنّ الحل الوحيد والجاد حفاظا على الوطن واستقراره واستقلاله وسيادته على كامل ترابه هو إلغاء معاهدة العار وإسقاط نظام كامب ديفيد .

**وثائق تؤكد :**

## إن بريطانيا بدأت تمويل جماعة الإخوان المسلمين سرّاً في عام 1942



### حوار سها السمان مع مؤلف كتاب «التواطؤ البريطاني مع الإسلام الراديكالي» مارك كيرتس: ومقال لمحمد الشافعي

بريطانيا بدأت تمويل «الإخوان» قبل ١٩٤٢.. وتعتبر الجماعة «سلاحاً مفيداً» وسط تصاعد أفكار ما يسمى «الحرب على الإرهاب»، والتي ترفع لواءها الولايات المتحدة ومن خلفها الدول الأوروبية، جاء كتاب الصحفي الإنجليزي «مارك كيرتس»: **secret affairs : Britain's Collusion with Radical Islam** أو (العلاقات السرية : التواطؤ البريطاني مع الإسلام الراديكالي)، الصادر منذ عدة أسابيع ليؤكد أن هذه الحرب ما هي إلا مسلسل محبوبك الأدوار تلعب فيه الدول الكبرى أدوار البطولة في سبيل تحقيق أهداف سياسية خارجية، وخلال أكثر من ٤٠٠ صفحة يوضح كيرتس كيف تستمد الجماعات الإسلامية قوتها المادية والمعنوية من الغرب وتحديدًا من بريطانيا والتي لعبت دوراً كبيراً في أفغانستان وباكستان وكوسوفو وحتى مصر ، وكانت القنبلة التي فجرها المؤلف في كتابه هي كشف عمليات التعاون بين الإنجليز وجماعة الإخوان المسلمين بهدف التخطيط لإفشال الثورة وإسقاط نظام جمال عبد الناصر، وربما كانت هذه النقطة تحديداً بداية للعديد من الأسئلة التي طرحتها «المصري اليوم» على الكاتب مارك كيرتس في الحوار الذي دار عبر الإنترنت : وإلى التفاصيل

■ لنبدأ بالحديث عن مصر والتعاون بين الإخوان المسلمين والسلطات الإنجليزية ، هل يمكن أن تحدثنا عن بداية هذا التعاون وكيف كانت مراحلها الأولى ؟

- أول اتصال معروف بين «الإخوان» ومسؤولين بريطانيين كان عام ١٩٤١، في ذلك الوقت كانت المخابرات البريطانية تنتظر إلى خطط أي منظمة ضد البريطانيين باعتبارها الخطر الأكبر على الأمن العام في مصر، ووفقا لحسابات البعض من المسؤولين الإنجليز ذلك الوقت فقد عرضوا مساعدة «الإخوان» لشراء دعمها .

وهناك نظريات كثيرة بشأن قبول أو رفض «حسن البناء» للحصول على الدعم البريطاني ، ولكن بالنظر لحالة الهدوء النسبي للإخوان في هذه الفترة فمن الممكن أن نقول إنهم قبلوا المعونة البريطانية، وقبل عام ١٩٤٢ كانت بريطانيا بالتأكيد قد بدأت في تمويل جماعة «الإخوان» ففي ١٨ مايو عقد مسؤولون في السفارة اجتماعا مع رئيس الوزراء المصري «أمين عثمان باشا» كان أحد الموضوعات التي تمت مناقشتها فيه هو العلاقات مع الإخوان، وتمت الموافقة على عدد من النقاط الخاصة بهذا التعاون، واحدة منها أن الإعانات المقدمة من حزب الوفد للإخوان المسلمين سيتم دفعها سرا من جانب الحكومة المصرية، وأنها سوف تحتاج في هذا الشأن إلى مساعدة مادية من السفارة البريطانية، كما أن الحكومة المصرية ستقوم بزرع عملاء موثوق بهم داخل جماعة الإخوان لتراقب عن قرب أنشطتهم، وأن الحكومة سوف تسمح للسفارة الإنجليزية بالحصول على معلومات من هؤلاء العملاء، ومن ناحية الجانب البريطاني سيتم إطلاع الجانب المصري على المعلومات التي يتم الحصول عليها من مصادر بريطانية، كذلك تم الاتفاق على محاولة خلق انقسام في «الجماعة» من خلال استغلال أي اختلافات تقع بين حسن البناء وأحمد السكري أحد مؤسسي الجماعة الأوائل .

كذلك تم الاتفاق خلال هذا الاجتماع على حصول الجانب البريطاني على قائمة بأسماء أعضاء الإخوان الذين يمكن اعتبارهم من العناصر الخطرة مع التأكيد على عدم القيام بأي تحرك عنيف ضد المنظمة، ولكن العمل بأسلوب «القتل الرحيم»، كذلك الاتفاق على مساعدة حسن البناء على إصدار صحيفة وقيامه بنشر مقالات عن مبادئ دعم الديمقراطية لتظهر وسيلة جيدة تساعد على تفكيك الإخوان .

■ استعان الإنجليز بالإخوان في محاولة للقضاء على حكم عبد الناصر اعتماداً على حالة العداء بين ناصر والإخوان، لكن هل استمر دعم الإنجليز للجماعة مع حالة الوفاق بين السادات والإخوان ؟

ليس لدى أدلة على وجود اتصالات بين بريطانيا والإخوان أثناء سنوات حكم السادات، لكن الملفات البريطانية توضح أن المسؤولين البريطانيين كانوا ينظرون بعين العطف لنظام حكم السادات الذي زرع الجماعات الإسلامية مثل الإخوان المسلمين باعتبارها تتعارض مع القوميين والشيوعيين، ووصفت هذه الملفات «الإخوان» بأنهم سلاح مفيد لنظام السادات .

■ هل هناك أي نوع من التعاون بين الإخوان وإنجلترا حتى اليوم؟

. ليس لدى تعليق على هذا السؤال .



■ ما الذي دفعك للكتابة حول تمويل بريطانيا للجماعات الإسلامية الأصولية والخوض في هذا التاريخ الشائك؟

كانت تفجيرات لندن عام ٢٠٠٥ التي نتج عنها مصرع ٥٧ شخصا سببا في اتجاهي للكتابة في هذا الموضوع ، فقد كان واضحا أن مثل هذه التفجيرات تحديدا لا تحدث من فراغ لكنها تصدر من البنية التحتية للإرهاب الذي تطور عبر عدة عقود مضت وأردت توثيق الدور الذي لعبته بريطانيا في هذا الشأن .

■ كيف تفسر التناقض بين مفهوم الحرب على الإرهاب الذي تقوده الولايات المتحدة ودول أوروبا في الوقت نفسه تقوم بريطانيا بدعم وتمويل الجماعات الأصولية؟ .

لا يوجد حرب على الإرهاب، لكنها حرب على أهداف محددة من جانب واشنطن ولندن وهذا يعني أن أساسات الإرهاب وبنيته التحتية لم يمسه أحد .

■ أشرت في كتابك إلى قيام بريطانيا بإرسال متطوعين للقتال في كوسوفو ويوغسلافيا في التسعينيات، إلى أي البلاد ينتمي هؤلاء المتطوعون؟ وما هو دور بريطانيا في هذا الشأن؟ .

لم أدع أن بريطانيا أرسلت متطوعين، لكن فقط ذكرت أنه خلال سنوات حرب البوسنة ترددت اقتراحات موثوق بها تفيد بسماع بريطانيا والولايات المتحدة - وربما تكونان قد سهلتا - سفر بريطانيين وغيرهم من المسلمين إلى كوسوفو للقتال والجهاد، وقد أشار (بي رامن) وهو ضابط سابق في المخابرات الهندية إلى أن القوات الباكستانية المرتبطة مع جماعة الإرهاب، والتي قاتلت في البوسنة قد تم تحويلها بواسطة CIA المخابرات الأمريكية إلى كوسوفو، وفي أعقاب تفجيرات لندن ٢٠٠٥ قال (جون لوفتس)، المدعى العام في وزارة العدل الأمريكية قد عملت مع ضابط المخابرات السابق، بأن المخابرات الإنجليزية MI 6، مع القوات الإسلامية المنظمة من المجاهدين لإرسال أفراد إلى كوسوفو، وصرح لوفتس كذلك لإحدى محطات التليفزيون الأمريكي بأن قادة المجاهدين كانوا جميعاً يعملون لحساب المخابرات البريطانية في كوسوفو، بل إن المخابرات البريطانية قد عينت بعضا من رجال القاعدة للدفاع عن حقوق المسلمين في ألبانيا وكوسوفو، وأقول أيضا إن CIA كانت تمويل بعض العمليات بينما المخابرات البريطانية تتولى التنظيم والتجنيد .

■ أشرت إلى وجود تعاون يتم مؤخراً بين طالبان والمسؤولين الإنجليز، ما نوع هذا التعاون؟

بحلول منتصف عام ٢٠٠٩ تم إبلاغ وسائل الإعلام الكبرى عن جهود بريطانية جديدة لإجراء محادثات مع قادة طالبان، وفي الحقيقة مثل هذه الجهود تعود إلى أبعد من ذلك بكثير وحتى قبل عام ٢٠٠٦، حيث قامت بريطانيا بتعزيز مفاوضات سرية مع قادة طالبان للوصول إلى حل سياسي للحرب، وفي عام ٢٠٠٤ مثلاً عقد اجتماع معروف على نطاق

ضيق بين وزير الخارجية جاك سترو ومولانا فضل الرحمن أحد الزعماء الدينيين لـ«طالبان» ورئيس جمعية حزب الأمة الإسلامية في باكستان المعروفة باسم JUI والتي لعبت دوراً محورياً في الائتلاف بين ستة أحزاب دينية في الجمعية الوطنية الباكستانية، ومن الناحية السياسية فهي منحازة إلى حركة المجاهدين الإرهابية، وفي هذا الاجتماع طلب سترو من رحمن التوسط في المحادثات مع طالبان، وقد أخبر رحمن صحفياً محلياً وقتها بأن السلطات البريطانية تعمل بالنيابة عن الولايات المتحدة، هذه العمليات غير المباشرة تم اللجوء إليها لتجنب أي آثار سلبية قبل الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وكان هدف هذه المحادثات هو البحث عن طريقة لخروج مشرف لقوات الولايات المتحدة من أفغانستان، كما أضاف رحمن أنه قد تم دعوته عقب الاجتماع لمختلف المؤسسات التي تعمل في إطار وزارة الخارجية البريطانية .

وفي زيارة أخرى إلى لندن عام ٢٠٠٤ عقد اجتماع آخر مع وزير الخارجية مارك أوبرين، وهكذا كانت بريطانيا تتفاوض مباشرة مع مجموعة إسلامية متطرفة لصالح الأمريكيين وعلى ما يبدو العمل معها، وفي أغسطس ٢٠٠٩ قابل رحمن مفاوضاً أمريكياً في إسلام أباد كجزء من سياسة الرئيس أوباما للوصول لبعض الإسلاميين الباكستانيين المتحمسين ضد الأحزاب الأمريكية كما علقت صحيفة الفجر الباكستانية .

■ في كتابك أشرت إلى مصطلح : Londonistan ما الذي يعنيه هذا المصطلح ؟ .

في حدود عام ١٩٩٠ أصبحت لندن مركزاً لتنظيم الجهاد العالمي ومن هنا جاء المصطلح، حيث حصلت الجماعات الإرهابية في لندن على الكثير من التسامح من جانب السلطات، هذا الأمر في تصوري يمنح السلطات الفرصة لرصد هذه العناصر، وعلى الجانب الآخر يمنح ذلك بريطانيا بعض المزايا في سياستها الخارجية بالشرق الأوسط ويمكن استخدام هذه الجماعات كنقاط للضغط على الحكومات الأجنبية .

■ لماذا قامت إنجلترا بدعم معسكرات تدريب بعض الجماعات الجهادية كما ذكرت في كتابك؟.

لم أقل إنها معسكرات مدعومة من بريطانيا، لكن ما كانت السلطات البريطانية تعرفه منذ عام ١٩٩٠ هو وجود المئات من المتطرفين، من ضمنهم بريطانيون، كانوا يمرون على معسكرات تدريب في الخارج، ولم تتخذ بريطانيا أي إجراء معهم لإيقافهم ويبدو أن هذا التسامح قد وفر لبريطانيا ألا تكون هدفاً للإرهاب وقتها .

■ في ظل هذا التعاون كيف تفسر تعرض لندن نفسها لتفجيرات إرهابية؟ .

أصبحت المملكة المتحدة ذاتها هدفاً بسبب دورها الملازم للولايات المتحدة في التدخل العسكري في الشرق الأوسط، وكذلك دعمها المستمر لإسرائيل .

■ تقول إن بريطانيا لا تزال تتعاون حتى اليوم مع الجماعات الأصولية لدعم سياستها الخارجية، هل يمكن إعطاؤنا مثالا على هذا التعاون؟ .

عمليات التعاون - أو التواطؤ - تغيرت في السنوات الأخيرة، فقد كانت موجودة بالفعل عام ١٩٩٠ وقبلها لكن ليس الآن، وما أقوله هو أن بريطانيا لا تزال تعمل من خلال، أو لديها شروع للتواطؤ، مع بعض الجماعات المتطرفة لاحتلال جنوب العراق، فالوضع الضعيف للبريطانيين أدى إلى التعاون مع قوات الإسلاميين من الشيعة لضمان خروج محترم من البلاد، الليبراليون والعلمانيون تم تجاهلهم عقب الغزو، وعندما تسحب بريطانيا قواتها المقاتلة تكون قد سلمت مسؤولية الأمن لهذه الميليشيات، والمفارقة أن بريطانيا تؤيد وتتعاون مع المجلس الإسلامي الأعلى في العراق الذي يعد ضمن النفوذ الإيراني في العراق، وفي الوقت نفسه تستمر بريطانيا في تحالفها العميق مع باكستان وهي الحامي الرئيسي لحركة طالبان، وخلال الحرب في العراق وأفغانستان كانت تحالفات الحكومة البريطانية مع أعدائها غريبة .

■ ألم يخطر في أذهان المسؤولين الإنجليز احتمال انقلاب الجماعات الأصولية عليهم؟ .

لا يوجد دليل على أنهم كانوا يعتبرون ذلك مخاطرة في الماضي، النخبة البريطانية بصفة عامة لديها نظرة برجماتية شديدة فهم يفتقرون للرؤية على المدى البعيد، وسجل تاريخ الحكومة البريطانية يوضح أنها تتعاون مع أي شخص أو جماعة لتحقيق أهداف المدى القريب .

■ ألا يمكن أن يثير كتابك الرأي العام ضد السياسيين والحكومة البريطانية؟ .

لم تقم الحكومة البريطانية بأي رد فعل تجاه الكتاب، والسياسيون لا يدخلون في جدل عنيف حول مثل هذه الكتابات فهذا لا يحدث إلا في مجتمعات أقل ديمقراطية .

مرة أخرى : وثائق تؤكد أن بريطانيا بدأت تمويل جماعة الإخوان المسلمين سرا في عام 1942 ، مفجر فضيحة العلاقات السرية بين لندن والأصوليين لـ«الشرق الأوسط»: وثائق تؤكد أن بريطانيا بدأت تمويل جماعة الإخوان المسلمين سرا في عام 1942 .

مارك كيرتس: بدأت الكتابة عقب هجمات لندن 2005 ، وتجولت بين عشرات الآلاف من الوثائق السرية .

يكشف الباحث البريطاني مارك كيرتس في كتابه «العلاقات السرية» عن شعار يتكرر في ملفات الحكومة على مدار عقود كثيرة، وخلال عقدين من عام 1952 حتى عام 1970، جاء هذا التهديد في صورة القومية العربية التي دعا إليها عبد الناصر؛ ومنذ عام 2005، جاء ذلك في صورة إيران أحمدي نجاد. وقال في لقاء مع «الشرق الأوسط»: «حتى اليوم.. في سياستها الخارجية، لا تزال بريطانيا تستخدم القوى الإسلامية أو تعمل من خلالها». وأضاف أنه في احتلال جنوب العراق، وقفت بريطانيا بصورة أساسية مع المسلحين الإسلاميين من الشيعة، المتصلين بالمجلس الأعلى الإسلامي للعراق، من أجل السيطرة على المنطقة وضمان خروج «مقبول». إلا أنه تحدث عن تغيير في سياسات لندن مع «لندنستان» والمتطرفين الأصوليين الموجودين في العاصمة البريطانية بقوله: «يرجع هذا التغيير في المقام الأول إلى أن بريطانيا نفسها أصبحت هدفا للإرهاب. ففي السابق، كان التفاهم هو أن السلطات ستتيح للجماعات الراديكالية بالعمل ما دامت بريطانيا نفسها ليست مستهدفة، وهو ما يسمى (ميثاق الأمن)». وكان هذا بمثابة «ضوء أخضر» واقعي من وايت هول إلى الإرهاب في جميع أنحاء العالم. إلا أنه أعرب عن اعتقاده أنه من الممكن تفسير التسامح الحالي من جانب النخبة البريطانية مع الجماعات المنشقة في لندن جزئيا باستغلال هذه الجماعات في صالح سياساتها الخارجية. وجاء الحوار معه على النحو التالي:

\* - ما الفترة التي قضيتها في كتابة الكتاب الأخير لك «العلاقات السرية: تواطؤ بريطانيا مع الإسلام المتشدد»؟ .

لقد استغرقت عملية تأليف هذا الكتاب أربع سنوات. لقد بدأت الكتابة فورا عقب هجمات لندن، في نهاية عام 2005. واستغرق الأمر عدة شهور من البحث في الهيئة الوطنية للأرشيفات بين عشرات الآلاف من الوثائق السرية، التي تحتوي على ملفات سرية للحكومة تم الكشف عنها .

\* هل فكرت في طباعة هذا الكتاب باللغة العربية؟ -

. نعم، يبحث الناشر الخاص بي عن ناشر عربي، لكن هذا الأمر لم ينته بعد .

\* - هل تعتقد أن مصطلح «لندنستان» لا يزال موجوداً أم أنه انتهى؟ هل انتهت لعبة استخدام الإسلاميين في بريطانيا أم أنها لا تزال مستمرة في وجهة نظرك؟ .

تم حظر الجماعات والأفراد الذين تربطهم صلات بالإرهاب والذين تسامح معهم البريطانيون في تسعينات القرن الماضي، وفي بعض الحالات عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، أو تم القبض عليهم. ويرجع هذا التغير في المقام الأول إلى أن بريطانيا نفسها أصبحت هدفا للإرهاب. ففي السابق، كان التفاهم هو أن السلطات ستتيح للجماعات الراديكالية بالعمل ما دامت بريطانيا نفسها ليست مستهدفة، وهو ما يسمى «ميثاق الأمن». وكان هذا بمثابة «ضوء أخضر» واقعي من وإيتهول إلى الإرهاب في جميع أنحاء العالم .

بيد أنني أعتقد أنه من الممكن تفسير التسامح الحالي من جانب النخبة البريطانية مع الجماعات المنشقة في لندن جزئياً باستغلال هذه الجماعات في صالح سياساتها الخارجية، وهو الأمر الذي وثقته في الكتاب، حيث إنه بمقدورهم العمل كدعائم أو بطاقات تفاوض مع حكومات أخرى، على سبيل المثال .

وبصورة خاصة، كان لبريطانيا مصلحة دائمة في الحفاظ على الانقسامات في منطقة الشرق الأوسط وجعلها تحت سيطرة سياسية منفصلة، ويعد ذلك إحدى صور سياسة «فرق تسد» الدولية التي كان يُنظر إليها على أنها مهمة من أجل ضمان أنه لا يوجد هناك أي قوة فاعلة وحيدة في الشرق الأوسط مهيمنة على المنطقة، ولا سيما ثروات النفط بها، ضد رغبات لندن (أو واشنطن). وهذا شعار يتكرر في ملفات الحكومة على مدار عقود كثيرة. وخلال عقدين من عام 1952 حتى عام 1970، جاء هذا التهديد في صورة القومية العربية التي دعا إليها عبد الناصر؛ ومنذ عام 2005، جاء ذلك في صورة إيران أحمددي نجاد .

وفي سياستها الخارجية، لا تزال بريطانيا تستخدم القوى الإسلامية أو تعمل من خلالها. ففي احتلال جنوب العراق، وقفت بريطانيا بصورة أساسية مع المسلحين الإسلاميين من الشيعة، المتصلين بالمجلس الأعلى الإسلامي للعراق، من أجل السيطرة على المنطقة وضمان خروج «مقبول». كما كانت تطور علاقاتها مع جماعة الإخوان المسلمين في مصر وسورية وفي أماكن أخرى، ربما كوسيلة لتأمين نفسها عند تغيير النظام الحاكم في القاهرة ودمشق. وتواصل تحالفاتها الاستراتيجية العميقة مع المملكة العربية السعودية وباكستان. ويأتي ذلك على الرغم من التعليقات (الدقيقة) لديفيد كاميرون بشأن دعم باكستان للإرهاب في الهند، لكننا سنرى ما إذا كان ذلك سيقود إلى تغير في السياسة الفعلية لبريطانيا تجاه إسلام آباد أم لا .

\* - هل من وثائق تدعم الادعاء بأن التمويل البريطاني لجماعة الإخوان المسلمين في مصر بدأ في أربعينات القرن الماضي؛ وأنه خلال العقد التالي كانت بريطانيا متواطئة مع الجماعة لاغتيال عبد الناصر نعم، يوثق الكتاب ملفات بريطانية سرية تم الكشف عنها، والتي تبين أن بريطانيا بدأت تمويل جماعة الإخوان المسلمين سرّاً في عام 1942. وقال

تقرير بريطاني: «سيتم دفع الإعانات لجماعة الإخوان المسلمين سرا من جانب الحكومة (المصرية)، وسيطلبون بعض المساعدات المالية في هذا الشأن من السفارة (البريطانية)». وستقوم الحكومة المصرية بالزج بعملاء موثوق بهم داخل جماعة الإخوان للإبقاء على مراقبة وثيقة لأنشطتها «وسيجعلنا (السفارة البريطانية) ذلك نحصل على المعلومات من هؤلاء العملاء. ومن جانبنا، سنجعل الحكومة مطلعة على هذه المعلومات التي تم الحصول عليها من مصادر بريطانية». وكان الهدف من هذا التمويل هو إحداث الانقسام داخل الإخوان، «مما يساعد على تفكيك (الإخوان)» عن طريق دعم فصيل منها ضد الآخر .

وفي منتصف خمسينات القرن الماضي، يوثق الكتاب بعض المعاملات السرية بين البريطانيين و«الإخوان». وبعدما استولى عبد الناصر على الحكم عام 1952، بعدها مباشرة اختلف مع «الإخوان»، ونظرت بريطانيا إلى «الإخوان» على أنهم معارضة مفيدة لهذا النظام الحاكم ذي التوجهات القومية العربية. وعقد مسؤولون اجتماعات مع قادة الإخوان المسلمين كأداة ضد النظام الحاكم في مفاوضات بشأن إجلاء القوات العسكرية البريطانية من البلاد .

وفي عام 1956، عندما قامت بريطانيا بغزو مصر ضمن ما يعرف بالاعتداء الثلاثي، كان هناك مصادر جديرة بالثقة تشير إلى أن بريطانيا قامت باتصالات سرية مع جماعة الإخوان وغيرهم من الشخصيات الدينية كجزء من خططها للإطاحة بعبد الناصر أو اغتياله. لكن لسوء الحظ، لا تحتوي هذه الملفات السرية التي تم الكشف عنها أي تفاصيل أخرى بشأن ذلك. وما تبينه هذه الملفات هو أن المسؤولين البريطانيين كانوا يعتقدون أن هناك «إمكانية» أو «احتمالية» أن يقوم «الإخوان» بتشكيل الحكومة الجديدة بعد الإطاحة بعبد الناصر على أيدي البريطانيين. وفي شهر مارس (آذار) عام 1957، كتب تريفور إيفانز، المسؤول بالسفارة البريطانية الذي قاد اتصالات سابقة مع «الإخوان»، قائلا: «إن اختفاء نظام عبد الناصر... ينبغي أن يكون هدفنا الرئيسي» .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الخطط البريطانية السرية للإطاحة بالأنظمة القومية في سورية عامي 1956 و1957 كانت تنطوي أيضا على تعاون مع جماعة الإخوان المسلمين، التي كان يُنظر إليها على أنها وسيلة مفيدة في خلق الاضطرابات في البلاد تمهيدا لتغيير النظام الحاكم .

## \* - الكاتب في سطور

\* - بدأ كيرتس دراسته في مدرسة لندن للاقتصاد، ثم عمل باحثا لدى المعهد الملكي للشؤون الدولية. وسبق له العمل كمدير بـ«الحركة الإنمائية العالمية». بعد سنوات كثيرة من عمله مع منظمتي «كريستيان إيد» و«أكشن إيد» غير الحكوميتين، حيث عمل مديرا لقسم «السياسة وجهود الضغط» لدى «كريستيان إيد» ومديرا للشؤون السياسية في «أكشن إيد»، أصبح يعمل الآن كاتبا وصحافيا ومستشارا مستقلا. ويعد من المشاركين

بانتظام في النقاشات السياسية ويكتب مقالات في الكثير من الصحف بينها «غارديان» و«ريد بيبير» و«إندبندنت» داخل المملكة المتحدة، و«زنييت» في الولايات المتحدة، و«فرونتلين» في الهند، و«الأهرام» في مصر. كما أنه أستاذ شرفي بجامعة ستراثكلايد. وعين من قبل باحثاً زائراً بالمعهد الفرنسي للعلاقات الدولية في باريس و Deutsche Gesellschaft fuer Auswaertige Politik. في بون .

عام 1998، ألف كيرتس كتابه «الخداع الأكبر: القوة الأنغلو – أميركية والنظام العالمي»، وحمل الكتاب هدفاً معلناً تمثل في إلقاء الضوء على الكثير من الخرافات المرتبطة بالقوة الأنغلو – أميركية في حقبة ما بعد الحرب الباردة. وحاول كيرتس إظهار كيف ظلت المملكة المتحدة شريكاً محورياً في جهود الولايات المتحدة لتعزيز هيمنتها عالمياً، وحلل ما وصفه بالعلاقة الخاصة بين البلدين وخلص إلى أن هذا الوضع ترتبت عليه تداعيات خطيرة على كليهما

---

علاقات بريطانيا السرية مع الأصوليين :

لندن اعتبرت الحركات الإسلامية

أفضل من العلمانيين والحركات القومية

انحازت الحكومة البريطانية باستمرار

إلى جانب الإخوان المسلمين بمختلف أرجاء الشرق الأوسط

عن العلاقات السرية ما بين بريطانيا والجماعات المتطرفة في مختلف أنحاء العالم، يجيء كتاب المؤلف البريطاني مارك كيرتس الأخير «الشؤون السرية» يتكون من 19 فصلاً و430 صفحة من القطع المتوسط عن دار نشر «سربنت تيل»، ويوضح الكاتب في مؤلفه بعض خيوط الارتباطات السرية بين الإنجليز والإخوان المسلمين منذ النصف الأول من القرن الماضي، ومدى قوة العلاقات التي توطدت بينهم بالتمويل والتخطيط لإفشال الثورات في المنطقة العربية والإسلامية، التي كانت تمثل جبهة الحرب الباردة بين الغرب والشرق، وتحولت اليوم إلى جبهة الحرب على «الإرهاب الأصولي» الذي بات يهدد أمن المنطقة واستقرارها .

يقول مارك كيرتس، مؤلف كتاب «الشؤون السرية»، إن شبخ الماضي عاود الظهور مجدداً وبات يخيم بظلاله على السياسة البريطانية في أفغانستان، وخلف التواطؤ البريطاني مع القوى الأصولية، بما فيها المتطرفون الذين وفروا معسكرات تدريبية لقائد الانتحاريين محمد صديق خان الذي نفذ مع زملائه هجمات 7 يوليو (تموز) عام 2005 ضد وسائل النقل في لندن والتي أودت بحياة 57 شخصاً، وسط اتهامات جديدة وجهت إلى الحكومة وأجهزة الأمن، حملتها المسؤولية عن الأعمال الإرهابية التي تنفذها الحركات الأصولية، نتيجة «لتواطؤ» هذه الأجهزة في وقت سابق مع هذه التنظيمات .

يقول كيرتس مؤلف كتاب «العلاقات السرية» إنه عندما وقعت هجمات لندن في 7 يوليو 2005، ألقى الكثيرون بمسؤولية ذلك على غزو العراق، إلا أن العلاقة بين هذه الهجمات الدامية وبين السياسة الخارجية البريطانية أعمق من ذلك بكثير، فالتهديد الإرهابي لبريطانيا هو نكسة إلى حد ما ناجمة عن شبكة من العمليات البريطانية السرية مع الجماعات الإسلامية المتشددة ممتدة عبر عقود. وفي حين يمثل الإرهاب أكبر تحدٍّ أمني للمملكة المتحدة، فإن تواطؤ الحكومة البريطانية مع الإسلام الأصولي لا يزال مستمراً .



وذكر كيرتس أن «التحديات الإرهابية لبريطانيا هي انعكاس ناتج عن شبكة من العمليات السرية البريطانية بالتعاون مع مجموعات إسلامية مسلحة تعود إلى عقود ماضية». وحذر من أنه «في الوقت الذي يجري اعتبار الإرهاب التحدي الأمني الأكبر بالنسبة للبلد، تواصل الحكومة البريطانية تواطؤها مع الإسلام المتطرف» .

فالتواطؤ مع القوى الأصولية ومن ضمنها المتطرفون الذين وفروا معسكرات تدريب لمجموعة الانتحاريين التي نفذت هجمات لندن الانتحارية في الشريط القبلي الباكستاني وللمتمردين في أفغانستان كانت له، وفقا لكيرتس، آثار كارثية على السياسة الخارجية البريطانية في الشرق الأوسط وآسيا . ويقول إنه عندما وقعت تفجيرات لندن الانتحارية سارع كثيرون لإلقاء اللوم على المشاركة البريطانية في الحرب على العراق عام 2003 ، لكنهم لم ينتبهوا إلى أن المسألة أعمق من ذلك بكثير .

وأشار كيرتس إلى أن اثنين من الانتحاريين الأربعة الذين نفذوا عمليات لندن، تلقيا تدريبهما في معسكرات تدريب في باكستان تابعة لحركة «المجاهدين» التي استخدمت في أفغانستان لدحر الاتحاد السوفييتي السابق والتي استخدمتها باكستان أيضا في حربها ضد الهند من أجل تحرير إقليم كشمير الهندي وضمه إلى باكستان .

وأضاف : إنَّ هناك إثباتا على أن بريطانيا سهلت إرسال متطوعين من «المجاهدين» للقتال في يوغوسلافيا وفي كوسوفو في عقد التسعينات، وأن الكثير من «المجاهدين» كانوا يتلقون تعليماتهم من مجموعة دربتها بريطانيا وزودتها بالأسلحة ومن ضمنها صواريخ مضادة للطائرات .

ومن مجموعة المجاهدين هذه، أشار كيرتس إلى جلال الدين حقاني، وزير الحدود عهد حركة طالبان الأصولية والقائد العام لقوات «طالبان» حاليا التي تتصدى للقوات البريطانية في أفغانستان، إضافة إلى قلب الدين حكمتيار، الذي يوصف اليوم بأنه «قاتل قاسي القلب» الذي حصل على مساعدات سرية هائلة وتدريب عسكري من بريطانيا في عقد الثمانينات، وجرى استقباله في أروقة الحكومة البريطانية في هوايتهول .

وحكمتيار، وفقا لكيرتس، تم تكليفه أيضا من جانب بريطانيا للقيام بعمليات سرية داخل الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفييتي. وعبر كيرتس عن قلقه من التحول الجاري حاليا في السياسة البريطانية التي تتجه نحو عقد صفقة جديدة مع هذه القوى الأصولية من أجل ضمان خروج غير مشرف لها من الحرب الأفغانية الوحشية، مشيرا إلى تصريحات قائد القوات البريطانية السير ديفيد ريتشاردز، الذي قال في الأسبوع الماضي إنه «ينبغي البدء بالمحادثات مع طالبان في أقرب وقت»، لأن «سمعة بريطانيا ونفوذها في العالم أصبحت على المحك» . وتابع كيرتس أن جذور الدعوة البريطانية للتفاهم مع طالبان تعود إلى عام 2004 عندما تم توجيه الدعوة لمولانا فضل الرحمن، القيادي الأصولي الباكستاني الموالي لطالبان، من أجل زيارة لندن وإجراء محادثات مع مسؤولين في وزارة الخارجية البريطانية. عقب هذه الزيارة أبلغ فضل الرحمن وسائل الإعلام الباكستانية أن بريطانيا

تجري محادثات غير مباشرة مع طالبان، «بحثا عن خروج أميركي مشرف من أفغانستان». وحذر كيرتس أن مثل هذا الاعتماد على القوى الأصولية لتحقيق أهداف تتعلق بالسياسة الخارجية هو تذكير لما حصل في الماضي، «عندما كان مثل هذا التواطؤ موجهًا للسيطرة على مصادر النفط وإسقاط أنظمة حكم قومية». مشيرًا إلى أن الحكومتين البريطانية والأميركية تأمرت عام 1953 مع آية الله سيد القاشاني، الزعيم الروحي للشيعة ومؤسس مجموعة «أنصار الإسلام» المتطرفة في إيران، من أجل إسقاط نظام حكومة مصدق التي كانت تحظى بشعبية واسعة، بل إن الحكومتين بحثتا مسألة تنصيب القاشاني، سلف آية الله الخميني، زعيما سياسيا على إيران .

وقال كيرتس في مقدمة كتابه «الشؤون السرية» إن وكالات الاستخبارات البريطانية منعت شن 12 عملية إرهابية في بريطانيا على مدار العقد الماضي، وتزعم أن هناك نحو 2000 إرهابي معروفين لأجهزة الاستخبارات يعملون ضمن 200 خلية نائمة، ويحذر مسؤولو مكافحة الإرهاب من هجمات وأخذ رهائن يشارك فيها مسلحون بقنابل ستحدث على الأراضي البريطانية، ويبدو أن معدل التهديد بالإرهاب مبالغ فيه لأسباب سياسية، وكما اتهمت البارونة ماننغهام - بللر رئيسة الاستخبارات البريطانية السابقة الحكومة بتخويف الشعب حتى تتمكن من تمرير قوانين الإرهاب الجديدة التي ستحد من الحريات المدنية، وقالت ماننغهام أيضا إنها لم تندهش من تورط مواطنين بريطانيين في القيام بهجمات 7/7 / 2005 في لندن. وكانت البارونة ماننغهام عضوا في لجنة الاستخبارات المشتركة للحكومة بحكم منصبها مديرة لجهاز الأمن الداخلي، وذكرت أن بريطانيا بالإضافة إلى دول غربية أخرى تواجه بوضوح تهديدات من الجماعات الإسلامية المتطرفة .

وتحدث المؤلف كيرتس عن كيفية إنجاح سياسات بريطانيا الإستراتيجية فقال: «إن بريطانيا تعاونت على نحو روتيني مع الولايات المتحدة الأميركية التي لديها تاريخ مماثل من المواجهات مع الإسلام المتطرف، مع الأخذ في الاعتبار انحدار القوة البريطانية فإن العمليات الأنغلو أميركية المشتركة تغيرت من كونها مشاريع مشتركة إلى حد كبير، في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية إلى مشاريع كان فيها الهوايتهول الشريك غير الرئيسي مع أميركا الذي غالبا ما يزود بقوات خاصة في عمليات تدار من قبل واشنطن. وتحدث كيرتس في الفصل الأول عن جذور العلاقات البريطانية مع الإسلام المتطرف، فقال إن مثل هذا التعاون يمكن أن نجده في السياسات الإمبراطورية فقد جاءت الخطوة الأولى تجاه نفوذ الإمبراطورية البريطانية في العالم الإسلامي عام 1765، عندما سلمت الإمبراطورية المغولية في مقاطعة بنغال الغنية شركة الهند الشرقية التابعة لبريطانيا حق زيادة العوائد، وتحكمت بريطانيا بالتالي في شبه القارة الهندية، حيث تغلبت على قوات السلطان تيبو، وهي آخر معاقل الإمبراطورية المغولية في الهند عام 1779. وفي نهاية القرن الـ19 تحركت الإمبراطورية البريطانية إلى ما هو أبعد من الهند، وأصبح لها نفوذ قوي على العالم الإسلامي .

وفي الكتاب أيضا بحسب مؤلفه كيرتس هناك حديث مهم عن أن بريطانيا مولت حركة «الإخوان المسلمين» في مصر سرا من أجل إسقاط نظام حكم الرئيس السابق جمال عبد الناصر، على اعتبار أن الحركات الأصولية أفضل من الحركات القومية العربية . وأضاف أن بريطانيا بدأت بتمويل «الإخوان» عام 1942 . وأعلن أنه حتى بعد وفاة عبد الناصر واستخدام خليفته أنور السادات «الإخوان» كأداة لتدعيم حكمه، واصلت بريطانيا النظر إلى الإخوان على أنهم «سلاح يمكن استخدامه»، وفقا لمسؤولين بريطانيين لتدعيم نظام الحكم في مصر. وفي فصل خاص حمل عنوان «تغذية (القاعدة)» وجد المؤلف أن بداية التسعينات شهدت بروز التطرف الإسلامي في كل من أوروبا والولايات المتحدة للمرة الأولى، مصحوبا بأول حرب جهادية في أوروبا وهي حرب البوسنة بعد عام 1992، إضافة إلى تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك عام 1993، إضافة إلى أول هجمات على أوروبا الغربية حيث كانت التفجيرات على مترو باريس عام 1995، ولا شك أن السعودية قد عانت أيضا من أول الهجمات الإرهابية في نوفمبر عام 1995، عندما فجرت سيارة مفخخة مبنى سكنيا يضم بعثة التدريب العسكرية الأميركية التي جاءت لتدريب الحرس الوطني السعودي. وفي يونيو عام 1996 تم ضرب أبراج الخبر السكنية في المنطقة الشرقية، التي يقطن فيها أفراد الجوية الأميركية، وقد أسفر انفجار شاحنة عن مقتل 20 شخصا، والجزائر هي الأخرى شهدت حربا أهلية بشعة بين الحكومة وعناصر الجماعات الأصولية، والتي أدت إلى مقتل ما يقرب من 100 ألف شخص، منذ اندلاعها عام 1992، وفي أفغانستان انقلبت عناصر المجاهدين على نفسها بعد خروج السوفييت وسقوط الحكومة الموالية للروس عام 1992، والذي أدى إلى مقتل الآلاف من أبناء الشعب الأفغاني وتدمير العاصمة كابل، وأدت الفوضى وانعدام القانون بين الفصائل الجهادية إلى ظهور حركة طالبان الأصولية عام 1996، التي سيطرت على العاصمة كابل، وهكذا كانت هناك نتائج بشعة بسبب عولمة الإرهاب، حيث أشعل الجهاديون المسلحون الحرب في أفغانستان في الثمانينات بعد أن تدريبوا في معسكرات الجهاد في أفغانستان وباكستان، وعادوا إلى أوطانهم مسلحين بخبرات الحرب لمحاربة حكوماتهم والنظم القائمة، محاولين الاستفادة من نجاحهم في مواجهة السوفييت .

وفي الفصل الـ13 يتحدث المؤلف كيرتس عن محاولة اغتيال العقيد معمر القذافي والسعي لإسقاط نظام صدام حسين، فيقول : شهد النصف الثاني من التسعينات زيادة الماكينة الدعائية لـ«القاعدة» ضد الغرب، في سلسلة من الهجمات الإرهابية الوحشية، ففي يونيو (حزيران) عام 1986 أصدر بن لادن زعيم «القاعدة» فتوى إعلان الجهاد ضد الأميركيين وبعده بعامين أعلن تأسيس «الجهة الدولية للجهاد ضد الصليبيين واليهود» التي وحدت مجموعة من التيارات الجهادية تحت مظلتها خلف أجندة لقتل الأميركيين والقضاء على التواجد الأميركي في الدول الإسلامية، وضمت الجهة (القاعدة) بالإضافة إلى جماعتين باكستانيتين مثل عسكر طيبة وحركة المجاهدين، كما ضمت الجماعات المصرية مثل الجماعة الإسلامية والجهاد الإسلامي، وعددا من الحركات الأصولية الأخرى، وتصادف إعلان عام 1996، مع نسف أبراج الخبر في السعودية التي تضم فريقا من القوات الجوية الأميركية وأدى إلى قتل 20 بينهم 19 أميركيا. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) من العام التالي شنت الجماعة الإسلامية هجوما على معبد الدير البحري في الأقصر حيث قتل 63 سائحا.

وفي أغسطس (آب) 1998 نسفت القاعدة سفارتي أميركا في كينيا وتنزانيا مما أدى إلى مقتل 224 معظمهم من الأفارقة. وفي تلك الآونة كانت بريطانيا بلا موقف حازم تجاه الإسلام الراديكالي، فأحيانا كانت تنتظر إليه باعتباره تهديدا بصفة خاصة لحليفها السعودي، بعد هجمات الخبر 1996، ولحليفها الأميركي بعد هجمات السفارتين، وفي الوقت ذاته استمرت بريطانيا في التسامح مع ما أصبح يعرف باسم «لندنستان» بما في ذلك وجود عدد من مساعدي بن لادن في بريطانيا الذين روجوا لبيانات «القاعدة» حول العالم، وقد أصبحت لندن بالإضافة إلى أفغانستان الواقعة تحت سيطرة طالبان، التي يعيش فيها بن لادن مع أعوانه في قندهار المركز الرئيسي للجهاد العالمي حيث أغمضت الحكومة البريطانية - على الأقل - عينيها عن نشاطات الأصوليين التي تنطلق من أراضيها. وأيضا كانت لندن تتعامل بصفة خاصة في ليبيا وكوسوفو مع الإسلام الراديكالي وبدرجة محدودة في العراق، وكما أثبت تاريخيا فإن الإسلام المتطرف كان مفيدا للمخططين البريطانيين في مواجهة النظم الوطنية مثل القذافي في ليبيا وميلوسوفيتش في يوغوسلافيا وصادام حسين في العراق.

وقد كشف الكاتب بعض الخيوط المعقدة في تلك العلاقات العسوية على الفهم والتصديق بين بريطانيا والأصوليين، لمدى تشابك وتبادل الأدوار فيها ما بين الدولي والإقليمي والمحلي، وبين الأنظمة الرسمية والأجهزة المخابراتية، وبين المخابرات والأحزاب والتيارات السياسية الإسلامية التي توالدت وانتشرت في الشارع العربي وهيمنت على الواقع السياسي والثقافي، خلال العقود الثلاثة الأخيرة، في مشهد لم يعاصره العرب على مدار تاريخهم. ولم يكن الخبر مفاجئا بقدر ما كان مثيرا نشره في الصفحات الأولى من صحافتنا، لما بات لهذه التيارات من قوة ترهيب وتهديد ضد مصالح كل من يتجرأ على البحث في شؤونها وكشف أسرارها والمس بسمعتها (العقائدية) التي ما فتئت تتشدد بإيمانها الإسلامي ضد الأديان الأخرى .

ومراجعة الملفات السرية تكشف أن المتعاونين الإسلاميين المعترف بهم من المخططين هم من المناهضين والمحرضين ضد الدول والمصالح الغربية، ولكنهم دخلوا في زواج مصالح لتحقيق أهداف على المدى القصير. كما أنه بعد تراجع النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط سعت الحكومة البريطانية إلى جميع الحلفاء، مع قليل من الاعتبار للعواقب على المدى الطويل. لا ينبغي أن يكون دور بريطانيا في ظهور الإرهاب العالمي مبالغاً فيه، ولكن هناك الكثير من المساهمات: معارضة القومية العربية، التي مهدت الطريق لصعود الإسلام الراديكالي في 1970، وتقديم الدعم للمحاربين في الحرب المقدسة الأفغانية في 1980، ومن ثم ظهور أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، وظاهرة «لندنستان» في 1990، عندما أصبحت لندن عاصمة مركزية لتنظيم الجهاد العالمي .

ويدلل كيرتس في كتابه «الشؤون السرية» على ذلك القول بأن اثنين من الأربعة الذين نفذوا تفجيرات لندن تلقوا تدريباً في معسكرات باكستانية تديرها جماعة حركة المجاهدين الإرهابية التي رعتها باكستان لتحارب القوات الهندية في كشمير .

ولم تقم بريطانيا فقط بتسليح باكستان وتدريبها، ولكنها قدمت أيضا مساعدات سرية استفادت منها حركة المجاهدين، فهناك أقاويل قوية تشير إلى أن بريطانيا سهلت سفر المجاهدين للحرب في يوغوسلافيا وكوسوفو في التسعينات .

ويمضي الكاتب في القول إن اعتماد بريطانيا على الإسلاميين لتحقيق أهدافها يرجع إلى الماضي، عندما كانت تريد السيطرة على المصادر الطبيعية لبعض الدول أو الإطاحة بالحكومات القومية فيها .

وأشار إلى العملية الإنجليزية الأميركية عام 1953 في إيران للتخلص من حكومة مصدق التي كانت تحظى بشعبية والتي قامت بتأميم صناعة النفط في البلاد، الأمر الذي ألحق ضررا كبيرا بالشركات البريطانية، وشملت هذه العملية مشاركة آية الله سيد كاشاني مؤسس حركة أنصار الإسلام، وهي حركة أصولية مسلحة. وقامت أجهزة المخابرات البريطانية والأميركية بتمويل المظاهرات ضد حكومة مصدق، بل إنها ناقشت احتمال اختيار كاشاني كقائد للبلاد بعد الانقلاب .

وأضاف : «تكشف ملفات حكومية نزعت عنها صفة السرية عن أن مخططين أدركوا أن المتعاونين معهم من الإسلاميين معادون للغرب، ومع ذلك دخلوا معهم فيما هو أشبه بزواج مصلحة لتحقيق أهداف قصيرة الأجل». والآن، يظل الماضي برأسه مجددا «ليخيم بظلاله القاتمة على السياسة البريطانية بأفغانستان، ويتكبد الجنود البريطانيون إضافة إلى المدنيين الأفغان ثمنا فادحا بسبب تلك الحركة الارتجاعية» .

ويكشف المؤلف: تعاونت حكومات بريطانية متعاقبة سرا مع قوى مسلحة على صلة بتنظيم القاعدة سعيا للسيطرة على موارد النفط والإطاحة بحكومات وتعزيز المصالح المالية البريطانية، حسبما أوضح كيرتس. وكان أول تطبيق لسياسة الدعم السري مع جماعة الإخوان المسلمين بمصر، حيث جرى تشجيعهم على إسقاط أو اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر ذي التوجهات العربية القومية .

وتعد تفجيرات 7 يوليو 2005 في الجزء الأكبر منها نتاجا لتلك السياسة الخارجية البريطانية نظرا لاعتمادها على «بنية تحتية إرهابية» أسستها دولة باكستانية تحظى منذ أمد بعيد بدعم الحكومة البريطانية، بجانب جماعات إرهابية باكستانية، حسبما ذكر كيرتس. ويسرد الكتاب تفاصيل تاريخ طويل من التواطؤ البريطاني مع الإسلام الراديكالي، بما في ذلك جماعات إرهابية. وتعد هجمات 7 يوليو والتهديد الإرهابي الأوسع نطاقا القائم حاليا، إلى حد ما نتاجا للسياسة الخارجية البريطانية، حيث اعتمدت التفجيرات على بنية تحتية إرهابية أنشأتها دولة باكستانية حظيت بدعم الحكومة البريطانية، وجماعات باكستانية إرهابية استفادت من النشاطات السرية البريطانية السابقة .

الملاحظ أنه على امتداد حقبة ما بعد الحرب، ساندت بريطانيا سرا جماعات إسلامية راديكالية في أفغانستان وإيران والعراق وليبيا والبلقان وسورية وإندونيسيا ومصر. ويشير الكتاب إلى وثائق بريطانية كشف عنها مؤخراً .

وبدأ التمويل البريطاني للإخوان المسلمين بمصر في أربعينات القرن الماضي. وفي العقد التالي، تأمرت بريطانيا مع الجماعة لاغتيال عبد الناصر (وكذلك الإطاحة بالحكومات القومية في سورية). وكان الهدف من وراء دعم المنظمات الإسلامية خلال بداية حقبة ما بعد الحرب التصدي للتيار القومي الذي اكتسب شعبية كبيرة. وعليه، انحازت الحكومة البريطانية باستمرار إلى جانب الإخوان المسلمين بمختلف أرجاء الشرق الأوسط.

الحرب السرية في أفغانستان وكانت الحرب السرية في أفغانستان في ثمانينات القرن الماضي لدعم المجاهدين، والتي أفرزت بطبيعة الحال «القاعدة»، مجرد امتداد لسياسة بريطانية قائمة، ومثلت تلك أكبر عملية سرية تنفذها الحكومة البريطانية منذ الحرب العالمية الثانية وتضمنت توفير دعم للكثير من الجماعات الأفغانية الأجنبية التي كانت تقاتل السوفييات (والتي تحارب القوات البريطانية الآن ضد بعضها داخل أفغانستان). ومنذ ذلك الحين، جرى تنفيذ مجموعة متنوعة من العمليات المشابهة تضمنت عمل بريطانيا بجانب قوى إسلامية للتصدي لعدد من الأعداء ميلوسوفيتش في يوغوسلافيا والقذافي بليبيا وصادم بالعراق، على سبيل المثال .

وأعرب كيرتس عن اعتقاده بأن سياسة «لندنستان» – القائمة على السماح للندن بالعمل كقاعدة تنظيمية للإرهاب الجهادي بمختلف أرجاء العالم – ارتبطت بصورة وثيقة بالسعي لضمان تحقيق أهداف السياسة الخارجية البريطانية .

وتعد العلاقة الخاصة القائمة بين الحكومة البريطانية والرياض واحدة من أبرز الملامح المميزة للسياسة الخارجية البريطانية خلال حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وتكشف وثائق أن بريطانيا أبرمت الكثير من الصفقات الاستثمارية مع السعودية عام 1973 (بالقرب من فترة اندلاع أزمة النفط)، وربطت فعلياً الاقتصاد البريطاني بنظيره السعودي في ذلك الوقت، الأمر الذي عجزت بريطانيا عن التعافي منه مطلقاً .

وتكمن جذور كل ذلك في سياسة «فرق تسد» التي انتهجتها الإمبراطورية عندما استغلت بريطانيا القوى الإسلامية في تعزيز مصالحها الإمبريالية في الكثير من الدول، مثل الهند وفلسطين والأردن واليمن. ويحاول الكتاب كشف مدى العلاقة الوثيقة بين التواطؤ بين بريطانيا والإسلام الراديكالي من ناحية وانحسارها الإمبريالي في أعقاب الحرب العالمية الثانية من ناحية أخرى - في وقت اتسم صانعو السياسات بالسرعة والبرجماتية وافتقروا

إلى أي بوصلة توجيه أخلاقية وانصب تركيزهم على التصدي للقوى القومية في محاولة يائسة للحفاظ على مكانتهم في خضم عالم متغير .

وبالنظر إلى الخطاب السائد حول «الحرب ضد الإرهاب»، ربما يجد الكثيرون في فكرة تواطؤ بريطانيا مع الإسلام الراديكالي أمرا منافيا للمنطق. إذا، كيف يمكن تبرير هذه الادعاءات؟ في الواقع، غالبا ما تكون الحقيقة عكس الخطاب السائد – الأمر الذي ربما يشكل قاعدة عامة بشأن القضايا الكبرى. من الواضح أن «الحرب ضد الإرهاب» شكلت حربا ضد أهداف معينة حددتها لندن وواشنطن، وليس حربا على الإرهاب بالمعنى الحقيقي .

وبعد هجمات 11 سبتمبر (أيلول) 2001 باتت مسألة أن حلفاء بريطانيا جاؤوا في قلب الإرهاب العالمي على مدار 3 عقود على الأقل مجرد حقيقة نادرة ما يأتي ذكرها في وسائل الإعلام الذي يشكل التيار الرئيسي. وتركزت «الحرب» التي تشنها أميركا وبريطانيا المصادر الحقيقية للإرهاب في العالم من دون مساس. ولو كانت جهود تلك «الحرب» جادة لكانت ركزت على بعض المناطق المثيرة للاهتمام، بينها لندن. وعند محاولة تبرير هذه السياسات، غالبا ما تجري الإشارة إلى أن بريطانيا تساند أهون الشر. لكن يبقى التساؤل: ما هي القيمة الحقيقية لمثل تلك الادعاءات؟

وفي خضم ذلك، ساندت وزارة الخارجية البريطانية بنشاط رجلا اعتبرته «سياسيا رجعيا بصورة كاملة» وهو آية الله كاشاني الذي نظم أنصاره المتشددون مظاهرات ضخمة سبقت الانقلاب العسكري الذي وقع عام 1953 الذي جاء بالشاه، ذي التوجهات شديدة المحافظة لكنه موال للغرب، إلى الحكم. وعمل كاشاني بمثابة المعلم الخاص لروح الله خوميني الذي أطاح عام 1979 بالشاه وأقر بدلا منه نظاما دينيا قمعيا لا يزال مهيمنا على السلطة حتى اليوم .

وفي كتابه «الشؤون السرية»، يقدم كيرتس شهادة مثيرة للصدمة حول توجه السياسة الخارجية البريطانية خلال الأعوام المائة الأخيرة. سعى وراء المصالح الوطنية، وفقت المملكة المتحدة مرارا إلى جانب أكثر قوى الإسلام السياسي وحشية ومحافظه وتآمرت بقوة ضد حكومات ديمقراطية بمختلف أنحاء العالم. في الوقت الذي جاءت هذه السياسة بمكاسب مؤقتة، فإن ثمنها على المدى البعيد كان فادحا .

بمختلف جنابات العالم المسلم على مدار القرن الماضي، تمثل العدو الرئيسي لبريطانيا ليس في قوى التطرف الديني، وإنما في الوطنيين العلمانيين الذين سعوا لاستخلاص السيطرة على موارد بلادهم من أيدي القوى الاستعمارية السابقة. مرة بعد أخرى، من مصر لإيران وإندونيسيا، سعت بريطانيا لتقويض مثل هؤلاء الزعماء من خلال تسليح وتدريب خصومهم المتطرفين، بينما منحت دعما سخيا لحكام استبداديين

إسلاميين على استعداد للتعاون مع بريطانيا بشروط مقبولة. في خضم تلك العملية، أسهمت بريطانيا على نحو مباشر في تنامي الإسلام الراديكالي عالميا، والآن ارتدت تداعيات ذلك على الوطن .

وفي سعيها الحثيث للإبقاء على معقل استراتيجي لها في جنوب آسيا - أو حسبما قال تشرشل «الإبقاء على قطعة صغيرة من الهند بعد الاستقلال» عام 1947 - لعبت بريطانيا دورا محوريا في إقامة باكستان، وهي دولة اصطناعية لا تتوافر لديها عوامل تمكنها من المساعدة في الحفاظ على وحدتها سوى كونها دولة مسلمة. وخلال العقود الأخيرة، سعت حكومات باكستانية متعاقبة لتعزيز سلطتها عبر تأجيج مشاعر الحماس الديني في الداخل، ومناصرة إسلاميين مسلحين بمختلف أرجاء المنطقة. ومع ذلك، يجري التعامل مع باكستان منذ أمد بعيد على أنها حليف محوري للمملكة المتحدة وواحدة من الدول المفضلة في توزيع المساعدات العسكرية، على الرغم من أن الاستخبارات الباكستانية، حسبما ادعى كيرتس، استمرت في دعمها للجماعات الجهادية التي تقاتل الآن ضد القوات البريطانية في أفغانستان. وارتبطت بريطانيا بعلاقة أوثق مع السعودية التي ساعدت بريطانيا في صياغة شكلها الحديث مع أفول نجم الحقبة الاستعمارية .

ويرسم كيرتس في كتابه صورة لدولة وجدت نفسها حبيسة سلسلة من التحالفات غير المريحة - تحمل منافع عامة مشكوكا فيها - عجزت الحكومة البريطانية عن إدراك طبيعتها الحقيقية بصورة كاملة. وتبدو القضية متفاقمة جراء المستويات الاستثنائية من السرية المحيطة بالسياسة الخارجية البريطانية، مما يعيق إجراء نقاش فاعل حول القرارات التي يجري اتخاذها باسم البريطانيين. مثلا، لا تزال السرية مفروضة على الكثير من الملفات المتعلقة بتدخلنا المجهض بمنطقة قناة السويس على الرغم من مرور نصف قرن. ونظرا لقاعدة «الأعوام الثلاثين» المثيرة للجدل التي تنتهجها المملكة المتحدة، يبقى جزء كبير من تاريخنا الحديث مفقودا. ومع ذلك، تمكن المؤلف مارك كيرتس من القيام بعمل رائع بناء على المصادر المتاحة أمامه، حيث جمع عددا مبهرا من المعلومات المسربة والاعترافات الحكومية للتأكيد على أنه من المنظور الأخلاقي تبدلت السياسة الخارجية البريطانية قليلا في العقود الأخيرة. وقدم بالفعل على هذا الصعيد حجة قوية، وإن كانت مثيرة للحرز .



## ماذا قدّم جمال عبد الناصر للإسلام



وصلني على بريدي هذا المقال الذي لا اعرف مصدره والذي اعتقد انه فلاح الأردن ، ولكن لفت انتباهي فيه تذكيره لنا بأشياء دقيقة فعلها هذا البطل العربي ، ولكنها سقطت في بئر النسيان والتيه الذي نعانيه ، والدعايات السياسية الباطلة ، لذلك فقد أردت أن أعيد نشره .

هذا ما كتبه الصحفي المصري السيد أمين في موقعه الإلكتروني ، قبل أيام معدودة ، ونظراً لأهمية الموضوع الذي يتعلق ليس بالماضي السياسي للأمة فقط ، بل بالمستقبل السياسي لمصر ولعموم المنطقة العربية والوضع السياسي العالمي ، والذي ننقله عنه نصاً ، الأمر الذي دعانا لإنشاء المقدمة المذكورة سالفاً . تبين لي لاحقاً ، بالنسبة لي ، أن كاتبه هو السيد سامي شرف سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات

”ال خليفة الراشد أبو بكر الصديق هو أول من بدأ جمع القرآن الكريم في مصحف وذلك بعد إلحاح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد مقتل معظم حفظة القرآن في حروب الردة ، والخليفة الراشد عثمان بن عفان هو صاحب أول مصحف تم جمع وترتيب سور القرآن الكريم به، والرئيس جمال عبد الناصر هو أول رئيس مسلم في التاريخ يتم في عهده جمع القرآن الكريم مسموعاً ( مرتلاً و مجوداً ) في ملايين الشرائط و الأسطوانات بأصوات القراء المصريين .

لنلقي نظرة أكثر شمولاً على أوضاع الدين الإسلامي في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ...

- في عهد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر تم زيادة عدد المساجد في مصر من أحد عشر ألف مسجد قبل الثورة إلى واحد وعشرين ألف مسجد عام 1970 ، أي أنه في فترة حكم 18 سنة للرئيس جمال عبد الناصر تم بناء عدد (عشرة آلاف مسجد) وهو ما يعادل عدد المساجد التي بنيت في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى عهد عبد الناصر.

- في عهد عبد الناصر تم جعل مادة التربية الدينية (مادة إجبارية) يتوقف عليها النجاح أو الرسوب كباقي المواد لأول مرة في تاريخ مصر بينما كانت اختيارية في النظام الملكي.

- في عهد عبد الناصر تم تطوير الأزهر الشريف وتحويله لجامعة عصرية تدرس فيها العلوم الطبيعية بجانب العلوم الدينية.

- أنشأ عبد الناصر مدينة البعوث الإسلامية التي كان وما زال يدرس فيها عشرات الآلاف من الطلاب المسلمين على مساحة ثلاثين فدناً تضم طلاباً قادمين من سبعين دولة إسلامية يتعلمون في الأزهر مجاناً ويقيمون في مصر إقامة كاملة مجاناً أيضاً ، وقد زودت الدولة المصرية بأوامر من الرئيس عبد الناصر المدينة بكل الإمكانات الحديثة وقفز عدد الطلاب المسلمين في الأزهر من خارج مصر إلى عشرات الأضعاف بسبب اهتمام عبد الناصر بالأزهر الذي قام بتطويره وتحويله إلى جامعة حديثة عملاقة تدرس فيها العلوم الطبيعية مع العلوم الدينية.

- أنشأ عبد الناصر منظمة المؤتمر الإسلامي التي جمعت كل الشعوب الإسلامية .

- في عهد عبد الناصر تم ترجمة القرآن الكريم إلى كل لغات العالم .

- في عهد عبد الناصر تم إنشاء إذاعة القرآن الكريم التي تذيع القرآن على مدار اليوم .

- في عهد عبد الناصر تم تسجيل القرآن كاملاً على أسطوانات وشرائط للمرة الأولى في التاريخ وتم توزيع القرآن مسجلاً في كل أنحاء العالم .

- في عهد عبد الناصر تم تنظيم مسابقات تحفيظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية ، !  
والعالم العربي ، والعالم الإسلامي ، وكان الرئيس عبد الناصر يوزع بنفسه الجوائز على حفظة القرآن .

- في عهد عبد الناصر تم وضع موسوعة جمال عبد الناصر للفقهاء الإسلاميين والتي ضمت كل علوم وفقه الدين الحنيف في عشرات المجلدات وتم توزيعها في العالم كله.

- في عهد عبد الناصر تم بناء آلاف المعاهد الأزهرية والدينية في مصر وتم افتتاح فروع لجامعة الأزهر في العديد من الدول الإسلامية.

- ساند جمال عبد الناصر كل الدول العربية والإسلامية في كفاحها ضد الاستعمار.

- كان الرئيس جمال عبد الناصر أكثر حاكم عربي ومسلم حريص على الإسلام ونشر روح الدين الحنيف في العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس.

- سجلت بعثات نشر الإسلام في أفريقيا وآسيا في عهد الرئيس جمال عبد الناصر أعلى نسب دخول في الدين الإسلامي في التاريخ ، حيث بلغ عدد الذين اختاروا الإسلام ديناً بفضل بعثات الأزهر في عهد الرئيس جمال عبد الناصر 7 أشخاص من كل 10 أشخاص وهي نسب غير مسبوقه و غير ملحوظة في التاريخ حسب إحصائيات مجلس الكنائس العالمي .

- في عهد عبد الناصر صدر قانون بتحريم القمار ومنعه ، كما أصدر عبد الناصر قرارات بإغلاق كل المحافل الماسونية ونوادي الروتاري والمحافل البهائية، كما تم إلغاء تراخيص العمل الممنوحة للنسوة العاملات بالدعارة التي كانت مقننة في العهد الملكي وتدفع العاهرات عنها ضرائب للحكومة مقابل الحصول على رخصة العمل والكشف الطبي .
- في عهد عبد الناصر وصلت الفتاة لأول مرة إلى التعليم الديني كما تم افتتاح معاهد أزهرية للفتيات، وأقيمت مسابقات عديدة في كل المدن لتحفيظ القرآن الكريم، وطُبعت ملايين النسخ من القرآن الكريم ، وأهديت إلى البلاد الإسلامية وأوفدت البعثات للتعريف بالإسلام في كل أفريقيا و آسيا ، كما تمت طباعة كل كتب التراث الإسلامية في مطابع الدولة طبعاات شعبية لتكون في متناول الجميع، فيما تم تسجيل المصحف المراتل لأول مرة بأصوات كبار المقرئين وتم توزيعه على أوسع نطاق في كل أنحاء العالم .
- كان جمال عبد الناصر دائم الحرص على أداء فريضة الصلاة يوميا كما كان حريصاً أيضاً على أداء فريضة صلاة الجمعة مع المواطنين في المساجد.
- توفي الرئيس جمال عبد الناصر يوم الإثنين 28 سبتمبر 1970 والذي يوافق هجريا يوم 27 رجب 1390، صعدت روح الرئيس جمال عبد الناصر الطاهرة إلى بارئها في ذكرى يوم الإسراء والمعراج ، وهو يوم فضله الديني عظيم ومعروف للكافة .
- هذه بعض أعمال الزعيم الخالد جمال عبد الناصر في خدمة الإسلام .
- الإسلام ليس هو حسن البناء ولا سيد قطب ولا الإخوان المسلمين ولا كل الجماعات المتأسلمة .

## المصادر :

- عبد الناصر والإخوان المسلمين : عبد الله إمام
- الدين والدولة والثورة : رفعت سيد أحمد
- النبي والفرعون : جيل كيبل
- المؤامرة ومعركة المصير : سعد جمعة تقرير مجلس الكنائس العالمي لعام 1974
- تقرير الحالة الدينية في مصر عام 1982
- (الإسلام في عهد جمال عبد الناصر : عمرو صابح)

## «الزعيم الخالد» : بين رغيف الخبز ومجانية التعليم ومخطط «أوميجا»

محمد الخولي

الأربعاء 15 يناير 2014

«الشقيقان».. كتاب أمريكي صدر منذ شهرين يكشف أسرار توجيهات أيزنهاور ضد عبدالناصر

إتخذ الوزراء مقاعدتهم.. رتبوا ملفاتهم وطالعوا «الرول» كما كانوا يسمونه باعتباره جدول أعمال الجلسة التي تقرر أن يعقدها مجلس الوزراء.. مضت الدقائق الحاسمة التي تسبق عادة دخول «الزعيم» ليرأس الاجتماع.. انفتح باب القاعة الواسعة، ودخل.. كان يحمل في يده حقيبة متوسطة الحجم.. حرص على أن يفتحها باعتباره أول بنود الاجتماع المشهود.. بعدها.. ظل يخرج من الحقيبة عددًا من «أرغفة الخبز» التي حرص على أن يرصّها على الطاولة التي يجلس إليها مرددًا في غضب مكتوم:

هذه عينات الخبز البلدي، أحضرناها من مواقع شتى في عاصمة البلاد، من روض الفرج.. سيدنا الحسين.. درب الأحمر.. مصر الجديدة.. الوايلي.. شبرا.. مصر القديمة.. إلخ. وظل يمسك برغيف تلو الآخر ملوِّحًا أمام وزير التموين، ومعربًا عن استيائه إزاء ما وصلت إليه حالة «الرغيف»، سواء من ناحية الحجم أو الوزن أو اللون، مرددًا تساؤله على مسمع من الوزراء.. هل هذا معقول؟ : مين يقدر يأكل مثل هذا الخبز؟ .

طالب الرئيس بعلاج سريع للموقف على أن تقوم أجهزة التموين بدراسة الحال في المخازن ذاتها، مع موافاته بالنتائج التي تشهد بما تم من إصلاح رغيف العيش. هكذا يحكى الأستاذ أمين هويدى، إذ كان وزيرًا معاونًا للزعيم لشؤون مجلس الوزراء خلال الفترة 1967-1970 فى كتابه «مع عبد الناصر».

أيامها كانت «حرب الاستنزاف» قائمة على قدم وساق.. وفيما كان «الرجل» يبدأ يومه بأحوال الخبز، وأسعار الزى المدرسى، كان يتحول إلى قضايا السياسة فى مصر وفى أمة العرب.. وقد يشهد يومه زيارة إلى الخطوط الأمامية فى جبهة القناة.. فالיום لا ينتهى إلا بعد الاطمئنان على «تمام» التسليح وأحوال الجنود وجاهزية القادة ومعنويات الضباط. يومها كان عمره يحوم حول الخمسين.. ازداد الفودان اشتعالًا بالمشيب، واكتست الملامح الصعيدية بغلالة من شجن مازال مفعمًا بالكبرياء.. لكن ظلت العينان تومضان بأشعة من ذكاء وفهم وتصميم..

ولا جدال أن هذا التصميم على تجاوز محنة انكسار حزيران - وهو ما ترجمه «الزعيم» فى شعار «ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة» مع ما ارتبط به من يقين بالنصر على قوى العدوان - لم يكن مجرد تهويم بالفكر، ولا ترديد للعبارات، إنما جاء على أساس ما تم إنجازه من إعادة بناء القوات المسلحة، وكانت مهمة من أشق ما يكون، وقد نهض بها ككوكبة من أعظم وأخلص رجالات مصر، يتقدم صفوفهم النبيلة «محمد فوزى»، و«عبدالمعزم رياض».. فيما كان الأساس هو ذلك الكنز التاريخي من «الشباب» الذى تلقى بركات التعليم المجانى الذى ظل «الزعيم» حريصًا على تعميمه ليشمل الملايين من أبناء الفقراء من الفلاحين، والحرفيين، والعمال، والصناع، والكسبة، ومن فى حكمهم من بسطاء الوطن العظيم وكادحيه .

مازالت المراجع الأجنبية- الأمريكية بالذات - تقف مليًا عند هذه النقطة التي جمعت فيها مصر الستينيات «وما أدراك طبعاً!» بين مجانية التعليم وجودة التعليم، على نحو ما أكدّه الدكتور أحمد زويل في مقال منشور في جريدة «واشنطن بوست». في هذا السياق بالذات يقول واحد من أحدث الكتب الصادرة في أمريكا بعنوان «صورة النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط الجديد»، من تأليف «ديفيد رود»: بعد الاستقلال، قرر الرئيس جمال عبدالناصر أن يجعل التعليم محوراً لمشروعه الشهير في تحديث الكيان العربى «القومى».. ومن هنا عمد «ناصر»، وبالتدرّج، إلى جعل التعليم مجانياً لجميع المصريين، من المدرسة الابتدائية حتى الجامعة.. وكان أن انطلق المدرسون الذين تم تدريبهم وإعدادهم في مصر إلى العمل عبر أرجاء المنطقة بأسرها، حاملين في معيتهم مناهج التعليم المصرية التي كان لها تأثيرها في كل أنحاء الشرق الأوسط.. «ص144-145».

وبمناسبة الكتب السياسية الأمريكية، فلا سبيل إلى تجاهل واحد من أهم هذه الدراسات، وهو الكتاب الصادر منذ حوالى شهرين فقط بعنوان «الشقيقان.. وحربهما العالمية السرية». والشقيقان كما يحددهما «ستيفن كنزد» مؤلف الكتاب المذكور هما وزير خارجية أمريكا الأسبق «جون فوستر دالاس»، وشقيقه «ألن دالاس» مدير المخابرات المركزية الأسبق..

ولقد خاض الاثنان سلسلة من أشرس المعارك السياسية، السرية والعننية ضد جمال عبدالناصر الذى يتكرر ذكره، وبتفصيل لافت حقاً، 11 مرة على صفحات الكتاب.

وفى هذا السياق أيضاً يكشف الكتاب النقاب عن أن إدارة الرئيس «أيزنهاور»، وقد رأت فى مشروع «ناصر» العربى الاجتماعى التقدمى خطراً يهدد نفوذها ومصالحها وحلفاءها فى المنطقة «إسرائيل بالذات»، قررت أن تُصلح ما أفسده غرور أنتونى إيدن، رئيس وزراء بريطانيا، وسوء تقديره لمكانة «ناصر» المصرية والعربية، مما أدى طبعاً إلى فشل العدوان الثلاثى فى عام 1956 وإلى استرداد - تحرير «ناصر» قناة السويس التى أجاد المصريون إدارتها بكل كفاءة أبهرت عالم ذلك الزمان، وهنا يقول الكتاب الأمريكى أيضاً «ص224»:

نظر الرئيس «أيزنهاور» ومعه الشقيقان «دالاس» إلى الغزو الثلاثى على أنه كان محاولة غير مجدية لإعادة فرض النفوذ الأوروبى فى الشرق الأوسط، هذا فضلاً على أنهم - الأمريكان - كانوا يعملون على تنفيذ مخطط من صنعهم فى هذا المضمار، وما أن خرج «عبدالناصر» من أزمة السويس بطلاً، تبخرت حينها كل محاولات تعبئة المصريين ضده. ولكن برغم هذه «النكسة» فقد ظل الأمريكيون حريصين كل الحرص على أن يضربوا ضربتهم.. وهكذا أبلغ الرئيس «أيزنهاور» أعضاء مجلس الأمن القومى فى «البيت الأبيض» إنه يريد اتخاذ «تدابير أكثر جذرية وأشد تأثيراً» ضد «عبدالناصر» بطبيعة الحال، وهو ما عرف فى الحوليات السياسية باسم «المخطط أوميجا».

أنت تطالع مثل هذه الأفكار، وتستعيد صورة الأحداث فى تلك الفترات التى شهدت حقبة الزعامة الناصرية بين تآلق الإنجاز المبهر، وعبرة الانكسار الممرور.. فلا يسعك

سوى أن تتمثل كبرياء هذا الشعب العظيم فى ربوع مصر، وفى أرجاء أمتها العربية، حين التقت صفوفه فى توافق مصرى وعروبى حول «الزعيم».. وحين خطط الشعب ونفذ مع «الزعيم» مشروعًا وطنيًا وقوميًا فى مجالات التنمية الاقتصادية، والتحول الاجتماعى، والعدالة الاجتماعية، والنهضة الثقافية، وملاحم التكامل العروبى..

ساعتها تؤمن بحق ويقين أن هذه الجماهير الأصيلة العظيمة - لاشك - قادرة فى مرحلة النضال الراهنة، وعلى هدى من خارطة طريق واعدة بالمستقبل، أن تواصل مسيرتها، وأن تدحر أعداءها من الداخل والخارج، عندما تتشابك أيادها مع أيدى زعامة تؤمن بمصر العربية، وتواصل الخطى على طريق واعد بالبشرى، تستوعب فيه دروس تجربة سبقت.. أصابت وأخطأت..

هى تجربة المشروع النهضوى الناصرى التى كانت بحق تجربة شعب آمن بزعامة جسورة بحكم التجربة.. وضعها الشعب على محك الاختبار، فكانت زعامة تاريخية بكل معنى وقد جسدتها عبقرية مواطن مصرى.. صعيدى.. عروبى..

جادت به مصر فى مثل هذه الأيام، 15 يناير، منذ 96 عامًا.. وبهذه المآثر من الاجتهاد الإنسانى استحق أن يودعه الشعر يوم الرحيل مخاطبًا جمال عبدالناصر على لسان محمود درويش :

ولست نبيًّا  
ولكن ظلك أخضر  
نعيش معك  
نسير معك  
نجوع معك  
وحين تموت نحاول ألا نكون معك  
ف فوق ضريحك ينبت قمح جديد  
وينزل ماء جديد  
وأنت ترانا نسير.. نسير.. نسير

---

# الفهرست

- [1] - المقدمة  
ص 3
- [2] - القسم الأول  
ص 4
- [3] - الفقيه جمال عبد الناصر :  
القائد العظيم والرمز الكبير  
ص 5 - ص 14
- [4] - القومية العربية ، الأمة العربية : مفاهيم تاريخية ...  
الناصرية مرحلة لها معاييرها وشروطها  
... الحلقة الأولى ، ص 15 - ص 26
- [5] - المركز المكاني ضرورة للأمة في التوحد الجغرافي  
بعد الديمومة التاريخية وسيرورتها  
.... الحلقة الثانية ، ص 27 - ص 39
- [6] - جمال عبد الناصر :  
الغائب الحاضر في مرحلة القلق الفكري  
.... الحلقة الثالثة ، ص 40 - ص 55
- [7] - العودة للأبهى من التاريخ العربي المعاصر  
يحیی الأمل في إرتیاد دروب المستقبل  
ص 56 - ص 104
- [8] - تجربة سياسية وعملية :  
للمقارنة وإستلھام الدروس السياسية  
ص 5
- [9] - إنطلاقاً من عیون عربية :  
1 - ممارسات حزب الإخوان المسلمين في مصر  
على ضوء المعايير الموضوعية والمقاييس الذاتية  
ص 106 - ص 165
- [10] - 2 - حول كتاب الأسرار الخفية لجماعة الإخوان المسلمين :  
أحد قادتها يكشف المسار التاريخي الملتوي والنهج التضليلي المخاتل  
ص 166 - ص 182
- [11] - 3 - الإخوان المسلمون عندما يحكمون  
ص 183 - ص 191
- [12] - 4 - ما بین رؤیتین في الفعل السياسي  
ص 192 - ص 200
- [13] - 5 - إعلام حماس  
والتشخيص السليم للقضية الفلسطينية  
ص 201 - ص 208
- [14] - 6 - دلالات سياسية من المسار السياسي السالِق  
ص 209 - ص 213
- [15] - القسم الثالث : شهادات ووثائق تبرهن وتعزز :  
وجهة النظر السياسية لهذه الرؤية  
ص 214

- [16] - هدى جمال عبد الناصر تكتب عن النكسة ومؤامرة المشير  
ص 215 - 228  
ص 229 - ص 233
- [17] - وملحق آخر : ماذا يحدث في سيناء  
[18] - وثائق تؤكد : إنَّ بريطانيا بدأت تمويل  
جماعة الإخوان المسلمين سرّاً في عام 1942  
ص 234 - 238  
ص 239 - ص 242  
ص 243 - ص 251  
ص 252 - ص 254
- [19] - مرة أخرى : وثائق تؤكد . . .  
[20] - علاقات بريطانيا السرية مع الأصوليين  
[21] ماذا قدم جمال عبد الناصر للإسلام  
[22] - الزعيم الخالد :  
بين رغيف الخبز ومجانية التعليم ومخطط "أوميغا"  
ص 255 - ص 257